



"قراءة الأيام"

محمود الإنسان

محمود الإنسان
"قراءة الأيام"

تأليف

د. بتول مختار محمد طه

محمود الإنسان

"قراءة الأيام"

تأليف: د. بتول مختار محمد طه

الناشر: الشركة العالمية للطباعة والنشر

المدير العام: الشيخ عووضة

تصميم الغلاف: سامر محمود

إعداد الكومبيوتر: رفعت حسن سيد

رقم الإيداع: 5539/2012

سنة الطبع: 2013 (الطبعة الأولى)

العنوان: 24 ش الصفا والمروة - النهضة الجديدة

إدارة المبيعات: 01001219394

تليفاكس: 26989518

البريد الإلكتروني: Email: elshekh46@yahoo.com

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى روح أبي محمود المقدسة . .
أرفع هذا العمل المتواضع . .
في سجل حياتك الطاهرة . .
وهو بداية لكثير قد تواعدنا عليه . .
أرجو أن أتمكن من إكماله تحت رعايتك . .
وحبك العظيم . .



DAWAYA
SUDANESE BOOKS

شكر وعرفان

أجد نفسي مدينة بالكثير لبعض الأساتذة الأجلاء ، والأصدقاء ، والأخوة الذين ، ساعدوا ومهدوا الطريق لهذا الكتاب ليرى النور .

أولاً عظيم شكري للسيدة **Lesley Forbes** مدير قسم الكتب الشرقية بالمكتبة الرئيسية لجامعة **Durham** بإنجلترا ، وذلك لما وجدته منها من إهتمام ، ورعاية تامة ، طوال فترة وجودي بتلك الجامعة ولاهتمامها الخاص بمجريات الأحداث بهذا الكتاب ، وكذلك لما بذلته من جهود في متابعة دراستي ، فقد مهدت لي كل السبل للوصول للمكتب المعينة لي وللمقابلة العديد من الشخصيات الأكاديمية والهامة والذين كانوا في جامعة **Durham** في تلك الفترة ، وأخص منهم **Professor Martin Ward Daly** الذي قدم لي مشكوراً العديد من الاقتراحات والآراء التي أفادتني في ترتيب الأحداث التاريخية . الشكر أيضاً موصول إلى **Professor Peter Wood Ward** مدير قسم الدراسات السياسية بجامعة **Reading** لما بذله من عناية واهتمام ومتابعة لعملي الأكاديمي والأعمال التي تبعتها . كذلك يمتد شكري ليشمل جميع أساتذة وأ أسرة جامعة **Durham** ، الذين مكنوني من العمل بالجامعة والاستفادة من جميع أقسام مكاتبها وخدماتها . كذلك كثير شكري لجميع الموظفين والموظفات بمكتبة **Green Palace** وبصورة خاصة السيدة **Jane Hogan** المسئولة عن المكتبة .

كما أنني أشكر المسؤولين بجامعة الخرطوم ، الذين جعلوا استفادتي من المنحة ممكنة . ويمتد شكري ليشمل الأخ محمد عوض صالح ، الذي ساعد في المراحل المتوسطة والأخيرة في إعداد هذا الكتاب ، بمراجعة الطباعة على الكمبيوتر والمراجعة المتصلة وكل العمل المضي في تصميم وإخراج هذا الكتاب بصورته النهائية ، والشكر موصول للدكتور عادل الطيب الأستاذ بجامعة قطر لمساعدته في المراجعة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ
نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا *)
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



(أنا زعيم بأن الإسلام هو
قبلة العالم منذ اليوم . . وأن القرآن
هو قانونه . . وأن السودان إذ يقدم
ذلك القانون في صورته العلمية ,
المحققة للتوفيق بين حاجة الجماعة
إلى الأمن , وحاجة الفرد إلى الحرية
المطلقة , هو مركز دائرة الوجود
على هذا الكوكب . . ولا يهولن
أحدًا هذا القول , لكون السودان
جاهلاً , خاملاً , صغيراً , فإن عناية

الله قد حفظت على أهله , من أصايل الطبائع , ماسيجعلهم نقطة إلتقاء أسباب
الأرض بأسباب السماء . .

محمود محمد طه جريدة الشعب 1951/1/27



فما جئت به من الجدة، بحيث
أصبحت به بين أهلى كالغريب . .
وبحسبك أن تعلم، إنما جئت به هو
نقطة إلتقاء الأديان جميعها، حيث
تنتهي العقيدة ويبدأ العلم، وتلك
مرحلة يدخل بها الإنسان ولأول مرة
في الوجود تاريخ إنسانيته)

محمود محمد طه مجلة الأضواء



(نحن نبشر بعالم جديد , وندعو إلى سبيل تحقيقه , ونزعم أننا نعرف ذلك السبيل معرفة عملية . . أما ذلك العالم فهو عالم يسكنه رجال ونساء أحرار , قد برئت صدورهم من الغل والحقْد , وسلمت عقولهم من السخف والخرافات , فهم في جميع أقطار هذا الكوكب متآخون , متسالمون , متحابون , وقد وظفوا أنفسهم لخلق الجمال , في أنفسهم , وفيما حولهم من الأشياء , فأصبحوا بذلك سادة هذا الكوكب , تسمو بهم الحياة فيه سمّاً فوق سمت , حتى تصبح وكأنها الروضة المونقة , تتفتح كل يوم عن جديد من الزهر , وجديد من الثمر . .)

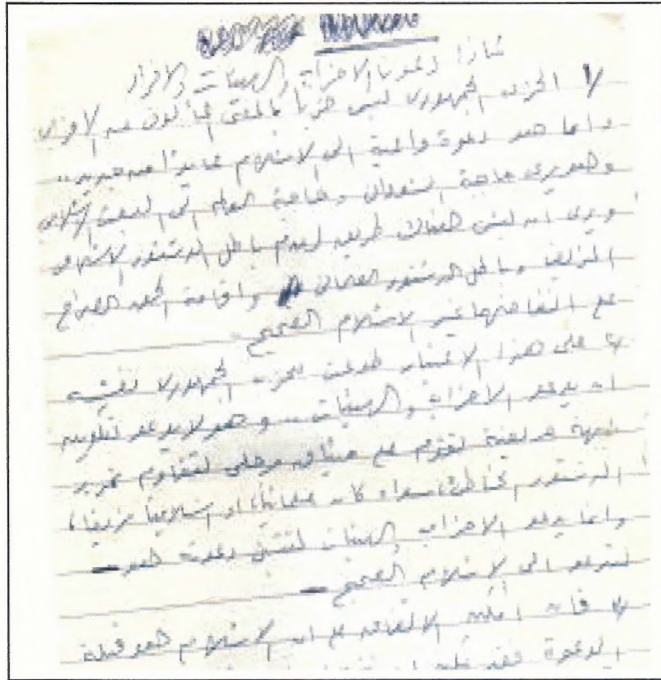
محمود محمد طه

الجمعة 10 جماد الأولى 1373هـ

الموافق 15 يناير 1954

جريدة الجمهورية العدد الأول

تعريف الأستاذ للحزب الجمهوري



الوثيقة موضحة أدناه:

لماذا دعونا الأحزاب والهيئات والأفراد

- (1) **الحزب الجمهوري** ليس حزباً بالمعنى المألوف عن الأحزاب وإنما هو دعوة ، واعية للإسلام ، عائدًا من جديد . . وهو يرى حاجة السودان ، وحاجة العالم إلى البعث الإسلامي ، ويرى أن ليس هناك طريق لهدم باطل الدستور الإسلامي المزيف ، وباطل الدستور العلماني ، وإقامة الحق الصراح ، على أنقاضهما ، غير الإسلام الصحيح .
 - (2) على هذا الاعتبار طوعت للحزب الجمهوري نفسه أن يدعو الأحزاب والهيئات . . وهو لا يدعو لتكوين جبهة عريضة ، تقوم على ميثاق مرحلي ، لتقاوم ، تمرير الدستور الخاطئ ، سوى كان علمانياً أو إسلامياً مزيفاً ، وإنما يدعو الأحزاب والهيئات ، لتبني دعوته هو - لتدعو إلى الإسلام الصحيح -
 - (3) فإن أمكن الاتفاق على أن الإسلام هو قبلة الدعوة ، فقد يمكن أن تختلف في التفاصيل ، وقد يمكن أن نتفق على هذا الاختلاف ، ريثما يجيء الاتفاق الشامل الكامل ، لأن الحق واحد ، والالتقاء التام عليه ممكن . .
- المسألة قد تكون مسألة زمن ووقت



المؤلفة د. بتول مختار محمد طه

مقدمة

بدأت فكرة هذا الكتاب تختلج في نفسى منذ عدة سنوات ولكن ثمة حذر وهيبة كانتا تقبضان يدي عن الخوض فى عمق حياة الأستاذ محمود العظيمة ، تلك الحياة التي لا أدعي تمام الإحاطة بها ولكن هناك الكثير الذي أخذ عقلي واستقر في أعماقي وجعلنى أحس إحساساً عميقاً أن الأمانة تقتضي على أن أسجل كل ماتعلق بحياتي وملاحظاتى الخاصة عن بعض لمحات تلك الحياة ، عليها تكون نبراساً وهدى لمن إقتنع بها و أراد ان يقوم نفسه على ذات النهج . .

الحديث عن حياة الأستاذ محمود ، دخول في عمق إنساني غريب له أبعادٌ معنوية ومساحات شاسعة قلما تتوفر لمحات منها في حياة البشر وإذا توفرت مجتمعه في رجل واحد فهذا أس الغرابة الذي يجعلها تستحق التسجيل . .

من أبرز معالم تلك الحياة هو الحب العميق للناس ، للأحياء والأشياء والصدق مع النفس ، ومع الناس ولعل هذا ما جعل كل من عرفه يتعلق به . . وهناك الكثير الغريب الذى سيرد عن هذا الانسان الكنز في متن هذا الكتاب إن شاء الله . .

بدأت المحاولة في الكتابة منذ عام 1991 في بريطانيا حينما ذهبت في منحة من جامعة درم ، عن طريق جامعة الخرطوم ، لمتابعة بحثي في رسالة الدكتوراة ، ولم

يأخذ عملي في الدكتوراة وقتاً طويلاً وبقي الوقت والمكان ملائمين للكتابة في مثل هذا الموضوع وقد أبدت الجامعة موافقتها على الكتابة في ما تبقى من الوقت .

لفترة طويلة من الزمن كانت الأفكار تحتشد في ذهني والمواقف تلح . . ثم بدأت :-

اولاً حددت أبواب الكتاب ، ثم شرعت في الكتابة ، وقد كانت البداية صعبة ، وما زالت الصعوبة تلازمني ، ولكن بفضل الله فقد تيسر الأمر بعض الشيء وفي نهاية الفترة تمكنت من إنجاز المسودة ، ووضع الهيكل العام لكل الأبواب وإستلمت الجامعة العمل وعدت الى السودان وظللت انتظر الوقت المناسب لتكملة ذلك الكتاب وإعداده للقراء . . فقد كانت حكومة الإنقاذ وقتها (وبشكلها المتشدد دينياً) تجثم على صدر هذه البلاد . . وقد رأيت أن الوقت غير مناسب لأخذ المسودة معي أو أن تصلني النسخة في السودان لمواصلة العمل فيها ، ظل الحال هكذا الى وقت قريب تمكنت فيه من مواصلة الكتابة بعد أن وصلتنى المسودة من إنجلترا . . .

على مر العصور ترسخ في أذهان الكثيرين أن كل من دخل في صراع ضد السلطة الحاكمة وفاز بالحكم هو المنتصر ، وبالتالي هو الذي سيسجل له التاريخ . . . ولكن هناك صراع آخر ، ونصر من نوع جديد حققه الأستاذ محمود في هذا العصر للإنسان الأعزل من السلاح ، والزاهد في السلطة ، لم تعرفه البشرية بالشكل الذي حدث به من قبل ، نصر تبذرت فيه هيئة السلطان ، وسقط الطاغوت وعلت حرية الفكر وكلمة الحق أمام السلطان الجائر ، وبقي الأستاذ

محمود بعد الإستشهاد رمزاً لحرية الفكر حياً في ضمير من إغتالوه، يورقهم ويغض مضاجعهم بنفس القدر الذي هو حي به في قلوب وعقول الذين أحبوه، وأحبوا الإنسان، وعشقوا الحرية يشعل فيهم الحماس، والإصرار على الحقوق الأساسية والحياة الكريمة، وأضحى نصباً للحرية في ضمير كل حر . . . من هنا دخلت الحياة في منعطف جديد، يحتم إعادة كتابة التاريخ من جديد .

للإستاذ محمود حياة واسعة مليئة بالفكر والحيوية والعمل الدؤوب . . ولهذه الحياة ايضاً خاصيتها وأسرارها، وهذا ما لا أدعي فيه كثير معرفة . .

عمل الأستاذ محمود في القطاع العام والخاص وتنقل في مدن السودان المختلفة ثم عمل في الحقل السياسي والثقافي، وطاف كل أقاليم ومدن السودان في حملات دعويه شارحاً فيها دعوته الجديدة للتبشير بالإسلام في وضوح و شجاعة منقطعة النظير . . . سجل رأياً صريحاً وقوياً في كل الأحداث السياسية العالمية والمحلية . . .

على مدى سنوات عمله في مواقعه المختلفة، عرفه الكثيرون وترك في نفوسهم من الأثر، ما يمكنهم من الكتابه عنه كما فعلت، فالرجل كما قلت كنز لا يفنى . .

أنا لا أدعي فهما شاملاً لحياته، كما أنني لا أحصيها في هذه الصفحات وإنما اكتب مذكرات عن القدر الذي عايشته وعرفته جيداً وذلك بإلقاء الضوء على الأحداث حسب ترتيبها الزمني في - كثير من الحالات - أرجو أن يكون هذا العمل مرضياً عنده . . فأنا إبنة شقيقه الأصغر مختار محمد طه، وقد قام الأستاذ محمود

بمهمة رعايتنا وتربيتنا وتعليمنا جميعاً أنا وإخوتي بعد وفاة والدنا مختار في بداية الخمسينات وقد كنا وقتها صغاراً دون مستوى المدارس . .

كنت الخامسة بين تسعة أطفال ولكني كنت دائماً قريبة منه منذ طفولتي فقد أحسست بغربته منذ وقت مبكر ، فعشت لصيقة به ورافقته منذ طفولتي الباكرة طوال حياتي حتي يناير 1985 فهو والدي ، وأستاذي ، وصديقي ، كان دائماً يقول لي (أنا راضي عنك تمام الرضا) فارجو ان يصب هذا الكتاب في مجال الرضا عنده ، كما أنه لم يتبع اسلوباً متشدداً في تربيتنا ، بل كان دائماً قريباً من قلوبنا ، قومنا بسلوكه القويم ، وبالقدوة التي جسدها لنا ، هذا من ناحية الحياة . وأما من ناحية الفكر ، فقد صدقته بإيمان في كل أفكاره وأقواله وأعماله ، فهو نافذتي على عالم (اللامحدود) وقد وضعني على قمة قيادة الأخوات الجمهوريات . . كما كنت حلقة الوصل بينه وبين أفراد الأسرة وبينه وبين الجمهوريات فقد قال لهن في إحدى الجلسات السلوكية الخاصة بالجمهوريات (بتول عيوني داخل المنزل) . عزمي على الكتابة عنه يرجع لأسباب عدة أولها أنني قد أخذت بتلك الحياة الخصبة الخلاقة العامرة بالمحبة لله وللناس . . ثانياً أريد لحياته أن تُسجل وتُحفظ بنقائها وطهرها فهي نموذج أصيل للرجال والنساء الأحرار . . حياته هي الأساس لفكره وليس هناك تناقض بينهما وقد عاش وطبق كل ما دعا إليه من مبادئ فقد قال في محاضرة له بعنوان الموقف السياسي الراهن : (قد لا أكون أعلم كل شيء ولكن بالتأكيد كل البعلمو بعملو) إنتهى .

مصادري للمعلومات للفترة من 1910 وماقبلها (تشمل حياة والديه) الي 1960م هو ما كان يقصه عليّ ، فقد كان في مناسبات مختلفة يحكي لي لمحات من

حياة أسرته وفي إحدى زياراتي له في فترة إعتقاله الأخير 1984م، وعلى مدى ساعات طوال حكى لي قصة حياة أسرته وطفولته بما أسماه (قراءة الأيام) وإن كان قد ذكر لي بعض جوانب منها، في أوقات كثيرة متفرقة على مدى سنوات طوال . . وستكون قراءة الأيام هذه هي مركزية ما سأكتب عن حياته والمصدر الذي يلي ذلك، هو ما قرأته من كتاباته وأما الفترة من 1960 وحتى 17 يناير 1985، فهي من إلمامي ومتابعتي الخاصة لأحداث تلك الفترة، ثم من أقواله المتواصلة لي ومن كتاباته أيضاً .

لعب الكثيرون ادواراً مختلفة ومتفاوتة في الحركة وتفاعلوا معها، ولكن نسبة لأن الأستاذ محمود كان المحرك الفعلي الوحيد وراء كل الأحداث فإنني سوف لا أركز على كل هذه الشخصيات وإنما أشير إليها كلما كان ذلك ضرورياً . تركيزي الأساسي هو على شخصه ومواقفه، فهو المحور الأساسي لكل الحوادث في مسيرة الفكرة الجمهورية وفي حياته الخاصة .

كلما مرت السنوات كانت حياته تخرج عن إطار حياة الرجل العادي في مثل سنه الى الإطار الذي إختاره هو : " العبادة والتأمل ، والتأليف ، والرياضة الروحية في الصوم ، والصلاة ، والذكر ، والمحاضرات ، والندوات ، وتقديم العون والإحسان للناس الى أبعد الحدود . . . " ثم متابعة الحركة والوفود التي كان يرسلها الى مدن السودان المختلفة لنشر الفكر الجمهوري وكل الوقت مبذول لتربية وإعادة صياغة وتعليم كل الذين إنتموا الى فكره من الأطفال والنساء والرجال من مختلف الأعمار علي النهج الإنساني القويم الذي أعده، وذلك بحضورهم في جلسات طويلة يعلمهم فيها الأدب والسلوك الديمقراطي السليم مثل (تعلموا

كيف تصلون)، (تعلموا كيف تتعاملون) (تعلموا كيف تتعلمون)، وكذلك عرض كل الأمور المتعلقة ببرامج الفكرة الجمهورية وتحركات الناس لأعمالهم ونشاطاتهم في النقاشات ومراجعة السلوك الفردي داخل المجتمع الجمهورى وخارجه .

المجتمع كان عبارة عن مدرسة مقسمة بين منازل الأخوان الجمهوريين من الطلبة وغير المتزوجين والذين يفدون من الاقاليم وجميعهم يقيمون فى منازل عبارة عن مدارس ، يشرف عليها أكثرهم إماماً وتطبيقاً للفكر الجمهورى ، كما يقضون كثيراً من الوقت في صالون منزله الذى أطلق عليه أسم : (بيت الأخوات) وهو مدرسة أقوم أنا بإدارتها تحت إشرافه المباشر .

سارت الأمور على هذا النهج الى أن نهض لمعارضة نظام جعفر نميري (1969/ 1985) حين فرض على السودانين القوانين المذلة والمشوهة للإسلام عام 1983 ، والتي أطلق عليها الأستاذ إسم (قوانين سبتمبر 1983) ليؤكد بعدها عن الإسلام ، والتي إنتهت بإغتياله على يد الطاغية نميري .

من موقف الأستاذ هذا أمام الطغاة ومواجهته للموت بإبتسامة ، يتوجب إعادة كتابة التاريخ من جديد بأسلوب يختلف عن الأسلوب الذى عهدناه (تسجيل للحكام) ، إذ أن حقيقة التاريخ هو سير (الانسان) في الزمن ليصل الى القمة التي من أجلها خلقت (إني جاعل في الأرض خليفة) . وهذا ما أشار إليه الأستاذ في إهداء كتابه " الرسالة الثانية من الإسلام " حيث قال :

الإهداء

(إلى الإنسانية !

بشرى . . وتحية .

بشرى بأن الله إدخر لها من كمال حياة

الفكر ، وحياة الشعور ، مالا عين رأت ،

ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وتحية للرجل وهو يمتخض ، اليوم ، في

أحشائها ، وقد إشتد بها الطلق ، وتنفس

صبح الميلاد .)

والبشرية اليوم تسير في التيه ولسان حالها ينتظر شروق يوم الميلاد .

الفصل الأول

640 م - 1910 م تاريخ الأسرة وماقبلها

بعد إنتهاء فترة الخلافة الراشدة وبداية الفتنة الكبرى رأى الصوفية أن الدنيا قد بدأت تفرض سلطانها على الدين كما قال النبي الكريم: (الخلافة بعدي ثلاثون عاماً ثم تصير ملكاً عضوداً)، ففروا بدينهم إلى الفلوات وبلاد الدنيا، حفاظاً عليه، وقد بدأ نشر الإسلام في السودان عن طريق الصوفية وذلك قبل حملة عبد الله ابن أبي السرح إلى أرض السودان في عام 643 م 18 هجرية (الغزو الرسمي الذي توقف في دنقلا).

جاء ضمن هذه الهجرات جده غلام الله بن عايد*⁽¹⁾ قادماً من اليمن وإستقر في دنقلا وكان يعمل على نشر تعاليم الإسلام وتحفيظ القرآن وقد جاء في التاريخ أنه اول من بنى مسجداً في السودان في مدينة دنقلا يسمى مسجد غلام الله وهو أول مسجد في السودان وثاني مسجد في أفريقيا بعد الفسفاط .

يرجع نسب والده محمد طه مالك الفضل إلى ركاب بن غلام الله بن عايد، وعائد هو سليل جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن على بن ابي طالب وزوجته السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، (أنظر شجرة النسب)، (راجع كتاب الطبقات قبائل ومشايخ السودان)، وعرف آل محمد طه بالركابية نسبة إلى جدهم ركاب بن غلام الله ومقرهم قرية مورا مركز دنقلا بالمديرية الشمالية وهذه القرية تعتبر المركز الأول لقبيلة الركابية في السودان، كما سكن بعضهم كورتي شرق والعفاط، ثم نزحوا إلى وسط السودان قبل المهديّة وقد عمل بعضهم مع الحكومة التركية، وفي

(1) سمي غلام الله لأنه عندما كان طفلاً في اليمن إحترق منزل أسرته عن آخره وهو بداخله وعندما دخلوا عليه وجدوه حياً لم تحرقه النار فقالوا عنه هذا غلام الله وأسمه الحقيقي أحمد .

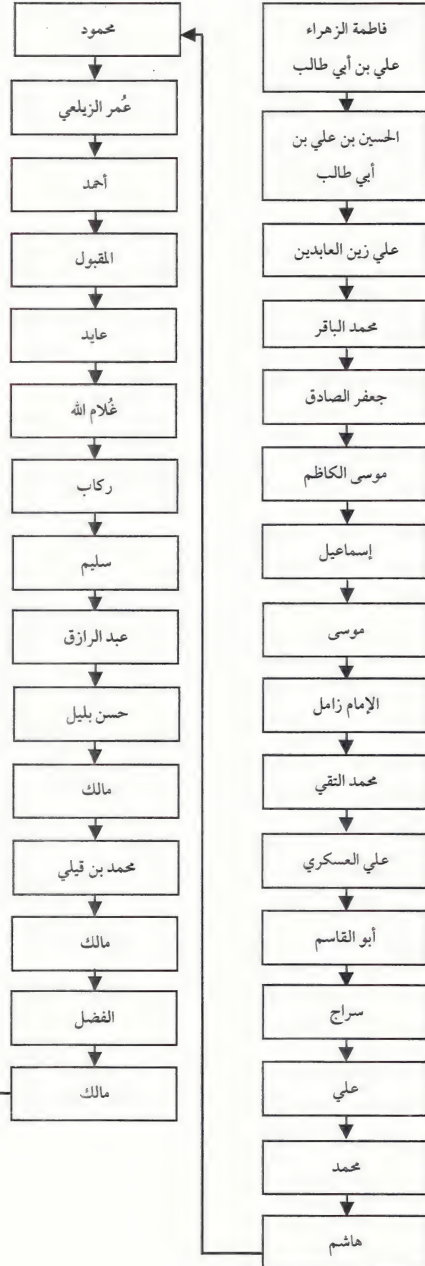
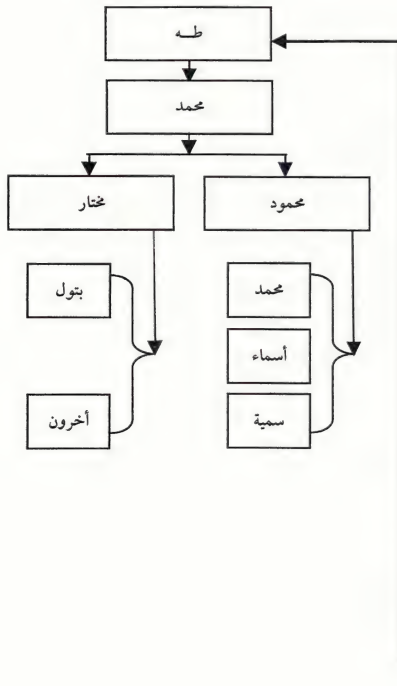
فترة المهديّة تحرّكت مجموعات منهم إلى أمدرمان وإستقروا في الحي الذي سُمي بحَي
الركابية ، ثم اختلف بعضهم مع الخليفة عبد الله التعايشي فنزحوا إلى البطانة ،
وبعد هزيمة الخليفة عبد الله التعايشي ازدادت هجراتهم إلى بارا وأرض البطانة
القضارف ورفاعة حيث سكن عدد كبير منهم في الدير برفاعة وظهروا كأُسرة
واحدة وعملوا في التجارة والزراعة

شجرة نسب الأستاذ محمود محمد طه

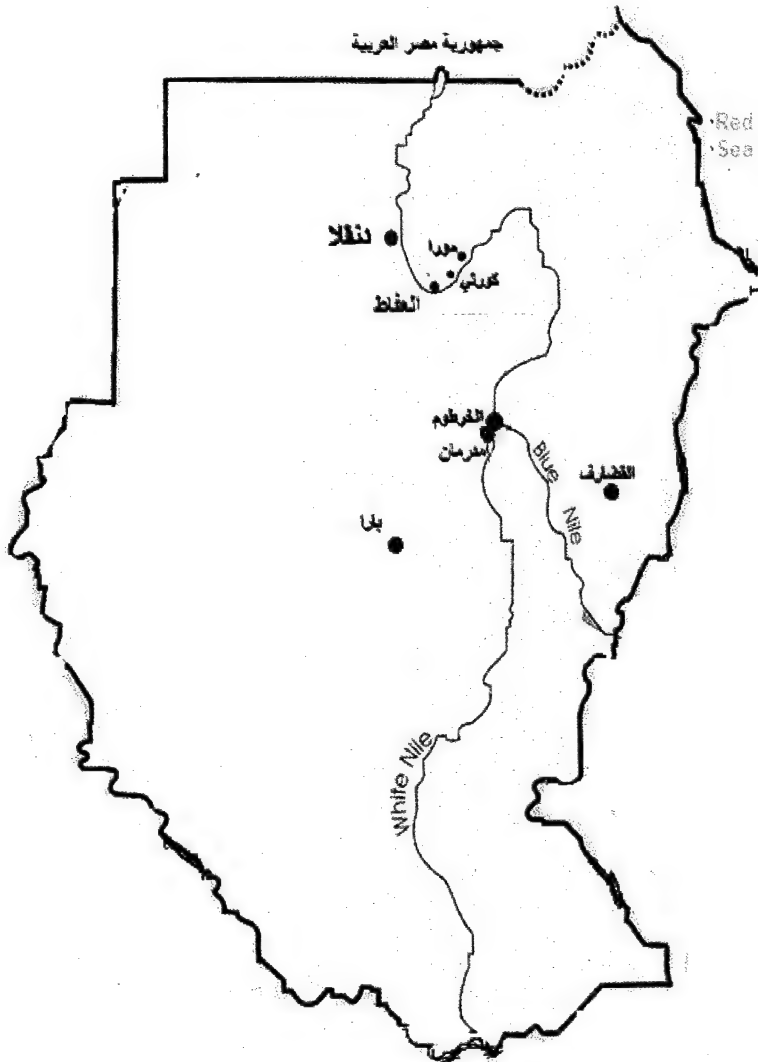


الأستاذ يوقف الذكر وكأنه يقول ..

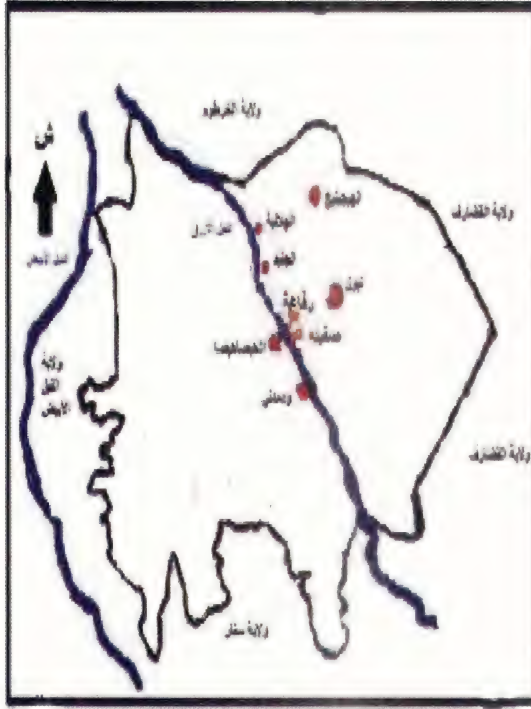
(هلموا إلينا)



مواقع الركابية في السودان



النيل الأزرق (ولاية الجزيرة حالياً)



المفتاح :

- صفيته ، حيث قبرت والدته ومقر أسراتها
- الهيجيليج ، نشأ فيها وقبر فيها والده
- رفاعة ، ولد فيها وقضي فيها الخلوة الاختيارية

ومقر زراعتهم في قرية ، الهجيليج حيث إمتلكوا الأراضي وعاشوا في وئام مع قبيلة السدارنة الذين سبقوهم الى المنطقه (السدراة أصلهم محس يرجع نسبهم إلى عبيد*⁽²⁾ بن ابي بن كعب الأنصاري دخلوا شمال السودان وكانوا يقطنون بين الشلالين وقد إنتشروا في عدة مناطق في النيل الأزرق وإستقروا في أرض البطانة ، وموضع إهتمامنا هنا الذين إستقروا في الهجيليج حيث إختلطوا مع الركابية أهل محمد طه وعاشوا في وئام وسلام وتزاوجوا مع بعضهم البعض وعاش محمد طه وسطهم وكان محبوبا بينهم كما سيظهر في الصفحات التالية).

أما والددة الأستاذ محمود فهي فاطمه محمود حسين من قبيلة الكنوز البديرية من شمال السودان ، جاء والدها محمود حسين من الريف المصري وكان يعمل في الجيش التركي . ووالدتها تدعى زينب بنت حمزة ، رحلت أسرتها من الشمالية وإستقرت في قرية صفيتة غرب مدينة رفاعة في مديرية النيل الأزرق (حالياً ولاية الجزيرة) (أنظر الملاحق : الخريطة).

إلتقى محمد طه بفاطمه محمود حسين في منزل ابنة خالتها فاطمة بنت ضرار زوجة عبد الله الغول في مدينة أمدرمان حي بيت المال ، وقد جاءت فاطمة مع أسرتها لحضور حفل زواج في الأسرة وكان محمد طه يقرب لرب الأسرة عبد الله الغول . وبعد تلك المناسبة ذهب محمد طه الى أهلها وتقدم لخطبتها وتم الزواج ورحل بها حيث إستقرت معه في منزله القائم على شاطئ النيل الأزرق في مدينة رفاعة في حي صغير يقع غرب المدينة يعرف بأسم الديم الغربى وقد كانت معهم جدتهم زينب بنت حمزة والددة فاطمة . .

(2) المصدر كتاب نعوم شوقير جغرافية وتاريخ السودان صفحة 61 بيروت 1967

الأبناء والبنات:-

أنجب محمد طه وفاطمة خمسة من الأبناء والبنات وكانوا على التوالي بتول 1907م، ثم كلثوم 1909م وجاء بعدهن الأستاذ محمود 1911⁽³⁾ ثم مختار 1913 وأخيراً أحمد المصطفى 1915م وحين أنجبت فاطمة طفلها الأخير أحمد المصطفى روى لي الأستاذ محمود أنها قالت : (أحمد المصطفى منه الولادة كفى)، يعني أنها لن تنجب أطفالاً بعده، وحدث ذلك فعلاً فقد توفي أحمد المصطفى بعد ولادته، وقد أصيبت فاطمة بداء السحائي (الحمى النخاعية) وتوفيت في ذلك العام ودفنت في قرية صفيتة مقر أسرتها وقال لي الأستاذ محمود أن قبرها مجهول لديهم. وفي نفس العام أيضاً توفي الشيخ طه أحمد البدوي وهو من كبار الصوفية في المنطقة، وتم دفنه في رفاعه، وقامت حوله مقابر أهل المدينة، وقال لي الأستاذ محمود أن وباء السحائي الذي حصده العديد من الأرواح قد رُفع عن الناس في ذلك العام. . كما قال لي أيضاً أن مثل هذا الوباء عند ما يقع لا يرفع إلا بوفاة شخص صالح يكون بمثابة فداء للناس*⁽⁴⁾ وقد تم الفداء ورفع البلاء. . وحكى لي تبعاً لذلك وقائع أوبئة كثيرة حدثت في السودان ورفعت بعد وفاة رجل صالح وقد كانت هذه القصص إشارات لأحداث كبيرة ستأتى فيما بعد وسوف انطرق

(3) وردت إفتراضات عن ميلاد الأستاذ محمود منها 1909 ، 1910 ، 1911 والراجع 1911 لأن والدتهم فاطمة محمود حسين توفيت عام 1915 بداء السحائي وهذا تاريخ مؤكد لأنه نفس العام الذي توفي فيه الشيخ طه وقد أنجبت فيه فاطمة أحمد المصطفى 1915 وقياساً على هذا فإن تاريخ ميلاد مختار 1913 ومحمود 1911، فقد قال الأستاذ ذات مرة (ان الناس يولدون ولا أحد يهتم لميلادهم ولكن عندما يصبحوا عظماء يبحث الناس عن تاريخ ميلادهم)، وهذا ما حدث فعلاً في البحث عن تاريخ ميلاد الأستاذ.

(4) الفداء معتقد صوفي ثابت

لها في حينها . . بعد وفاة الوالدة فاطمة محمود حسين ، بقى الولدان محمود ومختار والبنتان بتول وكلتوم أيتاماً وقد قامت برعايتهم جدتهم لوالدتهم زينب بنت حمزة مع مربيتهم ربي جود ، وزايد المال .

عمل والدهم محمد طه :-

كان والدهم محمد طه تاجراً يعمل في تجارة العطور وفي نفس الوقت يعمل في الزراعة يزرع الخضروات والذرة في مزرعة بقرية الهيجيليج ، تبعد هذه القرية حوالي 15 كيلومتر من مدينة رفاعا وتقع في المنطقة الشرقية بين خطي عرض 35 /5 و 33 /30 وخطي طول 14 /45 و 15 في شرق النيل الأزرق وهي منطقة ذات مناخ جاف بارد شتاء وحار صيفاً وفي فصل الخريف تتأثر المنطقة بالرياح الموسمية المحلية الرطبة والتي تتسبب في هطول الأمطار لمدة أربعة أشهر من العام (أنظر الخريطة) ويعمل كل سكان هذه المنطقة في الزراعة وقد أصبحت هذه القرية أكثر أهمية بعد قيام مصنع الجنيد للسكر في الستينيات من القرن الماضي ، إذ أصبحت تمد المصنع بقصب السكر الذي يقوم بزراعة مزارعو هذه القرية وملاك أرضها وتبعاً لذلك فقد تحسنت الأوضاع الاقتصادية لأهالي القرية . . .

نهج حياة الأسرة:-

كان محمد طه يقيم في مدينة رفاعا ، في فصلي الشتاء والصيف ، ثم ينزح في فصل الخريف (موسم الزراعة) الى قرية الهيجيليج حال أهل رفاعا حيث يقوم بمباشرة عمله في الزراعة وقد عرف محمد طه بشجاعته وكرمه وأسلوبه المتميز في الحياة . . فقد كان ميسور الحال يستدين منه أهل القرية وعندما يحتاج الى ماله

لا يطلبهم حقه وإنما يكتفى بأن يمر على مجموعاتهم في طريق عودته من العمل الى منزله ويحييهم بقوله : (السلام عليكم . . ود طه بسلم عليكم . .) وكانوا سرعان ما يفهمون قصده ويعيدون له أمواله .

ومن أخبار شجاعته قيل أن التجار في ذلك الزمان كانوا يخافون اللصوص وقطاع الطرق والحيوانات المفترسة في أسفارهم ، ولا يسافرون إلا في مجموعات ولكن محمد طه كان يسافر منفرداً وكان يخشاه قطاع الطرق ، وحين يقابلونه يحونه وينصرفون عنه وقال لي الأستاذ محمود أنه يذكر وهو في السابعة من عمره كان يرافق والده في بعض أسفاره وكان لا يخشى مخاطر الطريق . . وقد قالت لي أمنا ربي جود أيضاً أنها سافرت معه وكانت الطرق وعرة ، وكانت تقابلهم الوحوش ولكنه كان لا يعبأ بها بل يسير في طريقة ولا تقربة . . . حكى لي أيضاً الأستاذ محمود أن لهذه الأسرة تاريخاً فريداً في الشهامة فقد قُتل جد محمد طه أسمه الفضل وهو عريس في أسبوعه الأول حينما نشبت مشاجرة بين رجلين من أهالي الحي وأسرع الفضل ليفصل بين الرجلين ، وأراد أحدهم أن يضرب الآخر فسقطت الضربة على الفضل ، وتوفى في الحال وخرجت والدته العروس لتنبه الجمع بأن الفضل قد دخل بإبنتها ، وقد تم الزواج قبل أيام وذلك تحفظاً من الجدة إذا ما ظهر حمل يكون معروفاً لدى الناس وبعد أشهر ظهر أن زوجة الفضل تحمل طفلاً هو مالك والد محمد طه وقد علق الأستاذ محمود على تلك الحادثة مشيداً بحكمة تلك المرأة . . قيل أن مالك هذا كان كثير الذكر لله ، وكان لسانه دائماً يلهج بالذكر لدرجة أنه عند ما يدخل دورة المياه كان يمسك بلسانه بين أسنانه ليوقف الذكر حتى يخرج إلى المكان الطاهر . .

هجرة الأطفال الأولى من المدينة إلى القرية :-

كان لمحمد طه فلسفته الخاصة في الحياة فلم يكن يتفق تماماً مع أساليب الحياة في المدينة، ولا مع ممن كانوا يتمسكون بها، وكان يريد لأبنائه أن ينشأوا في القرية ليكتسبوا أصائل الطباع مثل الكرم، والشجاعة، والمروءة، وكل القيم الإنسانية الأخرى التي توجد في القرية أكثر مما هي في المدينة، الكثيرون من الناس في ذلك الزمان كانوا يرسلون أبناءهم الى البادية ليرضعوهم في البادية وتفتح عيونهم في البادية .

بعد وفاة زوجته كره محمد طه ذلك المنزل ورحل باطفاله الى قرية الهجيليج، وكان ذلك في عام 1915م، وقد صور لي الأستاذ محمود مشهد ذلك الخروج بقوله : (خرج محمد طه بأطفاله من المدينة، أربعة أطفال (بنيتين وولدين) في هودج على ظهر جمل، في يوم ممطر يعبرون الأراضي الواسعة ليواجهوا حياة جديدة في مكان جديد) إنتهى . .

لا يذكر الأستاذ محمود شيئاً عن والدته إلا ما قصته عليه عنها صاحباتها، فقد عرف عنها أنها كانت جميلة ذات قوام قض وكانت تجتهد في التزين لتبدو أكثر جمالاً وعلى ضوء هذه الأوصاف كان في ذات يوم يمزح معي في لطف، ليقارن بيني وبين جدتي . . . ولكن أردف قائلاً: (لكن أنتى إمتزنى عليها بالتعليم ولكل زمان متطلباته)، كانت مثل هذه التعليقات تصدر منه من حين لآخر وكنت أشعر فيها بالراحة واللطف . . بناء على ما سمعه عن والدته وما عرفه عن والده، كان عندما يتحدث عنهما وعن سيرتهما ومواقفهما، كنت احس منه أنهما شخصان (خاصان) وأن هناك إختيارات إلهية غريبة جمعت بينهما ولازمتهما في مسيرة حياتهما .

بالرغم من أن الأستاذ لا يتذكر شيئاً عن والدته فهو يتذكر بعض الأشياء عن والده فقد كان كما قال : (أنه رجل أسمر نحيف طويل القامة وله شعر أسود كثيف على صدره) كما قال أنه يتذكر ، أنه قد ساعد والده في أسفاره للتجارة ، وفي الزراعة في مزرعته . كما قال أنه إعتاد أن يساعد والده في أعباء المنزل فقد كان يحضر الماء من النهر علي ظهر حماره (لم تكن توجد فى ذلك الوقت شبكة مياه فى القرية) ، وأردف : (أن مدخل الشاطئ كان عالياً وكانت الحمامة تنزل للماء وتخرج بمشقة وهى تحمل الماء فكنت عندما أذهب مع أقراني من الحي لإحضار الماء أنزل بحمارتي وأملا وأخرج بالحمامة من الشاطئ العالي محملة بالماء تخرج بعناء فتدور حول نفسها من ثقل الحمل وكنت أعطف عليها) وقال أنه (قد نشأت بينه وبين تلك الحمامة علاقة تعاطف حيث أصبح لا يتحمل أذاها وكان عندما يملأ الماء لا ينتظر أقرانه بل يذهب حتى لا يؤذي الحمامة . .) وقد ظللت أحفظ هذه القصة في ذهني دليل على رهافة الحس وهو مازال طفلاً في السابعة من عمره .

1915-1920 الحياة في القرية ووفاة الوالد:-

في قرية الهيجيليج إستقرت الأسرة في منزل كبير بالقرب من المزرعة (مازال هذا المنزل موجوداً يسكنه أحد أقرباء الأسرة فقد أهدها له الأستاذ محمود) .

واصل محمد طه أعماله في الزراعة والتجارة وحين بلغ محمود سن السابعة قال : (أنه مع أخيه مختار دخل الخلوة في القرية ولكنه لم يحفظ القرآن . . وقد تدرب على المساعدة في الزراعة وأمور الأسرة . . كان محمد طه يهتم بولديه إهتماماً كبيراً ويسهر على راحتهم ، وقد لاحظ هذا الإهتمام صديقه الشيخ بشير ود آدم ، شيخ السدارنة في الهيجيليج ، فقد كانت روابط المحبة بينهم قوية ، كان بشير يقول

لمحمد طه (إنت تعبان في الأولاد ديل إنشاء الله ينفعوك) وكان محمد طه يرد على صديقه (والله كان الله آحيك الأولاد ديل أمانة ماتشوف فيهم شوف ، كان في طاقة في السماء يدخلوا منها)*⁽⁵⁾

ولكن لم يمض وقت طويل حتى روع الأطفال ب وفاة والدهم ، وقد كان ذلك في عام 1920م فقد حزنّت عليه القرية حزناً شديداً وأجتمع الرجال والنساء يضربون النحاس ويككون بكاء مُراً ويرددون عبارات (يا ابويا هوي ، يا ابويا هوي ، يا ابويا هوي) وقد قيل أن النحاس عندهم لا يضرب إلا حين وفاة عظيم بينهم ، وقد حكى لي الأستاذ محمود أنه عند الوفاة حضر أهل محمد طه من الركابية ليأخذوه لدفنه في رفاة حيث قبيلته كما أعترضوا على ضرب النحاس وأمروا بوقفه ، ولكن أهل الهيجليج وهم قبيلة السدارنة رفضوا أن يعطوه أباهم قائلين : (ود طه لا قعد معاكم ولا حقكم ، حقنا نحن ، ونبيكه على طريقتنا) ، وفعلاً تم دفنه في الهيجليج في مقابر تدعى (ود أب حامد) قيل أن محمد طه قد دفن بين شجرتين في تلك المقابر .

ترك محمد طه لأبنائه الأرض الزراعية وعدد من الماشية وكتب للبتين كلتوم وبتول بعض هذه الأشياء وما زالت تلك الكتابات موجودة . كان حب السدارنة لمحمد طه شديداً وكانوا يريدون أن يحتفظوا بأبنائه من بعده ، وعندما تزوجت كلتوم ابنته من رجل من قبيلة الركابية غضب السدارنة غضباً شديداً وإعترضوا على الزواج وعلى رحيل كلتوم إلى رفاة بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك وكتبوا هجاء في الركابية الذين تسببوا في ذلك الزواج)*⁽⁶⁾ .

(5) مقابلة مع الأستاذ معتصم محمد الحسن محبوب محمد خير من أعيان الركابية بمدينة رفاة .

(6) (الأستاذ معتصم - المصدر السابق فبراير 2010) .

بعد وفاة محمد طه وعندما كبر الأسناذ ودخل الحياة العملية ظل وفياً وبراً بأهل تلك القرية فقد أهدي أراضي والده الزراعية وأراضى بعض إخوته للمحتاجين من سكانها .

قال الأستاذ محمود : (أن سكان تلك القرية قد عانوا كثيراً في المهدية ، فقد حكى له كبار السن في القرية أنهم عانوا من الجوع وقلة الموارد ، حتى قد أصيبوا بالعشى الليلي ، وكانوا يجتمعون لتناول وجبة العشاء في مكان معلوم في القرية ، ولكنهم لا يبصرون ليلاً ، ولذلك كانوا يضربون مسماراً كبيراً في ذلك المكان الذي يريدون تناول الأكل أمامه ، ثم يربطون عليه حبلاً ، كل حبل يصل إلى منزل كل فرد منهم يربطه على قدمه ، وبعد غياب الشمس يتتبع كل منهم ذلك الحبل حتي يصل الى مكان العشاء ، كما أن سكان هذه القرية قد عانوا من هجمات الجهادية (جنود المهدي) حيث كانوا يهجمون فجأة على القرية ويسلبون الملابس الجديدة من أهلها ويأخذون الطعام من كل من يوجد عنده طعام أو حتى دقيق!! ولكبار القرية قصص كثيرة عن معاناتهم في المهدية).

الأستاذ محمود بصفته مقيماً في الخرطوم ، فقد ساعد أهل تلك القرية في تطوير قريتهم بما له من صلات مع المسؤولين ، بفتح المدارس والمراكز الصحية ، كما قام بإيواء بعض أبنائهم في منزله بأمر درمان ، وساعد في تعليمهم ، كذلك آخى بينهم ، فقد كانت القرية دائماً منقسمة على نفسها ، بين قبيلة السدارنة فيما بينها وأطراف أخرى ، كل منها تعترض على أي عمل تقوم به الجهة الثانية ، حتى أثر ذلك الخلاف على نمو وتطور الخدمات في القرية .

بذل الأستاذ محمود مجهوداً في المواجهة بين الفريقين ، وكان يرسل بعض الأخوان الجمهوريين لهذه القرية بين حين وآخر لمتابعة الصلح وعندما إلتأم الشمل فى عام 1982م سعد الأستاذ كثيراً بذلك الصلح وكتب الخطاب التالي لأبناء القرية مهتناً :-

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يوم الاحد 26 / 9 / 1982م ، وقفة عرفة لحج عام 1402هـ

إبني خالد ، إبني إبراهيم عبد الهادي أهلي وعشيرتي أهل الهجيليج كباراً وصغاراً نساءً ورجالاً حفظكم الله جميعاً . .

التحية الطيبة المباركة عليكم جميعاً ، والمحبة الشاملة ، التامة لكم جميعاً . .
لقد سررت غاية السرور عندما وصلنى جواب إبني إبراهيم عبد الهادى ، يحوي مشروع الصلح الذي تم بين أهلى وعشيرتي ناس الهجيليج ، وكان الخبر قبل ذلك بقليل قد وصلني من إبني محمد زين محمد طاهر بابكر ، فله الحمد أولاً وأخراً وله الشكر . . إن وحدة الصف هي أس نجاح كل مسعى ، في أمر الدين ، وأمر الدنيا . . وإن قرية الهجيليج تستحق أحسن وضع في أمر دنياها ، وأمر دينها . . وإني أكاد أرى مستقبلها ، هذا بعون الله وبتوفيقه .

إنى أعتر وأفخر بإنتسابى إليكم ، وأذكر ، بكل الخير ، نشأتى بينكم ، وبين آبائكم ، وأجدادكم ، منذ طفولتي الباكرة ، ولذلك ، فما في الدنيا خير إلا أبغيه لكم وأسعى فى توصيله إليكم . .

وأنا أكلف بجوابي هذا ، الذى يحمله إليكم وفد من أبنائى من العاصمة ،
أكلف ابنى خالد وأخوانه ، أن يقوموا على رأس هذا الوفد ليحضروا جميعاً أول
صلاة عيد موحدة ، بعد فرقة ، وإنشعاب ، إستمر بعض الوقت في القرية العزيزة ،
وآمل أن يديم الله عليكم الوفاق ، وأن يلقيكم السداد والنجاح في أمر معاشكم
وأمر معادكم إنه سميع مجيب .

حفظكم الله جميعاً . .

أخوكم ووالدكم

محمود محمد طه . .) إنتهى

وفي السنوات الأخيرة إنضم الكثيرون منهم الى الفكرة الجمهورية وكان
عندما يزوره بعض الرجال من أهل القرية يسألهم عن زملاء الدراسة والصبا
القدامي ويذكرهم حتى بأسماء اللعب مثل (الكذك) او الأسماء التى يطلقها
الأطفال على بعضهم البعض . . . كانوا يتعجبون من قوة ذاكرته وتقديره
لأصحابه القدامى . . وفي فترة إعتقال الأستاذ محمود الأخيرة ، حضر وفد من
أهالي تلك القرية ، وبتوحد وبساطة أهل الريف اقدموا نحو معتقل الأستاذ بعربة
كبيرة وتوجهوا نحو بوابة المعتقل وكأنهم يزورنه في منزله ، وعندما سألهم رجل
الأمن ، من أنتم؟ قالوا: (جئنا لزيارة الأستاذ) ، فأعتقلهم جميعاً وكادوا أن يدخلوا
في مشكلة مع قادة جهاز الأمن ، ثم أطلق سراحهم .

الأسرة بعد وفاة الوالد محمد طه :

بعد وفاة الوالد محمد طه واصلت المريتان ربي جود وزايد المال ، رعاية الأطفال مع جدتهم زينب بنت حمزة ، وقد كانت ربي جود أكثر نشاطاً وهمة في أعمال الزراعة ورعاية الأسرة والإحساس بالأطفال والعطف عليهم ، فقد كانت أيضاً شديدة الحب والإخلاص والوفاء لوالدتهم ، وقد قال لي الأستاذ أن ربي جود في شبابها قد عانت وواجهت الكثير من الصعاب في تربيتهم ، وقد كانت جميلة وتقدم لها الكثيرون يطلبون يدها ولكنها رفضت الزواج عدة مرات حتى تتفرغ لتربيتهم ، وقد ذكر عنها أنها كانت مربية جيدة أنشأتهم على النظام والآداب وعزة النفس ، ويذكر أنها كانت تمنعهم منعاً باتاً من تناول الطعام في منازل الآخرين ، قال لي : (في ذات مرة جاء مختار يحمل طعاماً في يده أعطته له إحدى قريبات الأسره الجارات في الحي ، وعندما رآته ربي جود غضبت غضباً شديداً وإقتادته من يده الى تلك السيدة تلومها على إطعامه بتلك الصورة ، وأعادت لها ذلك الطعام!! ووبخت مختار على ذلك). ومنذ تلك اللحظة أصبح معلوماً لديهم أن تناول الطعام ممنوع خارج المنزل وأنه مسموح لهم باللعب مع أقرانهم الى أي وقت شاؤوا ولكن في وقت الطعام يجب أن يعودوا الى المنزل ، ثم يتناولوا الوجبة بنظام معين . . وقد حكى لي ربي جود أنها كانت ترفض مبدأ الدلع في التربية ، مثلاً إذا غضب أحدهم لأي سبب ورفض الطعام ، كانت لاتحاوله حتى يعود من تلقاء نفسه وقد حدث منهم مثل ذلك مرات وعادوا عندما صرفت عنهم النظر ، وبذلك تركوا عادة رفض الطعام بسبب الغضب . .

كانت مربيتهم زايد المال مثل ربي جود، تسكن معهم في المنزل وكذلك تساعد في الأعمال المنزلية لا أعرف عنها الكثير إذ لم يحدثني الأستاذ كثيراً عنها سوى أنه قال لي ذات مرة أنها عندما تكون غير راضية عنه لقيامه بعمل ما ، تقول له (إنتي ساوه راسك الكبيره دي) وقد كان يضحك كثيراً عند ذكر تلك العبارة . . مما جعلني أعتقد أن لها مغزى خاصاً عنده .

أما جدته زينب بنت حمزة فيذكر أنها كانت امرأة متدينة وخيرة وكلمما يتحدث عنها يقول : (الصلاح امرأة) ، كانت تحبه حباً شديداً وإذا قدمت له طعاماً او حلوى تؤثره بها على نفسها ، كانت تصر عليه أن يتناولها ، وإذا طلب منها أن تتناولها هي ، كانت تقول له : (وحياة من خلقتني كان أكلتها أنت كأني أكلتها أنا) كان في مرات متفرقة يحدثني عن شفافتها ودعواتها له بالتوفيق وبالخير . . وكانت دائماً تتمنى أن يحضر وفاتها ، إذا وافاها الأجل وتقول له : (أنت تحت راسي وترجع بي ناسي) وهو تعبير سوداني محلي ، يعني أنت عند وفاتي تشرف على دفني تضع رأسي في القبر وترجع بالمشيعين لي . . . وقد كان لها فعلاً ما أرادت . . . فقد حضر وفاتها وأشرف على دفنها وكان ذلك في عام 1948م . . كنت أعتقد دائماً انه قد إستوعب حياتها في حياته ، قال أيضاً : (أن ربي جود قد رافقت زينب بنت حمزة وأنها قد تشربت الكثير من الصفات الخيرة منها) .

هجرة الأطفال الثانية من القرية إلى المدينة:-

في القرية دخل الشقيقان محمود ومختار الخلوة ولم تكن في القرية وقتها مدارس ولهذا السبب عندما بلغا سن المدارس ، عادت الأسرة مرة أخرى الى رفاة وأستقروا في منزلهم القديم الذي ولدوا فيه . وإلتحق محمود ومختار بالمدرسة

الأولية وكانا يعودان للقرية للزراعة في موسم الخريف ، ليزرعوا ويحصدوا من الذرة والخضروات مثل البامية الجافة وغيرها ما يكفي حاجتهم لمدة عام كامل ، وفي هذه الحالة قد يتغيبان عن المدرسة لفترة وكانت سلطات المدرسة لاتسألهم عن الغياب لأنها تعرف ظروفهم . وقد كان الأستاذ يقول لي : (عندما كنا صغارا لم نكن منعمين مثلكم ، فقد كنا أيتام . . كنا نعمل في سن مبكرة لنجمع قوتنا إذ لم يكن لنا أعمام ولا أخوال ولا شخص يشرف على تربيتنا) ، كانت مثل هذه القصص تثير في نفسي العطف والحزن ، وأحيانا كنا نبكي لما عانوه في طفولتهم ، وكان هو يبتسم وهو يحكي لنا كأنه كان يرى أن تلك لم تكن معاناة . وكان أحيانا يقارن بين طفولتهم وطفولتنا عندما كنا مثلاً نبالغ في إختيار الأحذية ونأخذ وقتاً طويلاً في المحل التجاري لنختار الحذاء الذي يعجبنا يقول لنا أنهم كانوا أطفالاً (كباراً) لا يلبسون أحذية ويمشون حفاةً كما قال : (انه كان من الطبيعي في ذلك الزمن أن ترى في القرية أولاداً كباراً يمشون في الطرقات " عراة ليس عليهم أي ملابس " وقد كان مثل هذا الحديث يضحكنا كثيرا . .

تقييم الأستاذ محمود لحياته الباكرة :-

للأستاذ محمود تقيمه الخاص لمسيرة حياته مبني على نظراته التوحيدية ورأيه في مسألة التسيير والتخير فقد سرد عليّ ملخصاً لحياته وحياة أخوته في إحدى زياراتي له في معتقله في منزل حكومي في شارع البلدية في الخرطوم*⁽⁷⁾ عندما أعتقلته حكومة جعفر نمري العسكرية في 9 / 6 / 1983 لمدة عام ونصف بدون

(7) فقد اعتقلت ومعني ثلاثة من الجمهوريات في عام 1983 ، واطلق سراحنا قبله في 28 / 2 / 1984 بعد 9 أشهر وعشرة ايام قضيناها في سجن امدرمان قبله ، وكانت لي زيارات منتظمة له استطعت بتوجيهه ان انظمها مع مدير القسم العقائدي في جهاز امن الدولة .

محكمة وذلك لمواجهة إحتواء نظام نميري لفلول الهوس الديني الذي أخذت السلطة تتجه نحوه ، ثم أعلنت تلك القوانين الجائرة التي أسماها ذلك النظام إسلامية ولم تكن كذلك . كانت لي زيارات منتظمة له في كل يوم خميس وأحياناً يضاف لها يوم آخر في الأسبوع لزيارة الطبيب*⁽⁸⁾ وكنت أنتهز كل فرصة ممكنة لزيارته ، فقد كنت أحمل له وجبات الطعام ، ففي فترة السجن هذه كان يجد متسعاً من الوقت يعيد فيه ذكرياته القديمة ، وكذلك التأمل ، فليس هناك زواراً مثلما كان في منزله ، ولا فرصة للعمل العام . . كان يحدثني في تلك الزيارات أحاديثاً طويلة كلها دروس عميقة وعبر مبنية على تجربته الروحية في الخلوة وفي الممارسة الحياتية ، قال لي في يوم الخميس في 1 / 11 / 1984 م : (أن كل إنسان يجب أن يجلس مرة ليراجع كل أحداث حياته السابقة (يقرأ أيامه) . . فإذا إستطاع أي فرد منا أن يعيد الزمن لما وجد أن ما حدث له في الماضي ، ما كان يمكن أن يحدث أحسن منه . .) ، وقد أسمى تلك المراجعة ب(قراءة الأيام) ، وقد سردت تفاصيل تلك المقابلة في وقتها في إجتماع كبير للإخوان الجمهوريين وسُجلت على شريط في ذلك الإجتماع ونقلت على الورق تحت عنوان - قراءة الأيام - سأوردها هنا جاهدة كما جاءت في حديثه . أعتذر للقارئ سلفاً إن كان هناك بعض التكرار ، ولكن الغرض هو دقة المعلومة قال : (أنه رأي في منامه من يقول له درج (مسيكة) ، ومسيكة هذه إمراة كبيرة السن من أقرباء الأسرة كانت تزوره كثيراً في منزله ، تشكو من روماتزم مزمنه ، عوقت مقدرتها على السير ، وقد رآها مقبله نحوه تمشي بطريقة عاجزة متعثرة ، قال : (بعد تلك الرؤية أنه ركز على المعنى البعيد للعبارة . .) ، وهي كما

(8) انظر مذكرته لزيارة الطبيب

قال: (أن أدرج نفسي ، في السلوك ، والترقي) ، ثم أضاف: (أن جدتي لوالدتي زينب بت حمزه كانت تسميني دراج ، ومعنى عبارة دراج هو الشخص الذى يأخذ بيد الضعفاء يقويهم ويساعدهم بالتدريج . .) ثم قال: (وكانت أمي ربي جود أيضاً تناديني بدراج ، فقد سمعت تلك العبارة من جدتي زينب بت حمزة . .) ثم أضاف: (والدتي فاطمة محمود حسين توفيت عام 1915 ، ولم أكن وقتها صغيراً كان عمري حوالي خمسة سنوات كان يمكن أن أتذكرها . . الغريب إنني لا أذكر عنها أي شيء ، كانت لها الرغبة أن تسميني محمود على والدها محمود حسين ، وكان والدي يريد أن يسميني عمر ، على شقيقه الذي مات مبكراً ، ولقد كان والدي محمد طه رجل قوي وصعب ، ولكن والدتي سبقتها بإختيار الأسم ولذلك أسمتني محمود وإنصرت عليه . كان لوالدتي معاني محددة في ذهنها أسمتنا عليها ، فمثلاً آخر أبنائها أسمته أحمد المصطفى وقد قالت: (أحمد المصطفى منه الولادة كفى) ، وهي تعني أنها سوف لا تضع طفلاً بعده ، وفعلاً توفي بعد وضوعه ، وتوفيت هي بعده) ، ثم أضاف: (أنه عندما يتابع كل المسائل فى حياته ، يشعر أن هناك إرادة إلهية دقيقة وإختيارات كبيرة جداً ، فيها توفيق كبير ، تمت في حياتي ، لولاها لما كنت في موقفى هذا ، ومن تلك المسائل مثلاً جدتي زينب بت حمزة زوجها محمود حسين جاء من مصر كان موظفاً في الحكومة التركية له شعور كبير بعزته ، وله وضع إجتماعى محترم في أسرته ، وفي المجتمع حوله ، كانت له ساعات يتجول فيها مع زوجته متنزهاً . . ويراقبه الناس بإحترام شديد ، فمن إجتماع المسائل الغريبه أن يأتي محمود حسين من مصر ، ويتزوج جدتي زينب . . إن جدتي زينب كانت تشعر بولاء شديد لزوجها محمود حسين . . أذكر أن جدتي كانت بعد الصلاة ترفع فاتحه طويله لروح زوجها ، وتدعو له أدعيه طويله وتردد عبارات

(فسحني ونزهني)، تسرد عنه القصص الطويلة وهي تدعو له في الصلاة وتسأل الله له المغفرة)، ثم واصل في الإختيارات والمسائل الغريبة التي حدثت وهي زواج والدته من والده محمد طه، قال: (هو جاء من حطة بعيدة جداً من الشمالية وهي من قرية صفيته غرب رفاعة قرية صغيرة ذات منازل متفرقة .

بعد الزواج إستقرت الأسرة في منزلها المعروف برفاعة، نفس المنزل الذي ولدتم فيه*⁽⁹⁾، حيث أنجبت الأطفال الأربعة). قال: (أصببت والدتنا فاطمة بالسحائي عام 1915م وتوفيت في نفس العام وقد إنتشر السحائي في ذلك العام بصورة وبائية وكان وباء خطيراً، فكل من المّ به إما توفى وإما ترك به عاهة مثل الطرش أو العمى أو الشلل وقد أسماه الناس (أبوفرار). وبعد موتها حدث تطور جديد في حياتنا فقد كره والدنا ذلك المنزل كما أنه لم يكن راضياً عن أهل المدينة، لذلك قرر أن يأخذ أبناءه الي البادية، أخذني أنا ومختار وكتوم وبتول، حيث إستقرنا في الهجيليج)، ثم أضاف (أنا أعتقد أن الهجيليج لها أثر كبير على تنشئتي، وكان من المعروف في ذلك الزمان أن يأخذ الناس أبناءهم الى البادية . . يرضعوا فى البادية . . يتنفسوا الهواء هناك . . يكبروا ويمارسوا نوع الحياة هناك . . وأن لتنشئتي ونشأتى في البادية أثر كبير، ولو لا أن والدتي قد توفيت لما كنت قد وجدت تلك الفرصة فكل المسائل تمت بتدبير إلهي . .) ثم أضاف أنه (أثناء وجود الأسرة في الهجيليج، قد حدث جفاف شديد، قلت الزراعة وإرتفع سعر الذرة وقد سمى الناس تلك السنة (سنة أم خمسين)، حيث أصبح العيش بخمسين ريال، وهي تقريباً سنة مجاعة، وقد كنا صغاراً في ذلك الوقت ولكننا كنا أقوياء

(9) يتحدث عن المنزل الذي ولد فيه هو واخوته، وهو نفس المنزل الذي ولدنا فيه نحن من بعدهم

(وملحاحين) جداً جداً، وكنا نعمل أعمالاً كثيرة. . كنا نزرع ونحصد الذرة ولقد كان لهذا أثر كبير على تنشئتي. . ثم تبع ذلك العام عام آخر كان عام رخاء، فقد كثر الذرة والدخن وقد سميت تلك السنة (سنة أم عشرين) فقد نزل سعر الذرة من خمسين الى عشرين ريال وقد مسحت تلك السنة أثار سنة أم خمسين، وقد زرع لنا والدنا عيشاً كثيراً، وحصد زراعته، ولكن قبل أن يستهلك ذلك العيش توفي عام 1920م. . وقد تركنا وحدنا لم يكن لنا من يرعانا، أنا ومختار وبتول وكتنوم، لم يكن لنا عم، ولا خال، كانت معنا فقط مريبتان ربي جود وزائد المال، وقد أصرت عمة لنا أسمها (بت المكسي)، أن نذهب للمدارس، ولذلك رحلنا إلى منزلنا في رفاة، ودخلنا المدرسة أنا ومختار عام 1924م، كانت تسكن معنا في المنزل مربيتنا (ربي جود) و(زائد المال)، كنا نقضي أول العام في الدراسة، وفي موسم الخريف نذهب للزراعة أحيانا نتعطل عن المدرسة في الزراعة. وقد سألتها هنا: (هل كنتم تأخذون إجازة قال لي: لا، سلطة المدرسة تعرف أن الطلبة يشاركون في الزراعة، ولذلك لا قيد علينا في المدارس، وعندما كنا في الأولوية لم نكن صغاراً وقد كان في المدرسة من هم أكبر منا سناً. . كنا نعرف كيف نزرع ونحصد ونخزن العيش ثم نرجع للدراسة). وعن هذه الفترة من عمره، حكى عنه بعض كبار السن الذين شهدوا تلك المرحلة أن طفولته كانت لها أشياء تميزها عن بقية الأطفال، فمثلاً عندما يبدأ الصغار اللعب في مجموعات، في غيابه، ويأتي هو متأخراً، كان يقف بعيداً ويقول لهم: (أنا معاي منو؟) والمعروف عند الأطفال أن يقول أحدهم (أنا معاي منو؟). ثم حكى أن الأطفال في زمنه كانوا يصطادون الطيور، ولم يكن يفعل ذلك، بل كان كلما وجد فرصة لإطلاق سراح تلك الطيور من قبضة أقرانه، حين يصطادونها، يطلقها).

وقد شرح أن سير الأمور في حياتهم تظهر فيه الإرادة الإلهية ، فقد جاءوا الى رفاعه ودخلوا المدارس بعد موت والدهم ، ولولا أن والدهم قد توفى لما جاءوا الى رفاعه ، ولو أنهم لم يحنوا الى رفاعه لما دخلوا المدارس ، وقد قال عن ذلك : (ولو بقيت في الهجيليج لما تعلمت ، وكان من الممكن أن أكون صاحب كتين في تلك القرية ، ولكن حسن إختيار الله جعل الأمور تسير على ذلك النحو . . في أثناء فترة الدراسة لم يكن مختار يرغب في الدراسة كثيراً وكان أثناء المذاكرة يقول لي : " أحاكي لك صوت ماكينة العربة " ويفعل . . وقد كانت له رغبة شديدة في العمل اليدوي ، ولذلك دخل الحياة العملية ، وأجاد فيها كثيراً . .) . وقال عن والده : (بالرغم من أنه قد رحل من رفاعه وسكن في وسط قبيلة السدارنة في الهجيليج ، إلا أنه كان غريباً وسطهم ، ولكنهم كانوا يحبونه كثيراً ، وكانوا يكونون له ولاءً شديداً ، اذكر انهم عندما مات تجمعوا وأخذوا يكون عليه بالطريقة المعروفة في القرية بضرب النقارة ، وهى عبارة عن " طشاته " كبيرة تملأ بالماء ويوضع عليها قرع ، ثم تقرع وتحدث صوتاً عالياً ، وكانوا يكون بكاء مريراً وحزيناً مع تلك الأصوات ، يكون ويرددون : (يا ابوي هوي يا ابوي هوي) ، وقد جاء أهله الركابية ليأخذوه ليدفن في رفاعه ، وقد أقدم أحدهم بمنعهم من ضرب تلك النقارة ، فأقبل نحوه أحد رجال قبيلة السدارنة وقال لهم إنتوا (يعني الركابية) تبعدوا بعيد ومحمد طه مامنكم ولم يعيش معكم . . محمد طه حقنا نحن ، ونبكي عليه بالطريقة التى نختارها وإنصرفوا لحالهم) . ثم عاد الأستاذ ليقول : (أن كل شى في حياته عندما يراجعه يجد فيه توفيق غريب . . مثلاً الخروج من رفاعه الى الهجيليج 1920 ثم تلى ذلك الإنخفاض العالمى (Depression) سنة 1930 ، ثم العودة الى رفاعه مرة أخرى ، ثم كلية غردون ، ثم العمل في السكة حديد ، ثم

الحياة العملية والسياسية والحياة الفكرية، ثم ظهور الخط للفكرة الجمهورية في الأربعينات، كل هذه الأمور كان فيها عناية إلهية واضحة كما تمت فيها إختيارات كلها كانت غريبة وأن كل شي حدث ما كان من الممكن أن يكون هناك خير منه). وفي فترة الدراسة قال الأستاذ: (أنه في الإمتحان من المتوسط لدخول كلية غردون كان يمسك بالقلم ويكتب من غير توقف والمعلومات تتدافع تحت يده وكأن شيئاً مرسوماً أمامه، وقد كان نجاحه باهراً من غير أن يكون يعبة في أثناء الكتابة). أحبه زملاء الدراسة وأعجبوا بصدقه وقد تأثر كثيراً وهو في مرحلة المتوسط لوفاة صديق له، وكتب مقالاً يرثيه بصورة مؤثرة وقوية، كما كان يشارك في الجمعيات الأدبية ويكتب المقالات. قبل دخول الكلية كان ينوي دراسة القانون لكن تم الأختيار لكلية الهندسة.

كان دائماً يقول إن حياته كان فيها يتم شديد، وقد رد بذلك على أحد الصحفيين حين سألته عن حياته قائلاً: (حياتي كلها يتم). وقد كان لهذه العبارات أثر مؤلم على نفسي كلما سمعتها. وعندما إطلعت عليها لأول مرة وأبدت عدم إرتياحي لها، لاحظت هو شكل الحزن الذي بدأ عليّ فقال لي: (ماعجبتك؟) ولم يزد عليها، وهذه من أدق الأشياء التي جعلت تعلقني به شديداً، أنا أنظر لليتم من ناحية تثير الحزن والعطف، وهو ينظر لليتم من ناحية إختيار إلهي ليقويه، ويحقق به درجات من التوفيق والنجاح، ليس من السهل أن تتحقق وسط الوالدين. ولذلك كان يقول كثيراً إن اليتيم أحياناً يساعد الإنسان على شق طريقه في الحياة، والنجاح نحو الهدف الذي يحدده. وقد حكى في إحدى المرات أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتيماً، وقد ساعده ذلك في أن يحزم أمره

في أداء الرسالة ، ففي بعض الحالات يحتاج الإنسان للنزول لرغبات الوالدين ، أو قد يسبب الميل لرضاء الوالدين بعض التردد في الوصول للهدف بالسبب العاطفي .

في مرة لاحظت أن هناك أثراً لجرح قديم غائراً في قدمه اليمنى ، فسألته عنه قال في طفولته : (حاول أن يقفز من فوق حائط فسقط على زجاجة مكسورة ، تسببت في ذلك الجرح) ، وأضاف أنه يذكر أن هناك امرأة من نساء الحي كانت على قيد الحياة الي وقت قريب ، قد أهتمت بتنظيف ذلك الجرح وتضميده وقد ظل الأستاذ يحفظ لها هذا الجميل ، وعندما بدأ العمل كان يحسن إليها ويساعدها في تربية أطفالها ويجزل لها العطاء والهدايا ، وقد ساعد وأشرف على تزويج جميع بناتها من الجمهوريين في وقت كان فيه عدم الزواج يشكل أزمة إقتصادية للأسر في السودان .

1924- 1932 (مرحلة الدراسة والحياة العملية):..

من الخير أن نبدأ هذا الجزء بالحديث الذي سرده الأستاذ محمود بنفسي في مقابلة لصحيفة الأضواء السودانية عندما سأله مندوب الصحيفة عن حياته . . . حيث قال : (سوداني من قبيلة الركابية ، مولود برفاعة النيل الأزرق أوائل عام 1911م ، هذا في أغلب الظن . بدأت تعليمي في الخلوة في زمن مبكر ، ولكني لم أحفظ القرآن ، بدأ تعليمي بالمدرسة برفاعة عام 1924 وفي نهاية عام 1931 أتممت المدرسة الوسطى . وفي أوائل عام 1932 دخلت مرحلة الثانوي كلية غردون قسم المهندسين ، وتخرجت منه عام 36 وإلتحقت بمصلحة السكة الحديد في أوائل هذا العام حيث مكثت ست سنوات ، وإستقلت في أواخر 1941 ،

وعملت بعض الوقت مع الجيش الأمريكي ، ثم عملت مع الجيش البريطاني
الإدارة المدنية لحراسة أموال الأعداء بأرتريا ، وفي مشروع علي قدر الزراعي
كمهندس ري ، وفي أواسط عام 44 بدأت الأعمال الحرة كمهندس ومقاول ، ولم
أبشر في المقاولات أي أعمال كبيرة ، غير أنني ومعي مهندس شريك ، قد إشترينا
أنقاضاً من مباني مخازن مؤقتة للجيش البريطاني بالقرب من بورتسودان ، وكان
هذا عملاً كبيراً . .

وفي أواخر أكتوبر عام 45 نشأ الحزب الجمهوري ، وكان حزباً سياسياً .
وقد أنتخبت رئيساً له في نفس الشهر وقد كتبت بيانه الأول . . كان يدعو إلى بعث
الإسلام من جديد ولم نكن يومئذ نعرف تفاصيل ما يعني بعث الإسلام من جديد
فإنصرفنا في عملنا الحزبي الى تصعيد المعارضة للاستعمار البريطاني في منشورات
بالرونيو توزع بالليل وبالنهار على المواطنين . . تسبب هذا الصنيع في إرسالني إلى
السجن لمدة عام بدأت في شهر يونيو عام 1946م ، ذلك لأنه قد طلب مني أن
أمضي تعهداً بحسن السلوك والإقلاع عن التحدث في السياسة لمدة عام ، فلما
رفضت قرروا أن أمضي العام في السجن أو أمضي التعهد ، وفي أي وقت يتم
الإمضاء ، أخرج من السجن ، لم أقضي العام ولم أمضي التعهد ، ومع ذلك
ونسبة لمقاومتي لقوانين السجن داخل السجن ، ولمقاومة الأخوان الجمهوريين
خارج السجن ، فقد خرجت بعد خمسين يوماً ، بإستصدار عفو شامل من الحاكم
العام البريطاني ، وموضوع المنشورات ، الذي بسببه دخلت السجن كان مقاومة
الإستعمار البريطاني للسودان .

بعد خروجي من السجن بشهرين وقع حادث برفاعة، حيث سُجِنْتُ
إمرأة، خفضت إبتها خفاضاً فرعونياً، لمدة أربعة أشهر وعشرًا، فقاومت هذا
السجن، وتحرك معي جمهور رفاة ليخرجوا السجينة، التي صدرت براءتها،
بعد هذا الصنيع، وأُخِلِّي سبيلها، ولكن أُلقي القبض عَلَيَّ وعلى بعض
المواطنين، وأرسلنا للسجن، للمرة الثانية لمدة عامين، أنفقت في السجن أربعًا
وعشرين شهرًا، تحشت في أثناءها وأخذت بنهج الصوفية. وعندما خرجت منه،
إعتكفت برفاعة لمدة ثلاثة أعوام واصلت فيها تحشتي، وإتضح في هذه الأثناء في
ذهني معالم فكرة التجديد.

في أكتوبر من عام 1951 تركت إعتكافي برفاعة، وواصلت نشاط الحزب
من جديد، وكان قد نام مدة هذه السنوات الخمس. في عام 1946 ظهر المؤلف
الأول بعنوان (قُلْ هذه سبيلي)، وتوالت المنشورات، والمقالات، والمحاضرات،
والندوات، عن موضوع بعث الإسلام من جديد. . في عام 1955 صدر كتاب
(أسس دستور السودان)، وفي عام 1960 صدر كتاب (الإسلام) بالإضافة إلى
بعض الكتيبات التي كانت تصدر بين عامي (1952-1960)، كنت منذ عام
1954 قد أخذت في العمل الموسمي كمهندس (ري) في المشاريع الخصوصية،
بمنطقة كوستي، مشاريع الطلمبات، أعمل كمقاول أقوم بالجانب الفني في
المساحة وتصميم القنوات والتنفيذ على الطبيعة (الجانب الفني فقط)، وأما العمال
والمقاولون فإنه يدفع عنهم أصحاب هذه المشاريع.



الأستاذ محمود في الثلاثينات، كلية غردون



الأستاذ محمود مع بعض الأصدقاء في أيام الشباب بعد تخرجه من كلية غردون



صورة من الأربعينات والعمل كمهندس في شركة
النور والمياه



الأستاذ محمود في الستينيات

بقى أن أقول أنه بين عامي 1952-1954 قد كنت أعمل بالراتب الشهري كمهندس مدني لشركة النور والطاقة الكهربائية ، (حاليًا الهيئة القومية للكهرباء) . منذ ثورة أكتوبر عام 1964 وإلى اليوم توالى المؤلفات حتى قاربت العشرين مؤلفاً صغيراً وسعت فكرة البعث الإسلامي شرحاً وتفسيراً وتبسيطاً .

في عام 1965 بدأت مرحلة التأليف الجاد وذلك بعد ثورة أكتوبر عام 1964 وكانت أعوام حكم عبود الذي قوضته هذه الثورة أعوام نشاط جم في الندوات والمحاضرات في الدور والأندية .

في عام 1966 تركت عمل الهندسة نهائياً وتفرغت تماماً للتأليف ونشر الفكرة الجمهورية .

آخر كتبي الآن هو (تطوير شريعة الأحوال الشخصية) وفيه تبرز فكرة البعث الإسلامي بصورة متكاملة وقرينة لحياة الناس .

في ليلة عاشوراء يوم 9 محرم عام 1392هـ أعلننا بدء الثورة الثقافية ، وكنا ندعو دائماً الى مواصلة ثورة أكتوبر 1964م من الصعيد العاطفي الذي تمت به إلى الصعيد الفكري ، وقد ظهرت هذه الدعوة بصورة قاطعة في مقدمة كتابنا (لا إله إلا الله) الذي ظهرت طبعته الأولى في يوم 25 مايو 1969م في نفس اليوم الذي وقع فيه إنقلاب 25 مايو الذي قاده بعض ضباط الجيش . ستكون الثورة الثقافية شغلنا منذ اليوم إن شاء الله ، وهي في جملتها تقوم على الدعوة الواعية الى بعث (لا إله إلا الله) قوية خلاقة في صدور الرجال والنساء ، حتى يعود بها الدين جذعاً بأقوى وأشمل وأكمل مما عهدناه في شعاب (مكة) في القرن السابع الميلادي

محمود محمد طه

أمدردمان في يوم 1973/3/26م)

إنتهت المقابلة التي أجرتها الصحيفة مع الأستاذ .

بعد تخرجه من كلية غردون كما ذكر أعلاه إلّتحق بمصلحة السكة حديد
بعطبرة، وفي فترة وجوده في عطبرة كان دائماً يقف الى جانب العمال ويدافع عن
قضاياهم ضد الانجليز، وشارك في الحركة الأدبية الواسعة من خلال نادي
الخريجين، وصار العمل الفكري على هذا النحو الى أن حُلت اللجنة القديمة
للنادي وأُنتخبت لجنة جديدة رئيسها الأستاذ ميرغني حمزة*⁽¹⁰⁾ وسكرتيرها
الأستاذ محمود، عندها إشتدت الحركة الفكرية وقويت ثم فُتح الباب لكل المبدعين
من أبناء عطبرة، وكان العمل كله في التوعية وتوجيه المواطنين الى حقوقهم، قال
لي الأستاذ أن الانجليز أحسوا بنشاطه ذاك وقد أقلقهم، فنقلوه من عطبرة الى كسلا
ليبعدوه عن جمهورها، فرفض النقل وقال للخواجة: (سوف لن أنفذ هذا النقل
ولن أذهب الى كسلا)، قال أن الخواجة المسؤول تعجب لرفض الأستاذ ورد عليه
بقوله: (Who do you think your self to pick and choose?). وقد كان
الأستاذ يضحك عندما حكى إستخفاف الخواجة به، وفعلاً إستقال من العمل
الحكومي وأتجه للعمل الحر، فكل فترة عمله كموظف في الحكومة لم تتعد الخمس
سنوات.

تزوج الأستاذ محمود من زوجته، أمنا، آمنة محمد لطفي عبد الله، في عام
1940 وذلك بعد اربعة أعوام من تخرجه، من كلية غردون، وقد حكى أهله عن
زواجه، أنه كان زواجاً بسيطاً وجميلاً أدخل الفرح والسرور، على أطراف
العائلتين اللتين كانتا مرتبطتين سلفاً بالدم، فهم أبناء عمومة، وقد ظلت أمنا آمنة

(10) اجتمع الثلاثي الاستاذ محمود وميرغني حمزة وأمين صديق الذي أصبح سكرتيراً للحزب في هذه
الفترة في مدينة عطبرة وكان أمين يعمل محاسباً في الدامر و يكثر من زيارتهم في عطبرة.

منذ تلك اللحظة رفيقة دربه ، قاسمته كل ظروف حياته ، بما فيها من مواجهات مع المستعمر وسجون وخلوة إختيارية ، ومواجهاته الفكرية مع خصوم الفكر الجمهوري ، ثم ظروف ومواقع عمله المختلفة ، وأنجبا ثلاثة أطفال هم ، محمد ، وفاطمة (أسماء) وسمية ، وظلت دائماً إلى جواره ، حتى لحظات المحكمة القاسية وما تبعها من أحداث مأساوية في عام 1985 .

الفصل الثاني

1945م نشأة الحزب الجمهوري

نشأ الحزب الجمهوري في فترة الأربعينيات حين كانت الحركة الوطنية منقسمة على نفسها ، بعضهم كان يدعو إلى الملكية وتبعية السودان إلى التاج البريطاني (حزب الامة) ، والبعض الآخر يدعو إلى الوحدة مع مصر (حزب الأشقاء الذي أصبح فيما بعد الحزب الإنحائي) . وقد نشأ هذان الحزبان في أحضان الطائفتين المعروفتين في السودان الأنصار والختمية ، وذلك لكسب الولاء الشعبي الذي كانت تسيطر عليه الطائفية ، فكان الحزب الأول تابعاً لطائفة الأنصار تحت قيادة السيد عبد الرحمن المهدي ، والحزب الثاني تابعاً لطائفة الختمية تحت قيادة السيد علي الميرغني . في هذا الوقت نشأ الحزب الجمهوري خارج نطاق الطائفية ، وأخذ يدعو إلى الجمهورية السودانية المستقلة وإلى الفدرالية كنظام للحكم ، وكانت فكرة المدنية الإسلامية هي الأساس منذ البداية ، وكان الإعداد لها يختمر في ذهن الأستاذ محمود ، وبدأ بإعداد المسرح بإخراج المستعمر أولاً من البلاد ، والمقاومة حتى مغادرة الإنجليز للسودان ، إذ كان يقود زمام المبادرة في المقاومة .

وقد كتب الصحفي السوداني التجاني عامر ، عن تاريخ الحزب الجمهوري في جريدة الصحافة الصادرة بتاريخ 3 / 7 / 1975م ما يلي : (الحزب الجمهوري قد يكون هذا الحزب من أقدم الأحزاب السياسية بحسب الزمن وهو أول حزب صغير يعمل خارج نطاق النفوذ الطائفي بل بمناجزة وصدام . . وإسمه يدل على المنهج الذي إنتهجه لمصير السودان . . ومؤسس الحزب هو الأستاذ محمود محمد طه الذي كان من أبرز الوجوه الوطنية في مستهل حركات النضال ، حينما كان مهندساً بالسكة حديد بعطبرة . ولعل سلوك محمود الصارم في القضايا العامة

وشجاعته العنيفة التي دفعته إلى التخلي عن الوظيفة هو نفس السلوك السياسي الذى جعل الحزب الجمهوري في فترة من فترات الإحتلال عبارة عن جمعية إرهابية تضرب وتحرق وتخرّب ولكن في سبيل المصلحة العامة بنوايا نقية وذمة طاهرة . . . وشيئاً فشيئاً تخلص عن محمود الأعضاء الذين يؤمنون (بالتقية) وجماعة (حُب السلامة) ، وتركوه يناضل الإدارة البريطانية مع جماعة من الشباب المغامرين أمثال أمين محمد صديق وغيره . . . وقد تعرض محمود للسجن الطويل في خصومات إيجابية مع الإنجليز منها حادث (الطهارة الفرعونية) في رفاة وهو حدث إجتماعي رفعه محموداً إلى مستوى المساس بالدين والوطن . . . ولأن محمود زاهد في المكاسب وراغب عنها فإن حزبه لم يدخل معارك السياسة في غير النضال القومي العام ، وبالتالي لم يكن فيه من إغراءات الطموح السياسي ما يدفع الناس إلى عضويته الجادة عن ماديّات الحياة ، والتي لا يقبلها الإنسان إلا إذا كان سيفه يمينه وبطانيته على كتفه ليدخل السجن) إنتهى⁽¹⁾ . وهكذا قاد الأستاذ محمود زمام المبادرة لإخراج المستعمر ، فكان أول سجين سياسي في تاريخ المقاومة الوطنية . كما هو واضح لم يكن هم الأستاذ الوصول إلى كرسي الحكم بل كان يعمل أولاً لإصلاح المجتمع فالمجتمع الصالح هو مجموعة أفراد صالحين ، كان يقول نحن لن نحكم البلاد إلا إذا إختارنا الشعب ولننا 1+50 من الأصوات لذلك كرس وقته للتوعية والثورة الثقافية .

الإجتماع الأول للحزب الجمهوري:

تم الإجتماع الأول للحزب في 26 أكتوبر عام 1945 ، ثم عُقد إجتماع إنتخاباته في يوم 31 من نفس الشهر وقد أُنتخب الأستاذ محمود رئيساً للحزب

(1) جريدة الصحافة 1975/7/3

بالإجماع وقد أصدر منشورين أولهما بالعربية تحت عنوان (قل هذه سبيلي) والآخر بالإنجليزية (Islam The Way Out) "الإسلام هو الحل". وفى 26 أكتوبر صدر (السفر الأول) الذي رسم طريق النهج الإسلامي والنظام الفدرالي في الحكم الذى يدعو له الأستاذ راجع (السفر الأول).

وتكونت اللجنة التنفيذية للحزب وقد شملت عدداً من الرعيل الأول من الجمهوريين . وقد حكى لي الأستاذ ذات مرة أن بعضهم إبتعد عن الحزب عندما خرج المستعمر وظهرت المرحلة الدينية للدعوة ، وبعدهم أقبلت عضوية جديدة وأخذت تزداد كل حين . قال لي أيضاً أن العديد من الاجتماعات كانت تقام في حديقة المقرن في ملتقى النيلين في الخرطوم ، وكان لهم مكان محدد يتوافدون عليه كل يوم إجتماع . وقد كان شُغل الأستاذ الشاغل في تلك المرحلة هو إشعال حماس السودانيين لإجلاء المستعمر عن ديارهم . . وقد قال لي : (أن بعض السودانيين من الصحفيين ورجال الدين كانوا يهابون المستعمر) ، وحين كان الأستاذ يقاوم ، كانت نصيحة رجال الدين أن يثبطوا همم الناس ويخذلونهم عن المقاومة بقولتهم المشهورة : (لا تلقوا بأيديكم في التهلكة) ، قال أيضاً : (أن الجمهوريين كانوا يتعاملون بحزم مع الصحفيين الذين كانوا يرفضون نشر البيانات والمقالات التي كان يصدرها الحزب الجمهوري ، في حين كانوا ينشرون بيانات الحكومة وغيرها . . . ، وقد كان له مواقف مشهودة مع أولئك . كان غرض ذلك الحزم هو إيقاظ ضمائر الذين يحملون الأقلام الصحفيه ويحتلون مناصب مؤثره ، (كان الأستاذ يريد أن يشعل روح الحماس فيهم ، وفي عامة الشعب ، حتى يشعروا بالعزة ، ويتحرروا من إذلال المستعمر ، ويخرجونه من ديارهم ، وكان الأستاذ

يحمل الكثير من الود لأحد الصحفيين من الذين تعامل معهم بحزم ، اذكر فى فترة السبعينات ان ذلك الصحفي قد مرض فزاره الأستاذ أثناء مرضه و ذهب إلى عزاء أسرته بعد وفاته . .)

مواجهة الإستعمار:-

بدا الأستاذ مقاومة الاستعمار باصدار المنشورات ضد المستعمر . فكان يقيم الندوات ويكتب المنشورات ويوزعها هو والجمهوريين و يقيموا الاجتماعات ويصلون أماكن التجمعات يتلون الخطب ، ويثيرون الشعب ضد المستعمر ، وقد أثار ذلك حفيظة الإنجليز ، وهبوا لإسكات صوت الأستاذ بالإستدعاء والتحقيق معه في مكاتب البوليس ، ثم إقتياده للسجن مرة أخرى ، ولكن هيهات فقد صمد ولم يبال بسجونهم ، فهو يعلم أن هناك دائماً فاعلاً غير مباشر يعمل وراء الأحداث والأعداء ، هذا الفاعل هو الله ، وهو على ثقة أن الله لا ينوي به إلا الخير ، وأنه على موعد لتحقيق غرض أسمى وراء ذلك العذاب فقد توالى الإستدعاءات من البوليس والقضاء ، أورد فيما يلي إستدعاء البوليس ثم قاضي الجنايات للإستاذ للتحقيق معه :

CID\36.H

CRIMINAL INVISTIGATION DEPARTMENT

B.O. BOX : 288

Khartoum, 24 March 1946

Mahmoud Mohamed Taha,

Merchant,

Omdurman,

Dear Sir,

You are hereby required to attend at the C.I.D. office at 9.a m \25\3\46 to answer questions respecting some circulars purporting to have been issued by the Republicans.

Please acknowledge receipt of the letter,
Yours faithfully,
(G.E.S .price)
Superintendent , C.I.D.

وبعد خمسة أيام تبع هذا الخطاب خطاب آخر من قاضي الجنايات ، يطلب
من الأستاذ المثول أمام المحكمة ، لمواجهة الإتهام بالنشاط السياسي وتوقيع تعهد
بالكف عن ممارسة النشاط ضد الحكومة هذا نصه :

Summons on information of a probable Breach of the Peace.
(See sections 81 and 84)
To Mahmoud Mohamed Taha, Contractor,
Omdurman.

Whereas it has been made to appear to me by credible information
that you have issued a pamphlet which is deemed to be likely to
excite feelings of disaffection to the government and to lead to a
breach of the peace or to disturb the public tranquility .

You are hereby summonsd to attend in person at the police
Magistrate's court on the 2nd day of June, 1946 at 8:45 am to execute
a bond for Ls 50 and also to give security by a bond of one surety in
the sum of Ls 50 that you will keep the peace and refrain from illegal
acts likely to disturb the public tranquility for the period of two years
or to show cause why you should not execute such bond and give
such security.

Dated this 29th day of May, 1946.

W.C McDowall

Police Magistrate, Khartoum.

كان الإستدعاء الثاني أشد لهجة وأكثر تحديداً للإتهام ، فبعد أن بُين
للإستاذ في الطلب الأول بأنه قد أصدر منشوراً من المحتمل أن يثير الأمن العام
والكراهية ضد الحكومة ، طُلب منه في الطلب الثاني الحضور أمام محكمة الجنايات
ليوقع على كفالة مالية بواسطة ضامن (قدرها خمسون جنيهاً) ، وأيضاً يوقع على

كفالة أخرى قيمتها خمسون جنيهاً ، على أن يحفظ السلام ويمتنع لمدة سنتين عن القيام بالأعمال غير المشروعة ، والتي من المحتمل أن تُخل بالطمأنينة العامة ، او ان يوضح سبب رفضه توقيع التعهد . . الخ.

تابعت الصحف السودانية ذلك الحدث بإهتمام كبير فقد أوردت جريدة الرأي العام الصادرة بتاريخ 3 / 8 / 1946 مايلي : (مَثَل الأستاذ محمود محمد طه ، المهندس ، أَمَس أمام قاضي الجنايات ، المستر مكدوال ، متهمًا من بوليس الخرطوم تحت قانون التحقيق الجنائي ، لتوزيعه منشورات سياسية من شأنها الإخلال بالأمن العام ، وقد أمره القاضي أن يوقع على صك بكفالة شخصية بمبلغ خمسين جنيها لمدة عام ، لايشغل خلالها بالسياسة ولا يوزع منشورات ، أو يودع السجن لمدة سنة إذا رفض ذلك . . ولكن الأستاذ محمود رفض التوقيع ، مفضلاً السجن ، وقد أُقْتيدَ لتوه إلى سجن كوبر . .).

1946 فترة السجن والاعتقال الثاني:

حدثني الأستاذ عن تلك الفترة بأنه تم إعتقاله في عام 1946م بواسطة المستعمر ، وذلك لأنه قد حرض أهالى رفاعه ليخرجوا في معارضة لقرار الحكومه الإنجليزية بإعتقال امرأة سودانية خفضت إبتها على الطريقة الفرعونية . وقد كان يحدث الناس ويجهزهم للثورة ضد المستعمر بإشعال الحماس والشعور بالكرامة ، وضمن ذلك إلقاء الخطب في المساجد . أورد فيما يلي طرفاً من الخطبة التي ألقاها بمسجد رفاعه في يوم الجمعة من شهر سبتمبر 1946م محرضاً فيها الناس للثورة قائلاً: (ليس هذا وقت العبادة في الخلاوي والزوايا ، أيها الناس ، وإنما هو وقت الجهاد ، فمن قصر عن الجهاد وهو قادر عليه ألبسه الله ثوب الذل وغضب عليه

ولعنه . . أيها الناس : - من رأى منكم المظلوم فلم ينصفه ، فلن ينصفه الله من عدوه . . ومن رأى منكم الذليل فلم ينصره فلن ينصره الله على عدوه . . ألا إن منظر الظلم شنيع . . ألا إن منظر الذل فظيع ، ومن رأى مظلوماً لا يتتصف من ظالمه ، ومن رأى ذليلاً لا يتنصر على مذلة . . فلم تتحرك فيه نحوه الإسلام ، وشهامة الإسلام إلى النصر ، والمدافعة ، فليس له من الإيمان ولا قلامة ظفر) .

فاستجاب له الجمهور وإستطاع أن يخرج المدينة عن بكرة أبيها في مظاهرة هادرة إلى مقر المركز في مدينة الحصاحيصا وحين وصلت الجموع من رفاة إلى الحصاحيصا وجدوا أن الحكومة قد سحبت المراكب ومنعت العبور إلى الشاطئ الآخر حيث المركز ، وقد حكى لي أنه قد تعاون معهم بعض العمال والصيادين بتشغيل مراكبهم الخاصة ، حيث كانوا يشدون بعضها مع بعض في شكل كبري إستطاعت الجموع العبور عن طريقها إلى الحصاحيصا ، وأمام تلك الحشود وجدت الحكومة نفسها مرغمة على مقابلتهم ، وقد طلب منهم مفتش المركز أن يختاروا ممثلين لهم وفعلاً إختاروا من بينهم ممثلين قابلوا المفتش مع الأستاذ محمود ، وقد تحدثوا مع مفتش المركز بلهجة شديدة ، ومزقوا ورقة طلب منهم أن يكتبوا عليها أسمائهم وردوا عليه بقولهم : (كلنا محمود) ، وقال أن المفتش بدأ خائفاً ومرتجفاً ومحمراً الوجه ، وقد أسرع بإستصدار قرار بإطلاق سراح المرأة .

بعد إطلاق سراحها ، أخذوها معهم إلى رفاة ، وكان الفرح شديداً في أوساط أهل المدينة ولكن بعد أن إنفضت الجموع تم إعتقال الأستاذ حيث ورد في جريدة الرأي العام الصادرة بتاريخ 25 / 9 / 1946م مايلي : (تم إعتقال بعض الناس من رفاة ، والحصاحيصا منهم الأستاذ محمود محمد طه ، وشقيقه مختار

محمد طه ، فوضعوا في سجون رفاة والحصاحيصا ومدني . .) وقد كانت ردود الفعل قوية في أوساط أهل المدينة ، فقد تكتمت الحكومة الإنجليزية على الخبر حتى لا تتسرب الثورة إلى باقى أجزاء البلاد ، وأصاب الشعب نوعٌ من الجسارة والشعور بالعزة ، وهذا ما كان يسعى إليه الأستاذ .

وفي قمة ذلك الحماس كتبت إحدي النساء قصيدة في مدح الأستاذ محمود ، تعتبر من أجمل أغاني التراث الشعبي أسمتها (خال فاطمة) وقد ظل يتغنى بها الناس إلى يومنا هذا ، شاعرة هذه القصيدة هي الحاجة فاطمة الزبير أبو شوارب ، من قرية الهجيليج ريفي الجنيد⁽²⁾ ، فيما يلي نص القصيدة :-

(تسلم لي خال فاطمة ليهم بلالي ، البدرج العاطلة .

اب كريق في اللجج سدد حبس الفجج .

خال فاطمة ليهم بلالي .

عاشميق جبل الوجج .

انا أخويا مقلام الحجج .

خال فاطمة ليهم بلالي .

ياخريف الرتوع اب شقة قمر السبوع .

خال فاطمة ليهم بلالي .

فوق بيتو بسند الجوع ، ياقشاش الدموع .

خال فاطمة ليهم بلالي ، البدرج العاطلة .)⁽³⁾

(2) الأستاذ معتمد ، المصدر السابق

(3) هذه القصيدة في المدح كتبت بالدارجة السودانية ، والكثير من كلماتها محلية ، وفي مجملها تعني ، الشجاعة ، والكرم ، وقوة المنطق ، على سبيل المثال ، اب كريق هو التماسح رمز للقوة ، ومقلام الحجج في قوة المنطق ، وخريف الرتوع الخريف الغزير المطر المثمر ،

في يوم 7/ 10/ 1946 أوردت جريدة الرأي العام مايلي : (جاءت قوة كبيرة من البوليس من مدني ، برئاسة مفتش المركز . وفي نفس الوقت عسكر خارج رفاة البلك الرابع من فرقة الهجانة ، بقيادة الصاغ أحمد عبد الله حامد الذي دخل إلى رفاة برفقة ضابط سياسي ، وقابل المفتش ، وقمندان البوليس ، ورجع إلى مقر فرقته . . وأعتقل الأستاذ محمود محمد طه ، وأحضر إلى المركز . . وأثر ذلك تحرك جمهور كبير نحو المركز ، وفي الحال نُقل الأستاذ محمود إلى معسكر البلك الرابع ، خارج المدينة وتحركت فصيلة من البلك الرابع لتعزيز قوة بوليس مركز رفاة . . كان إطلاق الرصاص بأمر مفتش المركز ، عندما رفض الجمهور إطاعة أوامر البوليس المتكرره بأن يتوقفوا عن تقدمهم صوب المركز ، وقد أطلق البوليس دفعة فوق رؤوس الجمهور وهم على بعد 40 ياردة تقريباً من المركز ، ولما لم يقفوا ، أطلق دفعة أخرى على الأرض أمام أقدامهم ، في وقت كانت فيه مقدمة الجمهور على بعد 25 ياردة من المركز) إنتهى .

وورد أيضاً في نفس الجريدة بتاريخ 10/ 10/ 1946م مايلي : (علمنا أن الأستاذ محمود محمد طه رفض أن يقبل محامياً للدفاع عنه ، وأنه أعلن بأنه لن يدلي بأية أقوال للتحقيق إلا على أساس مناقشة قانون منع الخفاض . ثم تابعت الرأي العام الأحداث إلى أن وصلت القضية إلى المحكمة الكبرى التي عُقدت للإستاذ محمود ، فنشرت بتاريخ 17/ 10/ 1946م مايلي : (حكمت محكمة كبرى بومدني برئاسة القاضي أبورنات ، بستين سجنًا على الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري ، بتهمة إثارة الشغب في رفاة . . كما حُكم عليه بوضعه تحت المراقبة لمدة سنة أخرى بعد إتمام مدة سجنه) إنتهى . عُقدت تلك المحكمة

برئاسة القاضي أبورنات والجدير بالذكر أنه قد رفض عدد من القضاة تولي تلك المحاكمة . . أيضاً حضر عدد من المحامين من الخرطوم للدفاع عن الأستاذ منهم أحمد خير المحامي ومبارك زروق وآخرون ، وقد رفض الأستاذ مبدأ أن يقف له محامياً ، وقد شكرهم وأوضح لهم أن تلك القضية سياسية وسوف يتولى الدفاع عن نفسه . وقد حدث ذلك فعلاً ووقف الأستاذ مدافعاً عن موقفه امام محكمة ابورنات نجتز اجزاء من تلك المرافعة التي بداها بقوله : (أهالي رفاعة جميعهم ابرياء . . وزملائي الذين سجنوا ابرياء وأنا برئ والمسألة في الحقيقة سلسلة أخطاء من الإدارة من أولها إلى آخرها . . كلما أخطأت الإدارة مرة ، وتمسك الناس بحقهم إعتبرته مساساً بهيبتها ، فاستعلت وأخذتها العزة بالاثم فقفزت في خطأ آخر هو في زعمها يعيد لها هيبتها في نفوس الناس . . وما علمت أن إجتماع الأخطاء ، لا ينتج منه ولا صواب واحد . الوضع الصحيح المجمل لهذه المسألة هو أن الإدارة قد ضربت أهالي رفاعة فصاحوا من ألم الضرب بصوت خفيض ، ثم ضربتهم فصاحوا ثم ضربتهم فصاحوا ، فإستاءت من أن يصيح المضروب المتألم ، فقدمنا للمحكمة فكانت هذه المحكمة . . ولو كنا نملك ما تملك لقدمناها نحن لهذه المحكمة ، ولكننا لانملك جيشاً ولابوليساً ولاسجوناً ولاقيوداً ، ولو ترك القطأ ليلاً لنام) ثم واصل (قلت بالأمس إني وبالمثل اي عضو من أعضاء الحزب الجمهوري لا أنكر تهمة الإثارة لمجرد أنها تهمة إثارة ، إنما أنكر تهمة الإثارة بالنقد الذي لا يحترم الحقائق وبالتشويش المغرض . . ولقد كان من دواعي الشرف لي ولحزبي لو صح أنني أنا الذي أثرت أهالي رفاعة ، لأنها من القضايا التي نقدنا فيها الحكومة وسنقدها إلى أن تقلع عنها . . ولكن للأسف فإن الإدارة قد سبقتني إلى هذا الشرف فأثارت أهل رفاعة وأثارتني معهم فلننظر) . . إلى أن قال : (قالت

الحكومة في بيان رسمي في الصحف لا أعرف تاريخه ما يلي : (حصلت أخيراً في رفاة حادثة أديننت فيها امرأة لخفضها إبتتها خفاض غير مشروع وحكم عليها بأربعة أشهر سجنًا وقد قدم إستئناف لمدير المديرية فرفضه وحبست المرأة في السجن ومع ذلك فالحكومة تقول أن باب الإستئناف مفتوح !! وهذا الإستئناف رفض مع أن المرأة مسجونة بغير أدلة كافية للإدانة ، وفيما أعلم لم يخبر المستأنفون ولا نحن مندوبي الهيئات الذين قابلنا المفتش برفض هذا الإستئناف ، وإنما أعيدت المرأة للسجن والسلام . . فإن لم يكن هذا سوء النية والإستخفاف بالناس فماذا عساه يكون؟؟ . . . إلى أن قال (إن في تصرف المفتش هذا ما يجعل ما قمت به أنا في الجامع وما قام به الناس بالمركز ، شيئاً مفروضاً علينا في واجب الدين وواجب الأخلاق وواجب الحياة نفسها ، بل أن الناس قد سلكوا سلوكاً يستحق الثناء وقد شرحنا تفصيله للمحكمة . . ثم واصل الأستاذ حديثه في المحكمة إلى أن قال : (قالت الحكومة في النشرة الرسمية التي أشرت إليها بتاريخ 10/2 ما يأتي : " قبض على هؤلاء المساجين نفر قليل من المسؤولين دون مساعدة الجيش او البوليس " فمن هؤلاء المسؤولين؟ كيف كان قبضهم على المسجونين ؟ رأى أهالي رفاة بعد حوادث الضرب أن يكونوا لجنة ليحملوا عن الحكومة مسئولية القبض على من تطلبهم ، خوفاً من أن تأتي بتصرف كسابقه في العنف والبطش بالناس . . والحكومة إنما أرادت بهذا القول ان تظهر للناس ان المسؤولين من أبناء رفاة لادخل لهم بهذه القضية . . وهذه دسيصة خبيثة ولعل من الخير للحكومة ان تعرف جيداً أن هذه الحركة لم يقم بها نفر دون آخر من أبناء رفاة بل أن كل الأهالي كباراً وصغاراً ، المسئول منهم وغير المسئول ، هبوا هبة الرجل الواحد . . يربطهم الشعور بالكرامة المعهودة وغيره على الأعراض الممتهنة . . والحكومة

تفهم جيداً ولكنها تستخف بالحقائق وتستخف بالناس فإن لن يكن ذلك كذلك
فهلا طلبت هذه الحكومة من هؤلاء المسؤولين الذين تعند بهم وتزعم أنهم في
صفها . . هلا طلبت منهم القبض على من تريد هم قبل أن تحشد قواتها وتأتي
بقوة وتحاصر المدينة الآمنة؟! نكتفي بهذا القدر من مواجهة الأستاذ للمحكمة
التي قضت بسجنه سنتين . . وقد قال لي إنه في فترة سجنه تلك كان يعتبر عند
الحكومة سجيناً سياسياً، ولكن من جانبه كان يرى أنه على موعد مع القدر لعمل
روحي كبير سيره الله له لإنجاز أمر معين . وقد عمل للإستفادة من السجن كخولة
للبحث عن الحقيقة داخل نفسه وللإنقطاع للعبادة والتأمل . . قال أنه كان يصلي
كثيراً . . كان دائماً على طهارة مستمرة، غسل، ووضوء، مستمرين، كان يغتسل
في اليوم عدة مرات ويتوضأ لكل صلاة، ولصلاة النوافل، يكاد لا ينام الليل بل
يقضيه يصلي . . كل الليل إما راکعاً أو ساجداً، ينام قليلاً ثم ينهض للصلاة .
كما كان يكثر من الصيام الصمدي، (صيام المواصلة) لا يفطر عند غياب الشمس
بل يواصل ويفطر بعد ثلاثة أيام متواصلة وأكثر . . كان هذا الصيام عند الإنجليز
يفهم إضراباً عن الطعام، وكان الجمهوريون في الخارج يعلنونه للناس كذلك،
ويخطبون في المقاهي والمنابر العامة، يحرضون الشعب ضد الإنجليز، ويخبرونهم
عن حال الأستاذ وعن المقاومة، والإنجليز لا يعترضونهم، وقد قال مفتش المركز
لأمين صديق⁽⁴⁾: (إننا لا نريد أن نخلق منكم أبطالاً).

وأهتمت الصحف بأخبار الأستاذ وكانت تلك الأخبار تزكى روح الحماس
والنضال في الشعب، كما تشعل شعورهم ضد المستعمر . ورد في جريدة الرأي

العام الصادره بتاريخ 24 / 10 / 1946 ما يلي : (بهذا اليوم أتم الأستاذ محمود محمد طه ، رئيس الحزب الجمهوري السجين ، ستة أيام من صيامه ، وقد أغلقت أمس أندية الخريجين في مدني ، والأندية الرياضية دُورها ، إحتجاجاً على سوء معاملته . . وتتوالى برقيات الحزب الجمهوري ، والمواطنين على السلطات بالإحتجاج) إنتهى . وظهرت كتابات كثير من المواطنين في الصحف بالإحتجاج على تلك المعاملة ويسألون السلطات كيف يعاملون سجيناً سياسياً معاملة المجرمين؟ . .

كما اشاد الكثيرون بشجاعة الأستاذ ومواقفه لنصرة المظلوم فقد كتب الشاعر محمد المهدي محذوب مشيداً بثورة رفاة بقيادة الأستاذ محمود في قصيدته إلى الله ، نورد جزءاً منها :

يا رب وللحق في الشعوب ديون	(هي أدت عن شعبها الدين
في خدها رجاء حزين	رفعت طرفها إلى الله والأدمع
اعرض سودانها وقل المعين	ليس تشكو إلى سواه لقد
القيد في يده رنين	أين محمودها الذي دفع الضمين
ولكنه الغداة سجين . . .)	عربي يثور للعرض والدين

أما في السجن فقد واصل الأستاذ صيامه وقيامه ، وقد حكى لي أنه نتيجة لهذه التجربة الروحية كان يرى رؤى غريبة ، سرعان ما تتحقق في بقطة فمثلاً كان يرى في نومه أن ضابط السجن الإنجليزي يدخل عليه ويسأله : (هل تريد الذهاب إلى الحديقة؟) ، فيرفض الأستاذ . . وعندما يستيقظ يدخل عليه الضابط ويسأله نفس السؤال ويرد عليه الأستاذ بنفس الرد . . كما يرى أن ضابط السجن دخل

الصحف المحلية بخصوص محمود محمد طه الذي هو الآن تحت الحراسة بالخرطوم بحرى نتيجة لرفضه أن يمضي كفالة المحافظة على الأمن . . . وهذه البيانات قد إحتوت على بيانات غير دقيقة ، والحقائق كالآتى : لمدة يومين رفض محمود محمد طه أن يشتغل ، وهذا يخالف قوانين السجن ، فلم يعمل له أي شىء في اليوم الأول ، أما في المرة الثانية ، فقد حكم عليه بالبقاء ثلاثة أيام (بالزنازة) والأكل الناشف ، ولو أنه رفض أيضاً أن يقف عند الكلام مع ضابط السجن ، فإن العقوبة التى نالها الآن لم تعط له للمخالفة لنظام السجن ، وبهذه المناسبة يجب أن يعلم أن كل المساجين مهما كانت جنسياتهم يجب أن يقفوا إلى ضابط السجن إنجليزياً كان أو سودانياً) ، إنتهى . . .

في فترات صيامه المتواصل في السجن ، كانوا يحضرون له الطعام فكان يهدية لمساجين الدرجة الثالثة الذين كانوا يفرحون بذلك كثيراً ، فطعام السجناء السياسين كان أفضل بكثير من طعام عامة السجناء ، وقد نشأت بينه وبين مساجين الدرجة الثالثة صداقة حميمة ، وكان يشير عليهم بالمطالبة بتحسين أوضاعهم ، كما كان يحسبهم على عصيان بعض الأوامر المذلة في السجن ، كان دائماً يوصيهم بالعصيان بجزر حتى يجنبهم التعرض للعقوبات من إدارة السجن في حالة عصيان الأوامر بطريقة صارخة ، وبدأوا ينفذون وصاياه ، وقد شعر الإنجليز أن سلوك الأستاذ بدأ يؤثر على المساجين . . .

بالرغم من أن سبب ذلك الإعتقال كان تحريضه لأهالى رفاة ليتحركوا لإطلاق سراح المرأة التي إعتقلتها الحكومة الإنجليزية لأنها خفضت إبتها على طريقة مخالفة للقانون الذي أصدره الإنجليز (لم يكن الأستاذ مؤيداً لعادة الخفاض

ولكنه إستغل تلك الحادثة إستغلالاً سياسياً حتى ينهض همة الشعب لمقاومة الاستعمار) ورأيه أن العادات الضارة ومنها الخفاض ، لاتقاوم بسن القوانين وإنما بنشر وزيادة الوعي ، وأن فرض القانون مع عدم العمل في التوعية ، قد يساعد على إنتشار هذه العادة في السر ، وقد ورد في بيان الأستاذ الأول ما يلي : (لا نريد بكتابنا هذا ، أن نقف موقف المدافع عن الخفاض الفرعوني ، ولا نريد أن نتعرض بالتحليل للظروف التي أوجت به لأهل السودان ، والضرورة التي أبقتة بين ظهرانيهم إلى يومنا هذا ، ولكننا نريد أن نتعرض لمعاملات خاصة ، وأساليب خاصة ، وسنن خاصة سنتها حكومة السودان ، أو قل إبتدعتها إبتداعاً ، وأرادتنا أن ننزل على حكم إبتداعها إرغاماً . من الآيات الدالة على سؤ القصد ، في هذه الأساليب ، إثارة مسألة الخفاض الفرعوني في مثل هذا الظرف . . وأساليب الدعاية التي طرقتها له ، والطرق التي رأتها مناسبة لابطاله ، والقضاء عليه ، ولقد جاءت هذه الآيات دليلاً واضحاً على التضليل المقرون بسبق الإصرار) . ولم يكن من أهداف ولا برامج الحكومة البريطانية نشر الوعي ، وإلا لكان من أهم واجبات تلك المرحلة أن يتوسع التعليم بفتح المدارس ، وأن يغادر الإنجليز البلاد ثم يعمل السودانيون على معالجة مشاكلهم الإجتماعية والسياسية وليس تحت سيطرة المستعمر .

1948-1951 الإمتداد الإختياري للخلوة برفاعة :-

أمضي الأستاذ محمود في السجن أربعاً وعشرين شهراً ، وبعد خروجه منه ، إعتكف برفاعة في المنزل لمدة ثلاثة أعوام ، قال عن تلك الفترة : (وإعتكفت برفاعة لمدة ثلاثة أعوام واصلت فيها تحثي وإتضححت في ذهني معالم فكرة التجديد) وعلى نفس النسق كان في تلك الفترة الإختيارية ، كثير العبادة ، الصلاة ، الصوم

والتأمل . . وحتى في خلوته كان يكتب ويشارك بالرأي في أمور البلاد، وفي الأحداث الخارجية، حتى لفتت كتاباته إنتباه الكثيرين ، وأخذ بعضهم يكتب في الصحف يسأل عنه من يكون ذلك الرجل ؟ فكتب في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 27 / 11 / 1951 متحدثاً عن برنامجه وفلسفته وراء الإعتكاف بما يلي :

(حضرة صاحب جريدة الشعب)

ص . ب 226 الخرطوم . .

تحية طيبة ، ،

وبعد . .

فقد إطلعت في عددكم السابق على كلمة من الأخ سعيد يتساءل فيها عني . . . إلى أن قال : (وبينما أنا في حيرة من أمري إذ قبض الله مسألة فتاة رفاعة تلك المسألة التي سُجنت فيها عامين إثنين . ولقد شعرت حين إستقر بي المقام في السجن ، أنى قد جئت على قدر من ربي ، فخلوت إليه . . حتى إذا ما إنصرم العامان ، وخرجت ، شعرت بأنى أعلم بعض ما أريد . . ثم لم ألبث ، وأنا في طريقي إلى رفاعة ، أن أحسست بأن علىّ أن أعتكف مدة أخرى ، لإستيفاء ما قد بدأ . . وكذلك فعلت فهل حبسنى إبتغاء المعرفة ؟

لا والله ولا كرامة . . إنما حبسني العمل لغاية هي أشرف من المعرفة . . تلك الغاية هي نفسي التي فقدتها بين ركام الأوهام ، والأباطيل . . فإن عليّ لأن أبحث عنها على هدى القرآن أريد أن أجدها . . وأريد أن أنشرها . . وأريد أن أكون في سلام معها ، قبل أن أدعو غيرى إلى الإسلام . . ذلك لامعدى عنه . . فإن فاقده الشيء لا يعطيه . . فهل تريدون أن تعلموا أين أنا من ذلكم الآن ؟ إذن فأعلموا :

أنى قد أشرفت على تلك الغاية ، ويوشك أن يستقيم لي أمري على خير ما أحب . .) ولقد ظفر بما اراد فكتب في موقع آخر : (إعتكفت برفاعة لمدة ثلاثة أعوام واصلت فيها تحثي ، وإتضحت في هذه الأثناء في ذهني معالم فكرة التجديد) . إنتهى .

كان عمله في تلك الفترة كما قال ، تجويد العبادة من وضوء ، وصلاة ، وإكثار التأمل وكان أحياناً يخرج إلى شاطئ النهر الذى كان قريباً من المنزل ، حيث يسير على قدميه إلى مسافات طويلة يتأمل فيها ثم يعود إلى المنزل ، وكان يزوره أثناء فترة الإعتكاف هذه أمين صديق وكثير من الدراويش ، وكبار السن من أهل المدينة ، وبعض أهله . وقد ذكر لي أن من أكثر زواره في تلك الفترة رجل متصوف كبير السن من أهالي رفاة (الجزء الشرقي من المدينة ، من حي إسمه - ديم الجلال -) ، يدعى عبد اللطيف الدباغ ، وكان للإستاذ إحترام وتقدير خاص للرجل ، وكان له إمام خفي بسر إعتكاف الأستاذ (1948-1951) ، في هذه الفترة كما ذكرت تابع الأستاذ الأحداث وكتب العديد من المقالات في الصحف (أنظر باب دوره في السياسة الدولية في هذا الكتاب) .

1951 نهاية فترة الإعتكاف:-

في اكتوبر من هذا العام أنهى فترة الإعتكاف الإختياري الذي فرضه على نفسه وعاد إلى الخرطوم ، حيث عمل مهندساً مدنياً في شركة - النور والقوة الكهربائية ، الآن الهيئة القومية للكهرباء - بعد نهاية الإعتكاف طاف على جميع من قدم عملاً لأسرته أو صرف عليهم مبلغاً من المال ، فسدّد جميع ديونه ، حتى الحلاق الذي قام بقص شعره قبل إعتقاله مباشرةً قد وصله وأعطاه ثمن الحلاقة . ثم بدأ نشر الدعوة الإسلامية الجديدة .

في عام 1952م ظهر المؤلف الأول (قل هذه سبيلي)، وتبعه عدد من المنشورات الصغيرة. في الفترة (1953-1954) بدأ نشاط الحزب الجمهوري بومدني وهي من أكبر مدن السودان التي إحتضنت الفكر الجمهوري بعد العاصمة . .

في عام 1954 أسس جريدة (الجمهورية)، وقد ظهر العدد الأول منها في هذا العام وقد كانت طفرة في عالم الصحافة من حيث الجدية ورصانة اللغة، وقد ورد في افتتاحيتها النص الشهير الذي يحمل البشارة إلى المجتمع الذي يدعو إليه، والذي إلتخذه شعاراً لجناحي الخاص في معرض الزهور السنوي الذي يقام في الخرطوم وقد أسماه: (خلق الجمال) يقول النص: (نحن نُبشر بعالم جديد، وندعو إلى سبيل تحقيقه، ونزعم أننا نعرف ذلك السبيل معرفة عملية . . أما ذلك العالم فهو عالم يسكنه رجال ونساء أحرار قد برئت صدورهم من الغل والحقد، وسلّمت عقولهم من السخف والخرافات، فهم في جميع أقطار هذا الكوكب متآخون، متسالمون، متحابون، وقد وظفوا أنفسهم لخلق الجمال، في أنفسهم، و فيما حولهم من الأشياء، فأصبحوا بذلك سادة هذا الكوكب، تسمو بهم الحياة فيه سمتاً فوق سمت، حتى تصبح وكأنها الروضة المونقة، تفتح كل يوم عن جديدٍ من الزهر وجديدٍ من الثمر . .

محمود محمد طه

الجمعة 10 جمادي الأول 1373هـ الموافق

15 يناير 1954 جريدة الجمهورية العدد الأول)

كما أعلن في هذه الصحيفة الثورة على الدعاة السلفيين قائلاً: (وأني لشديد الثقة بأن هذا الشعب لن يتحرر مهما بلغت محاولاته إلا عن طريق الإسلام، وأبادر فأطمئن الشباب المثقف، أني لا أعني الإسلام الذي إحترفه المجلبون بحجب شرف الإنجليز، إنما أعني الإسلام الذي يقوم على روح القرآن ويستنبطه الذين يعلمونه . ولقد وظفت نفسي للدعوة إليه، ولن يهدأ لي بال حتى أرى الإنسانية قاطبة وقد قام ما بينها وبين ربها على الصلاة، وبينها فيما بينها على الصلة، وعلى الله قصد السبيل).

وقد كتب في هذه الجريدة عدد معتبر من الكتاب المرموقين، و كان له في هذه الفترة نشاط صحفي واسع، فقد كتب مقالات عدة في عدد من الصحف السودانية المعروفة في ذلك الوقت مثل (السودان الجديد) و(أنباء السودان) و(جريدة الشعب) ناقش فيها مواضيع شتى في القضايا المحلية والعالمية*⁽⁵⁾

1954م، في هذا العام توفي ابنه محمد غرقاً في نهر النيل وهو في التاسعة من عمره طالباً في مرحلة الأساس، كان قد ذهب لقضاء إجازته السنوية في رفاعة وقد حزن الأستاذ لفقده، ولكنه كان راضياً بقضاء الله وقدره وقد كتب الكاتب السوداني الدكتور منصور خالد مقالاً بعد تنفيذ حكم الأعدام على الأستاذ معلقاً فيه على إيمان الأستاذ القوي بالله حتى في أشد ساعات الفقد مشيراً في ذلك إلى موقفه بعد وفاة ابنه، فقد نقل عنه أنه قال لمن جاء لتعزيته: (أن ابني قد ذهب إلى أب أرحم) وقد ضمن منصور خالد ذلك المقال إدانه قوية لنظام جعفر نميري، سوف أورد أجزاء منه في المكان المناسب .

(5) راجع دار الوثائق السودانية ثم كتاب (رسائل ومقالات) للاستاذ محمود.

حكى لي الأستاذ في بعض أحاديثه معي أنه في فترة الخمسينيات تلك بدأ الحزب الجمهوري يأخذ الطابع الديني وذلك بعد أن إكتملت الفكرة الدينية للتغيير في ذهنه ، قال لي في تلك المرحلة تخلف عدد كبير من الجمهوريين القدامى الذين شاركوا في تأسيس الحزب في مرحلته الأولى ، وذلك لأنهم كانوا يريدون أن يكون الحزب علمانياً ولا يريدون الاتجاه الديني ، أعترض هؤلاء وتخلوا عن الركب وواصل الحزب مسيرته ، يدعو إلى النهج النبوي والبعث الديني الجديد وظل الأستاذ رئيساً له .

1955- 1956 وما بعدها:-

في هذا العام أحضر كل الأسرة من رفاة إلى الخرطوم حيث إستقرت في منزل بحى الملازمين بأمدرمان ، وبدأ في إدخال البعض في المدارس مرحلة الأساس ، وبعد فترة ظهر أنه يحتاج إلى منزل أكبر فقد كان العدد كبيراً . فإستاجر منزلاً أوسع في حي بيت المال وهو من أقدم أحياء مدينة أمدرمان فتحولت الأسرة من حي الملازمين إلى بيت المال . المنزل الجديد يقع بالقرب من شاطئ النيل ، كان منزلاً كبيراً ، يتكون من صالون وثلاثة غرف بصالات كبيرة ، مقفلة على الطراز القديم ومطبخ وحمامات ، وبه حديقة كبيرة بالقرب من الصالون ، وأمام كل غرفة فناء واسع ملئ بالأشجار كان فعلاً مكاناً مناسباً لأسرة كبيرة بذلك الحجم ، وكان به قسم خاص بالرجال حيث كان مكان راحته ومكتبه وضيوفه ، الكل منا كان يجد مجالاً للإستذكار واللعب والراحة ، كما أن الضيوف الذين يفدون من مدن السودان المختلفة ، وخاصة من مدينة رفاة كانوا يجدون مكاناً لراحتهم ، كما وجد هو مكاناً للتأليف ففي عام 1955 أصدر كتاباً يعتبر من

الكتب الأساسية تحت عنوان (أسس دستور السودان) . . وقد دعا في هذا الكتاب إلى حل مشكلة الحكم في السودان بإقامة الحكم الفدرالي وتقسيم السودان إلى خمس ولايات هي : (الولاية الشمالية ، والولاية الشرقية ، والولاية الغربية ، والولاية الجنوبية ، ثم الولاية الوسطى حيث حكومة المركز) . وتكلم فيه عن السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية شرح في هذا الكتاب معنى الدستور ، ومعنى القانون الدستوري ، وكذلك شرح علاقة هذه السلطات ببعضها البعض وتكلم عن كيف أن الحريات تبنى ، والديمقراطية تقوم من المجالس التحتية إلى القمة .

لجنة الدستور القومية:-

بعد إعلان الإستقلال . . وفي عام 1956 كونت الحكومة لجنة قومية لوضع الدستور الدائم للبلاد ، وقد وجهت الدعوة للأحزاب والهيئات لتتدب ممثليها ، وقد تم تكوين اللجنة . وشارك الأستاذ محمود فيها كرئيس للحزب الجمهوري ، وفي أول إجتماع للجنة ظهر أن الحكومة قد حاولت الهيمنة على اللجنة والتأثير على قراراتها ، فقد عينت رئيسها وإختارت أعضائها المعينين المستقلين ، فإعترض الأستاذ على سيطرة الحكومة هذه وتجاوب معه رئيس اللجنة نفسه وبعض الأعضاء . وتقدم الأستاذ محمود بإقتراح بأن تكون لجنة الدستور مستقلة إستقلالاً تاماً عن الحكومة تعين رئيسها وأعضائها وتتخذ مآتشاء بعيداً عن الحكومة . وقد سسقط الإقتراح ، وبإسقاط اللجنة لهذا الإقتراح إنسحب الأستاذ من اللجنة وأصدر خطاباً نشرته جريدة الرأي العام بتاريخ 26 / 1 / 1957م فيما يلي نصه :

(حضرة السيد رئيس لجنة الدستور القومية ، والسادة أعضاء اللجنة

المحترمين . .

تحية طيبة ،

وبعد :

يؤسفنا أن نبلغكم إنسحابنا من اللجنة القومية للدستور ، وذلك لإنهيار الأساس الذي قبلنا به الإشتراك فيها . . فقد جاءت فكرة تكوين هذه اللجنة عقب رغبة حقيقية أعلنها الرأي العام السوداني ، كيما تساعد على إبراز الرأي المعبر عن مثل الشعب الإنسانية ، ليصاغ منها دستوره ، وقامت الحكومة بتنفيذ فكرة تكوين اللجنة بإعتبار أنها أصلح من يقوم بمثل هذا العمل . . وما كنا لنبخس الحكومة حقها في شكرها على أدائها هذا العمل لو سارت فيه السير الصحيح . . ولكن مع الأسف كونت اللجنة بصورة يصدق عليها أن تعتبر لجنة حكومية ، وليست قومية ، فإستحلّت الحكومة لنفسها أن تعين رئيسها ، وتعيّن أعضائها المستقلين ، حسبما يروقها ، وهذه من أخص حقوق اللجنة التي ما كان للحكومة أن تتغول عليها . . وكان أملنا أن تسترد اللجنة حقوقها المسلوبة ، ولكن اللجنة نفسها ، خذلتنا عندما أسقطت الإقتراح الذي تقدمنا به في هذا الصدد فارتضت لنفسها بذلك وضعاً مهيناً ، لا نشعر بالكرامة في قبوله ، والإستمرار فيه . . وقد قال بعض أعضاء اللجنة ، أن اللجنة عينتها الحكومة ، وعينت لها اختصاصاتها ، وليس من حق أعضائها أن يعيدوا النظر فيما حددته الحكومة ، بل لا يتورّع بعض الأعضاء من أن يعلن أن الدستور منحة تمنحها الحكومة للشعب الذي هي ولية أمره فيفصح بذلك عن كفرانه بالشعب أصل الدساتير ، كل هذا يقال داخل اللجنة ، واللجنة تقبله .

وبذلك وضع أن الحكومة تريد أن تجعل هذه اللجنة مخلص قط في يدها
وتتخذ منها أداة لعمل تلبسه ثوب القومية . . وإزاء كل هذا لا يسعنا إلا أن نعلن
إنفصالنا من هذه اللجنة . . وختاماً تفضلوا بقبول فائق الاحترام . ()

في هذا العام أصيب الأستاذ بحمي ملاريا وقد أرسل إلى أحد الأطباء ممن
تربطهم أواصر قرى ونسب بالأسرة، وقرر الطبيب العلاج والراحة ولزم الأستاذ
السري . . أصابنا جميعاً حُزن شديد لمرضه، وأذكر كيف ونحن صغاراً كنا نحيط
بسريره، نغادر إلى المدرسة من غرفته حيث كنا نتناول معه الشاي في الصباح، ثم
نعود من المدرسة إلى غرفته لنطمئن على حاله، أذكر أنني عندما كنت آوى إلى
سريري كنت أحس بألم وقلق شديدين على حالته الصحية، وسرعان ما شفى
وقد سعدنا كثيراً لاستعادة صحته ونشاطه . كانت تلك المرة الوحيدة التي رأيت
يصاب فيها بالحمى وقال لي أن آخر ملاريا أصابته كانت قبل 24 عاماً من ذلك
التاريخ . . المعروف عنه أنه لا يعاني من أي مرض، غير أنه فقط كان يصاب
بالنزلة في فصل الشتاء والحر الشديد .

بالرغم من مشغوليته الكثيرة إلا أنه كان يعطينا أطول وقت من زمنه، كان
برنامجنا اليومي يبدأ معه، فهو محور حياتنا، كنا نحس أن ليس له عمل غيرنا،
وكان يشعرنا بذلك، يبدأ يومنا بتناول الشاي معه ثم الخروج إلى المدارس، وبعد
العودة من المدارس ننتظر عودته من العمل وأحياناً نقابله أمام باب المنزل
الخارجي، ثم نجتمع حوله لتناول وجبة الغداء . قد يخرج في المساء إلى مكتبه أو إلى
أي أعمال أخرى ويتنظره بعضنا إلى وجبة العشاء، كنا نتناول معه الوجبات على
هذا النحو، إلا في أحيان قليلة عندما يكون هناك بعض الضيوف غير المعتادين .

فقد حدث في ذات مرة أن كان معه ضيف وعندما حضرنا للطعام، رفض الضيف ذلك الطعام قائلاً: (إنه لا يجب أن تأكل معهم البنات)، وقد حدثه الأستاذ حديثاً طيباً ورقيقاً عن البنات، وأوضح له أن وجودنا معه في وقت الطعام مهم له.

كان يجب دائماً أن يتناول الأطفال وجباتهم قبل الكبار، وبصورة أكثر إنظاماً. . . وكان في بعض الأحيان لا يخرج في المساء، وفي مثل هذه الأمسيات يستذكر معنا الدروس، ويهتم كثيراً بمتابعة تحصيلنا في المدارس، وقد حظيت سمية بالقدر الأكبر في مذاكرة الدروس معها، لأنها كانت أصغرنا سناً. فقد أولى تعليم البنات اهتماماً زائداً وإمتد هذا الإهتمام حتى شمل الجمهوريات اللاتي إنتمين إلى الفكرة الجمهورية لاحقاً فقد تولى مهمة تعليم الكثيرات منهن. . .

أذكر عندما كنا في مراحل الأساس من التعليم كان يحضر لنا كتب الأطفال، فقد قرأت كل سلسلة محمد سعيد العريان، وكامل كيلاني، وكان يخلق بيننا جواً من المنافسة ويمنح جائزة لأول من يكمل الكتاب، وأسرع من يقوم بتلخيصه كتابة. وأذكر أنني قد قمت بتلخيص (ساندرلا)، و(كتكت المدهش). . . كان يهتم بتقوية اللغة والتعبير العربي الصحيح بأن يطلب من الواحد منا أن يقرأ له الصحف اليومية، وكثيراً ما كنت أقرأها له، ويتابعني بتصحيح أخطائي، وكان هذا الجهد أقوى مما يقدم لنا في المدارس. . . وفي مرحلة الأساس كانت لنا جريدة حائطية اسبوعية في المنزل إسمها (المستقبل)، يكتب فيها جميع الأطفال، وتعلق في الصالون، وكنت رئيسة تحريرها، وتلك كانت أكبر وسيلة للمساعدة على تجويد اللغة والتعبير، وبعد إكمال الثانوي العالي كنت أكتب له بعض الخطابات التي يريد إرسالها لمن يكاتبونه، ولا يرسلها إلا بعد مراجعتها. . . وبعد ذلك بسنوات كان يملئ على الكتب التي يؤلفها كما سيظهر ذلك في الصفحات القادمة. . .

إلى جانب هذا الإهتمام كان يحفزنا إلى إحراز المزيد من التقدم بتقديم الهدايا عند التفوق . . أذكر عندما إجتزت الإمتحان إلى مرحلة الثانوي العالي أهدي لي ساعة وشمعداناً أنيقاً وقد كانت تلك فرحة عظيمة ورغبة في المزيد من التفوق .

في هذا الوقت كان المنزل ملىء بالأطفال ، وكان هو شديد الإهتمام والرعاية لهم . . كثيراً ما يُرى في ليالي الشتاء البارد يطوف يضع الأوسدة تحت رؤسهم . *⁽⁶⁾ وكان عندما لا يجد غطاء بجوار أحدهم يأتي بالفرش المعد للغيرار ويغطي الأطفال من البرد مما لا يرضي بعض الأمهات اللاتي أعددن الفرش للغيرار .

في هذه الفترة كانت الأسرة تسكن حي بيت المال في أمدرمان بالقرب من شاطئ النيل ، أذكر في الإجازات الصيفية ، وفي مواسم الأعياد كان الأطفال في الحي والأحياء المجاورة يحضرون للسباحة في نهر النيل ، وكان بعضهم يموتون غرقاً في النهر وتَحضرُ أسرهم ويبقون على الشاطئ أحياناً لفترة ثلاثة أيام ليكون حتى يتم العثور على جثمان الغريق ، كان في مثل هذه الظروف يأخذ لتلك الجموع إناء الشاي في الصباح الباكر ، ثم وجبات الطعام ، كما يحمل لهم الأغذية التي تقيهم البرد في الأمسيات ، كما أن بعض أمهات هؤلاء الغرقى يقضين الليل معنا في المنزل ، وكان المنزل في مثل تلك الظروف يتحول إلى مأتم . هذه المواقف كان لها أثر طيب في نفوس أهل المأتم ، كما بقى لها أثر عميق في نفسي كرمز للشهامة والخلق السوداني الأصيل . .

(6) الناس في السودان ينامون في فناء المنزل ويسمى بالحوش .

الأعوام 1957-1967 (العمل في المشاريع الزراعية):-

كانت هذه الأعوام هي سنوات عمله الموسمي كمهندس ري في مشاريع النيل الأبيض الزراعية، حيث كان تواجهه في منطقة كوستي، الرنك، والجبلين وماحولها، وكان يستأجر منزلاً في مدينة كوستي، كان هذا المنزل مقراً للفقراء والدروايش والمداحين والشيوخ من رجال الطرق الصوفية، فقد كان يهتم بهؤلاء يخدمهم بنفسه، ويستجيب لطلباتهم ويقوم بعلاج المرضى منهم ويشرف عليهم بنفسه، ويتفقد أحوالهم وأحوال أسرهم، ويساعدهم مساعدات مالية متصلة ويشعرهم بإنسانيتهم، وقد ظلوا يزورونه حتى بعد أن أوقف الذهاب إلى تلك المناطق (أنظر الصور). كانت له عربة لاندروفر رمادية اللون، تشاهد دائماً مليئة بهؤلاء، وقد كانوا يسمون تلك العربة "الغيشة" تصغيراً وتدلليلاً إشارة لمحبتهم لها. كان يقيم معه في هذا المنزل سائق عربته والطباخ والجنزرجي الذي يعمل معه، ثم يزوره العديد من سكان مدينة كوستي، والشباب المتطلع للمعرفة، حيث نشأت بينه وبينهم علاقات صداقة ومودة قوية، ومن بين هؤلاء طلبة الثانوية العليا الذين كانوا يطرحون عليه العديد من الأسئلة العرفانية والسياسية، كما يستفسرون منه عن محتويات البعث الإسلامي الجديد، الذي يدعو له، وكان يقوم بالإجابة عليها*⁽⁷⁾ وبعد تنفيذ حكم المحكمة الجائر عليه، كان بعض هؤلاء الطلبة قد أصبحوا أساتذته في جامعة الخرطوم وقد كانوا من طليعة من أصدروا المنشورات، وتقدموا مواكب الإحتجاج على الحكم، وبعدها ظلوا يقيمون الإحتفالات السنوية في جامعة الخرطوم، تكريماً لذكرى وقفته القوية ضد الطغاة ومحاكم التفتيش.

(7) انظر كتابه (رسائل ومقالات)

كما نشأت بينه وبين أبناء الجنوب ، في فترة تواجده في منطقة النيل الأبيض ، علاقة مودة ورحمة ، ومنهم من كانوا يعملون معه ويزورونه في منزله في كوستي ، وكان يرعى ويحسن إلى الكثيرين منهم وظلت هذه الصلة بينه وبينهم قائمة ، يكاتبونه ويصلونه حتى بعد أن إستقر في الخرطوم ، وكان البعض منهم يكتب له الخطابات باللغة الإنجليزية ، أذكر أنه أطلعني على أحد هذه الخطابات ، كانت ودية وطيبة ، وقال لنا أنه نصح أبنائه من الجنوبيين أن يأخذوا باللغة العربية ، لأنها أقرب إليهم من الإنجليزية . وقد إهتم بمشكلة الجنوب وكتب عن حلها (أصدر منشور (حل مشكلة الجنوب في حل مشكلة الشمال) وكتاب باللغة الإنجليزية والعربية أسمه (مشكلة الجنوب) ، ووقف ضد الحرب ، حتى أصدر المنشور (هذا . . او الطوفان) ، الذي أغتيل بسببه ، والذي دعا فيه لحل المشكلة سلمياً ووقف الحرب . وفي نفس المنشور دافع عن المسيحيين وقال أنهم سيضارون بتطبيق الشريعة ، وكان يحب المسيحيين ، وله أصدقاء كثيرون منهم ، يزورنه في منزله ، ولعلمهم بتصديقه بالسيد المسيح وفهمه الموحد للأديان ، فالدين عنده كله واحد من لدن آدم في قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَهُهُ اللَّهُ يَجْتَبِئُ إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (سورة الشورى) ، ففي كتاب الرسالة الثانية من الإسلام ، تكلم الأستاذ محمود عن وحدة الأديان ، وأن اليهودية هي درجة من النصرانية ، ولذلك تسمى بالعهد القديم ، والإنجيل يسمى بالعهد الجديد ، ففي التوراة جاء في القصاص (العين بالعين ، والسن بالسن) ، وفي الشريعة (الرسالة الأولى من الإسلام) قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَحَزَّوْاْ سَنِيَّةً سَنِيَّةً مِّثْلَهَا فَمَن عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْفَلِيلِينَ ﴿١٠﴾ (سورة الشورى)، ويقابل هذا من المسيحية (من لطمك على خدك الأيمن، فأدر له الأيسر كذلك)، وكان السيد المسيح يقول لانقاوموا الشر، وفي أصول القرآن (الرسالة الثانية من الأسلام) جاء: ﴿وَجَزُوا سَيِّئَةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَلِيلِينَ ﴿١٠﴾﴾، فالإسلام في أصوله، يتقدم درجة على المسيحية، بالأمر بالعفو، ثم الإصلاح للمعتدي، وكان الأستاذ يردد كثيراً الحديث النبوي: (كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم، حكماً، مقسطاً، يملأ الأرض، عدلاً، كما ملئت، جوراً). والذي يجري الآن من خلافات بين الأديان، يعزى إلى أنه في مرحلة العقيدة تتفرق الأديان (كل حزب بما لديهم فرحون)، وفي مرحلة العلم الذي قدمه الأستاذ محمود تتوحد الأديان (إن الله بالناس لرؤوف رحيم)، ولهذا الفهم الواسع الذي قدمه الأستاذ محمود، أحبه المسيحيون. أذكر في نهاية السبعينيات، زُرت مع الأستاذ، كاردينال، الكنيسة الإيطالية في الخرطوم، وقد دار بينهما نقاش طيب، وأهداه الأستاذ مجموعة الكتب الأساسية، التي قام بتأليفها، وقد قبلها بكل سرور، وكان مقدراً للهدية والزيارة، وقد إنتشر خبر تلك الزيارة، وكان لها أثراً طيباً في أوساط المسيحيين، داخل السودان وخارجه، ففي أثناء زيارتي لإنجلترا وجدت المسيحيين يذكرون تلك الزيارة، وقد قصاها علي أحدهم)، ولهذا الفهم الواسع أحبه المسيحيون. كما كانت له علاقات وطيدة مع السياسيين المسيحيين من أبناء الجنوب*⁽⁸⁾، وقد كان هؤلاء أكثر الناس حزناً بعد تنفيذ الحكم عليه، يظهر هذا في كتابات الدكتور بونا ملوال وآخرين.

(8) تبنى قضيتهم وكتب كتاباً عن حل مشكلة الجنوب وطالب بحقوقهم وبوقف حرب الجنوب في المنشور الذي كان سبب المحاكمة

هنالك قصص كثيرة تحكي عن كرمه وإحتماله لزواره من شتى طبقات المجتمع في منطقة النيل الأبيض . ومن الحكايات اللطيفة التي حدثت أثناء وجوده في مدينة كوستي (وقد كان معه بعض الضيوف) جاءه لص في منزله هذا وأخذ حقيبة بها أشياء قليلة الأهمية ، وقد شعر به الأستاذ وأخذ بعض النقود وأسرع وراء اللص يناديه " هذه الحقيبة لاتفيدك بشئ تعال وخذ هذه النقود " ، وعاد الرجل وأعطاه مبلغ ثلاثة جنيهات ، وقد بكى اللص في حضرة الأستاذ وقيل أنه قد ترك السرقة منذ ذلك اليوم وأخذ يعمل ويزور الأستاذ في بعض الأوقات . . . وقد تكرر نفس المشهد عندما جاء لص في المنزل في أمدردمان تبع اللص يقول له : (تعال لاتخف قل لي مامشكلتك وسوف أحلها لك) ، وعندها وقف اللص وأعطاه الأستاذ بعض النقود ، وفي مرة قدم لأحدهم عشاء .

في تلك السنوات عندما يكون موجوداً في الخرطوم كان يصحبنا إلى السينما ، وكان يتحين الأفلام الجيدة والهادفة ، كما كان يأخذنا إلى حديقة المقرن حيث كنا نقضي كثيراً من الأمسيات هناك ، وقد عرفت منه مؤخراً أن العديد من إجتماعات الحزب الجمهوري في أيامه الأولى كانت تعقد في تلك الحديقة كما ورد سلفاً . أيضاً كان يأخذنا في العطلات وأيام الجمع إلى حديقة الحيوان ، وكان يقول إن الإنسان إذا زار تلك الحديقة أثناء وقت تقديم الطعام للحيوانات ، فسوف يرى سلوك الحيوان على حقيقته . . . وقد شاهدنا تلك اللحظات فهي تجسد الهلع والأنانية كما تثير الضحك ، من الجانب الآخر تدفع الإنسان إلى السلوك الإنساني والتنائي عما يقربه من الحيوان . . . وقد كان دائماً يقترح على بعض أصدقائه من المرضى ، وكبار السن زيارة حديقة الحيوان ويقول لهم أن الحيوانات تحمل العلل عن المرضى خاصة مثل فرس البحر وغيره . . .

1958 - 1964 الحكم العسكري الأول وثورة أكتوبر:-

في هذا العام (1958) قام الإنقلاب العسكري الأول في السودان بقيادة الفريق إبراهيم عبود، حيث حُلّت جميع الأحزاب السياسية وحُظر نشاطها، وكان نشاط الجمهوريين مستمراً في التوعية، وقد كان حتى تلك الفترة الأستاذ محمود هو المتحدث الوحيد، يقيم الندوات والمحاضرات خدمة لقضية التوعية. في الفترة 1963 وما بعدها كان وقته مقسماً بين عمله في كوستي ورعايته لنا في أمدرمان.

وفي أغسطس 1958 كتب خطاباً للرئيس جمال عبد الناصر، فى مجمله نصيحة للرئيس عبد الناصر، أن يكف عن التدخل في شئون الدول العربية وأن يقبل على الإسلام ليجد فيه المذهبية التي ستمثل الكتلة الثالثة التي ستنقذ العالم من خطر الشيوعية العالمية، وأن يترك الدعوة للقومية العربية فإنها دعوة عنصرية. . كما كتب قبله خطاباً للرئيس محمد نجيب. في هذه الفترة كانت ترد إليه في كوستي وفي الخرطوم العديد من الأسئلة، من عدد من أصدقاء الفكر الجمهوري وبعض المواطنين وكان يرد عليها في شكل خطابات خاصة لهم، وكذلك عبر الصحف اليومية، وبعد سنوات جمع هذه الأسئلة والأجوبة، وأصدرها في أربعة كتب (أسئلة وأجوبة الأول والثاني، ثم رسائل ومقالات الأول والثاني)، وبقي العديد منها لم ينشر حتى الآن.

1959-1969 (رعاية الأسرة):-

بالرغم من مسؤوليات الأستاذ محمود الكثيرة كما ذكرت إلا أنه كان يولي أمر أسرته الكبيرة المكونة من زوجته وإبنتيه وأبناء اخيه مختار محمد طه، كل العناية. .

ثم ابناء أخ له من أبيه مقيمًا برفاعة ، قام بتعليمهم ورعايتهم حتى تم توظيفهم . . . هذا إلى جانب أعداد أخرى من أطراف الأسرة الممتدة ومن أبناء أصدقائه ، يرعى تعليم من يرغب في التعليم ويبحث عن عمل لكل من ليس له عمل ، كما كان يرعى بعض أبناء المعتقلين من معارفه ، وهناك أسر كثيرة يقوم بمساعدتها المادية ولا يعلن ذلك لأحد . أذكر أن هناك رجلاً من أقربائه أسمه أحمد المكي كان يسكن ويعمل في الخرطوم ولا يصل الأستاذ منذ سنوات ، وقد حدث أن توفي هذا الرجل في مستشفى أمدرمان وجاء به إثنان من الأطباء في منتصف الليل بإسعاف ، وقالا للأستاذ أن المرحوم في لحظات حياته الأخيرة قال أنت المسؤول عنه ، وما نحن قد أتينا لك بالجثمان وذكرنا إسمه " هل تعرفه حقيقة ؟ " ، فرد عليهم " أي بالحيل " ، شكرهم الأستاذ على مجهودهم وقضى الليل بجوار المرحوم يقرأ عليه القرآن وجهزه بنفسه وأقام عليه مراسم الدفن والمأتم . . هذا واحد من أمثلة كثيرة لأشخاص رعاهم أحياء وأمواتاً ، كما أنه لا يتحدثنا عن أعماله التي لم نشهدها لكن أصحابها يتحدثون .

تعليم البنات والتعامل داخل إطار الأسرة..

أولى تعليم البنات إهتماماً خاصاً في نطاق الأسرة ، وعلى المستوى العام ، ففي نطاق الأسرة كان يشجع البنات على القراءة والإطلاع ومواصلة التعليم من مرحلة إلى أخرى ، أذكر أنني بعد إمتحان الشهادة العليا فكرت في الإشتغال بالتدريس مثل بعض الزميلات اللاتي كن يرغبن في العمل ، وإتصلن بوزارة التربية وملأن الأرائيك للعمل في التعليم . فإندفعت وراء سلوكهن ذاك وكتبت له أستشيريه ، وقد كان وقتها في كوستى فرد عليّ في خطاب بوصيني بترك فكرة

العمل ، أذكر في إحدى عبارات ذلك الخطاب قوله : (واصل تعليمك الجامعي فليس في سودان الغد مكان لأنصاف المتعلمين وأنصاف المتعلمات) ، وفي نفس الوقت كان يحرص أن تلم البنات بالعمل المنزلي . . وفي تجربتي الخاصة كان يؤثرني بأهتمام خاص في أمر التعليم (لعله لمس رغبتى في التعليم) كان دائماً يوصيني ألا أتوقف أبداً عن مواصلة التعليم إلى آخر مراحل ، ففي فترة تواجده بكوستي كان يكتب لي يوصيني بالإجتهاد في الدراسة وأن أقوم بمساعدة الأخريات في الأسرة حتى يتقدمن في التعليم*⁽⁹⁾ . لايفوتني أن أذكر أنه في فترة غيابه في كوستي كان يكتب لنا العديد من الخطابات وكنا نتظر البريد الأسبوعي بفارغ الصبر ، فقد كانت خطابه مصدر سعادة عظيمة لنا . . في حين كان يخطط لتعليمي ألا يتوقف ويوصيني أن أواصل إلى أعلى المراحل ، في نفس الوقت أشركني معه منذ وقت مبكر في إدارة شؤون الأسرة ، وكان يطلب من مربيته ربي جود (التي مازلت حتى تلك اللحظة تقوم بالكثير من أمور الأسرة) كان يطلب منها ومن الأمهات في الأسرة أن يتركوا إلى أمور الطبخ وإدارة المنزل في الإجازات وأيام الجمع . . وقد كنت أقوم بالطبخ ونظافة وترتيب المنزل في العطلات ، وقد ألممت ومنذ وقت مبكر بجميع أعمال الطبخ وشؤون المنزل وكنت حريصة ، على إقتناء الجديد من كتب الطهي وتطبيق كل ما يرد فيها ، وكذلك ما نأخذه من حصص التدبير المنزلي في المدرسة كان يشعرني بأهمية كل عمل أقوم به ويسألني كيف أديته ، ولذلك كنت أشعر بقيمة كل عمل أقوم به مهما كان صغيراً ، كان هذا يحفزني للمزيد ويدخل السرور على نفسي . . وقد حفز كل بنات الأسرة للتعليم ونهل المزيد منه ، حتى يعرفن قيمتهن (كإنسانات) في المقام الأول ،

(9) انظر الخطابات في آخر الكتاب .

وكان يرى أن من أوجب واجبات الدين هي نصرة المظلوم ، وأن المرأة هي أكبر من ظلم وقد طبق أرائه تلك عملياً في الأسرة ثم أهدي كتابه (تطوير شريعة الأحوال الشخصية) إلى النساء حيث قال : (إلى أكبر من أستضعف في الأرض ، ولا يزال . . . إلى النساء . . . ثم إلى سواد الرجال ، وإلى الأطفال . . . بشراكم اليوم!! فإن موعود الله قد أظلكم . " ونريد أن نمن على الذين أستضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين " .

كان يطلب من الأولاد في الأسرة أن يقوموا بغسل ملابسهم وترتيب فراشهم بأنفسهم ، وأن لا يسندوا تلك المهمة إلى البنات ، ومن المعارف عليه في السودان أن هذا العمل من إختصاص البنات في الأسر ، وكانت تلك بداية (التحرير) والشعور بالمساواة بصورة عملية . . . وعندما أنشأ المجتمع الجمهوري إهتم بتعليم كل من كانت في سن التعليم ولم تعلمها أسرتها ، بل أدخل بعضهن المدارس وهن في سن متقدمة ، وكن يحكين عن الحرج الذي كُن يقابلنه وهُن يدرسن مع طالبات يصغرنهن سنا . . .

كان يهتم بأدق الأشياء في الحياة اليومية ، مثلاً عندما يدخل إلى مكان إعداد الطعام ويجد بقايا الطعام على الأرض ، أو حبات الذرة كان يجلس على الأرض ويجمعها بيديه ويقول : (لا تلقوا بالنعمة على الأرض فإن من شكر النعمة إحترامها ، وأن عدم شكر النعمة يؤدي إلى زوالها وأنه سيجيء زمان يبحث فيه الناس عن هذه الحبيبات ولا يجدونها) ، وفعلاً حدث ذلك . . ففي 1982 حدث الجفاف وبحث الناس في بعض مناطق السودان عن حبات الذرة في شقوق الأرض .

وكان يراعي كذلك أدق تفاصيل حياتنا اليومية وضمان سلامتها ، على سبيل المثال عندما كنا طلبة في المدارس في الستينيات لم يحدث أن تغيبت عن المدرسة ، ففي ذات صباح ماطر منعنا من الذهاب إلى المدارس ، وعندما حضرت إلى المدرسة في اليوم التالي سألوني عن سبب غيابي وقد أصابتهم الدهشة عندما عرفوا السبب ، إذ لم تغيب أي طالبة لأن والدها منعها بسبب الأمطار . .

في مجال التربية كان يضع نظاماً للسلوك العام في الأسرة ، فكل من يخرج من المنزل يجب أن يعود قبل الساعة التاسعة مساءً ، ولا يسمح لأي شخص أن يعود بعد ذلك (وهؤلاء دائماً الأولاد) ، أما نحن البنات فلاتخرج أي واحدة منا منفردة إلى أي مكان ، كنا نخرج دائماً مع الأمهات في الأسرة أو معه وكان دائماً يوصي حتى بعد قيام المجتمع الجمهوري ، أن لا يخرج أي شخص منفرداً ، كل شخص يخرج في معية أحد الأخوان ، وقد عرفنا مؤخراً أن هذا الوضع سليم أمنياً . . كما كان يهتم كثيراً بحالة كل من يشكو شيئاً أو ألماً في الأسرة ، يشرف على إعطائهم الدواء ويحفظ مواعيد الدواء أكثر من المريض نفسه ، وفي تجربتي كان يهتم بإعطائي الدواء ولذلك كان عندما يصاب بالنزلة كنت أتغيب عن الدراسة أو العمل حتى يشفى .

كان لا يميل إلى العقوبات البدنية ولا يفعلها إلا في حالة الضرورة القصوى . أذكر عندما كنا أطفالاً ، شكت له أمنا ربي جود من اثنين من الأولاد لخطأ ارتكباه فجلدهم . وكنت أنا وإحدى البنات في المنزل نضحك عليهم وهم يكون ، دعانا إلى الصالون وجلدنا بمسواك أراك وأصبحنا نبكي جميعاً . . . فكأنه قد أقام العدل بيننا ، وكانت تلك آخر مرة لمثل هذه العقوبة ، عندما تقدمت السنوات بدأت أفكر

في الدقة والعطف والحزم والعدل الذي جمع به جميع أطراف هذه الأسرة الممتدة الكبيرة ، وقام برعايتهم وترشيدهم وتربيتهم بكل الحكمة والمحبة في آن معاً وهو أمر في غاية الصعوبة ، فكان كثيراً مايتدخل لفض النزاعات بين الأسر عندما تلجأ إليه أذكر أنه قد نشب ذات مرة خلاف بين بعضهم ورفعوا الأمر إلى الأستاذ وكان على رأس الأسر المتنازعة رجل وقد لاحظ الأستاذ ميل ذلك الرجل إلى جانب دون الآخر فكتب له قائلاً: (كن رجلاً وكن محايداً فوق الجميع) وقد شعرت من قوة تلك العبارة ان عدم الحياد يقلل من وزن (الرجل) .

في خلال تلك السنوات كنا أحيانا نخرج معه وهو يقود عربته اللاندروفر ، و في ذات مرة توقف عند إشارة المرور وقد كان الطريق خالياً تماماً ، وهنا قال له أحد إخوتي : (واصل السير فليس هناك رجل بوليس) فرد عليه الأستاذ: (ولكن الله دائماً موجود . .) ، في هذه الفترة عندما يكون موجوداً في الخرطوم (في فصل الخريف) يأخذنا باللاندروفر (الذي كان كثير الأعطال) إلى المدارس ، وفي ذات يوم تعطل اللاندروفر وطلب منا أن نتقدم سيراً على الأقدام ، وبعد دقائق قام بإصلاح العطل ، فركبنا ثم تعطل مرة أخرى ، ونزلنا لمواصلة السير ثم ركبنا مرة أخرى ، وتكرر هذا المشهد عدة مرات مما دعانا للضحك . . . كل تلك الأيام كانت أيام سعادة لانحس فيها إلا بالفرح والمزيد من السعادة في معيته .

1962-1963 استمرار الحركة والوفود:-

في خلال هذه الأعوام وما بعدها كان وقت الأستاذ محمود مقسماً بين العمل في كوستي ، وبين رعاية الأسرة في أمدرمان ، والتبشير بالدعوة . . أذكر في هذه الأعوام في أحد الأيام ، وبعد عودتي من المدرسة ، ترك لي مذكرة مع أمنا ربي

جود مفادها أنه قد حدث له خلاف مع السلطات . . وأنه قد لايعود إلى المنزل اليوم يرجو مني أن أشرح هذا لأهلي وألا ننزعج لذلك وقد ترك في الظرف مبلغ خمسة جنيهات لتصرف بها في المنزل ، وقد كانت تلك أول ورقة ، في أمر هام ، يكتبها لي . . وقد شعرت بالخوف والحزن والمسؤولية في آن معاً ، وكان ذلك شعوراً غريباً . . لم يصل الخلاف مع السلطات إلى المدى الذي توقعه الأستاذ ، وعاد بعد نهاية اليوم العملي وكانت أيضاً فرحة كبيرة ثم أخذ مني الورقة . . وبعد سنوات من ذلك الحدث شرح لي أن سبب تلك الورقة أنه كان قد أقام عدد من المحاضرات في نادي الخريجين بالخرطوم تحدث فيها عن تطوير التشريع الاسلامي وعن الصلاة ، تناول أحد الصحفيين المعارضين تلك المحاضرات تناولاً مسفهاً ، إدعى فيه أن الأستاذ محمود قد أسقط التكاليف والصلاة ونتيجة لهذا أراد الأستاذ أن يوضح للناس حقيقة ما قال فذهب إلى جامع أمدرمان الكبير في رمضان بعد الصلاة والخطبة إستأذن من الإمام وإعتلى المنصة ، قال لي (بدأت حديثي للمصلين بقولي أنا محمود محمد طه سمعتم عني الكثير ولكن لم تسمعوا مني) وأراد أن يشرح موضوع الصلاة فلم يستمع الناس بل أخذوا يتصايحون وساد المكان الصياح والهرج ، قال إنه كان وحده ، وقد كان الهرج شديداً ، ولم يبال به ، وقام بعضهم للإعتداء عليه ، وأخذوا يشدون أطراف بدلته ، قال لي إنه لم يأبه بهم ، وأما شد بدلته كان يحس به كجذب أطفال صغار يمسون بأطراف بدلته . وإستدعي له إمام الجامع وكان آذاك الشيخ عوض عمر ، البوليس وذهبوا بالأستاذ لمركز البوليس حيث طلبوا منه الحضور في صباح الغد إلى وزارة الداخلية ، وبعد هذا السرد قال لي : (لهذا السبب كتبت لك تلك الورقة) .

حز نشاط الأستاذ الفكري في نفوس المعارضين والفقهاء السلفيين من أدياء الدين ، فكتبوا عريضة للحكومة ينهاونها لخطر الجمهوريين . وطلبوا من الحكومة إيقاف المحاضرات وفعلاً إستجابت لهم السلطات فأوقفت نشاط الأستاذ الخارجي ومنع من المحاضرات في الانديه ، كان كلما يذهب لتلبية دعوة نادي ما للمحاضرة يجد أن البوليس احاط بالنادي ومنعت المحاضرة ، فعكف الاستاذ على إقامة الندوات في منزله ومنازل بعض الجمهوريين والأصدقاء ، وقد كانت فترة مليئة بالعمل الدؤوب . وكان بعض المثقفين من زملاء الأستاذ في كلية غردون ، ومن المتعاطفين مع الحركة قالوا للحكومة ان هذه المحاضرات لا تسبب أي مشاكل وأنها تقوم في المنازل ويحضرها جمهور كبير لذلك من الأسلم امنيا ان تقام في الأندية والاماكن العامه وفعلاً نشطت الحركة في تلك الفترة .

إستطاعت الفكرة الجمهورية في تلك الفترة أن تركز النواة في قلوب وعقول الكثيرين ، ومنهم من التزم الفكرة الجمهورية ، وكذلك كان العمل في مدن السودان مثل مدني ورفاعة وكوستي وبورتسودان ، وفي هذه الفترة أيضاً إستطاع أن يؤلف العديد من الكتب ، كما كتب عدداً من المقالات في الصحف اليومية وقد تنبه أعداء الفكر الجمهوري لهذا النشاط . . وسرعان ما أصدرت وزارة الثقافة والإعلام منشوراً سرياً منعت فيه الصحف من نشر مقالات الأستاذ .

كان يعود إلى الخرطوم من كوستي في موسم الخريف . وفي طريق العودة يطوف على بعض المدن يقيم المحاضرات مبشراً فيها بالبعث الإسلامي الجديد . . . كان يقضي في هذه المدن أسبوعاً أو أكثر وقبل تحركه من كوستي ، يتم الإتصال بالأندية الثقافية في تلك المدن ، حيث يتم تنظيم هذه المحاضرات وإعداد برنامجها الزمني .

قبل عام 1969 لم تكن نصحبه في تلك الجولات بل نقيم في المنزل في أمدرمان مع الأسرة الكبيرة التي كانت تشمل الوالدة الكبيرة ربي جود، التي قامت بتربيته ثم العمات وأمهاتنا والعديد من كبريات السن من أطراف الأسرة اللائي فضلن أن يعشن في كنف الأستاذ، ثم أبناء العمومة وأخواتي المتزوجات واللائي يأتين لقضاء الإجازات معنا، وكذلك أبناء بعض أصدقائه صغار السن، الذين يدرسون في المدارس تحت رعايته، ويطبقون معنا في المنزل، ثم يعودون إلى أهلهم بعد نهاية العام الدراسي . . .

كان يصحبه في تلك الجولات التثيفية والدعوية بعض الجمهوريين ممن يقربونه سنًا أو يزيدون أو أقل . طاف على معظم مدن السودان مثل مدني، كوستي، الأبيض، بورتسودان، طوكر، جببت، سنكات، سواكن، هيا، رفاعه، سنار، الحصاحيصا، القضارف، كسلا، الدمازين، سنجة، السوكي والروصيرص كلوقي، تلودي، العباسية، امروابة، الدلنج رشاد، ابوجبيهة، ود عشانا، تندلي، الدويم، الكوة، ودالمجذوب، أربجي، بربر، الدامر، عطبرة، العبيدية، الحاج عبد الله . . إلخ*⁽¹⁰⁾ . . وله أصدقاء في كل هذه المدن يحبونه ويحترمون أفكاره وإن اختلفوا معه في الرأي . .

في هذا العام حدث له حادث حركة وهو يقود عربته اللاندروفر ومعه بعض الأقارب وقد كان عائداً من كوستي إلى مدني فأنجرف به اللاندروفر إلى جانب أحد الترع الزراعية في الطريق، وأوقف حجر كبير العربة من السقوط في التربة، وكانت تلك عناية إلهية كبيرة ولم يصب أحد بأذى، ولكن هذا الحادث سبب لنا

(10) أنظر قائمة المدن التي زارها محاضراً وناشراً لدعوته .

جميعاً أماً وإنزعاجاً شديدين ، فهو دائماً يقود هذه العربة منفرداً ليلاً ونهاراً والأخطار متوقعة ، حكى بعض الذين كانوا يرافقونه في تلك السفرية ، أن البوليس حاول أن يجري له اختباراً للسُكر ، لما عهدته البوليس في مثل هذه الحوادث ، ولكن الأستاذ رmqه بنظرة إستنكار جعلته يعدل عن ذلك الإجراء . .

1964 (الرحيل إلى مدينة الثورة بأمر درمان) :-

في هذا العام إكتمل تشييد منزله في مدينة الثورة بأمر درمان المنزل رقم 242 الحارة الأولى ، الذي تبلغ مساحته 300 متر مربع فقط ، تحصل عليه عن طريق خطة إسكانية عامة كانت قد طرحتها حكومة الفريق إبراهيم عبود ، ضمن برامجها لحل مشكلة الإسكان . . . (انظر الصور) إستغرق تشييد ذلك المنزل المتواضع مدة خمسة أعوام وذلك لعدم توفر المال اللازم في وقت واحد ، ولقلة تواجد الأستاذ المنتظم في الخرطوم لإشتغاله في المشاريع الزراعية بكوستي ، وإنشغاله بأمر الدعوة من نشاط صحفي وإلقاء المحاضرات والتأليف ، إلى جانب مشغوليته الأخرى الكثيرة . كان كلما يتقدم البناء و يأتي الخريف ويتلف بعضه ، ويعاد تكسير ذلك الجزء التالف ثم يواصل بناء ذلك المنزل ويقف لقلة المال من جديد ، وهكذا . .

المنزل مبني من الطين علي الطريقة السودانية البسيطة ومجهز بطريقة هندسية جيدة ، يتكون من ثلاثة غرف وصالون وحمامين ومطبخ وعدد من الصالات المشيدة بالحديد والخشب ، وله بابين خارجين ، وعدد من الأشجار أمام المنزل لتقي المنزل من الحرارة والرياح . . خصص الأستاذ الصالون للضيوف وكانت تقام فيه الجلسات الفكرية والندوات والإنشاد الديني ، وخصص أحد الغرف له ، وغرفة لي وكان يسميها (غرفة بتول) ، كنت أضع فيها كتبي وملابسي ثم أقضي جُل

وقتي معه ، كان الأستعمال الأكثر للصالات وفناء المنزل وذلك لحرارة الطقس .
حتى ذلك الوقت كان الأستاذ محمود مازال يمارس عمله في هندسة المشاريع
الزراعية بين كوستي والرنك والجبلين ، ويكتب ويؤلف ويقوم برعاية الأسرة
الكبيرة والأقارب .

الفصل الثالث

1964م ثورة أكتوبر

ودور الأستاذ محمود في تلك الثورة

في هذا العام تجمعت سحب الغضب الشعبي ضد الحكم العسكري الدكتاتوري الذي خيم على البلاد لمدة ست سنوات (1958-1964)، فاندلعت ثورة أكتوبر الشعبية التي أطاحت بالحكم العسكري، وقد كانت ثورة بيضاء من غير سلاح، ولم تُرق فيها الدماء، وقد أعطى الأستاذ تلك الثورة التقييم الذي تستحقه فقد قال: (أن ثورة أكتوبر ثورة فريدة في التاريخ وهي لم تجد تقويمها الصحيح إلى الآن لأنها لاتزال قريبة عهد، ولم تدخل التاريخ بالقدر الكافي الذي يجعل تقويمها تقويمًا علميًا ممكنًا. . ولقد يكفي أن يقال الآن أنها ثورة فريدة في التاريخ المعاصر تمكن بها شعب أعزل من أسقاط نظام عسكري إستأثر بالسلطة مدي ست سنوات. . ثم كانت ثورة بيضاء، لم ترق فيها الدماء وكانت إلى ذلك ثورة بغير قائد ولاخطط وبغير خطباء، ولا محمسين للجماهير وتم فيها إجماع الشعب السوداني، رجالاً ونساء وأطفال بشكل منقطع النظير، ولكأنها ثورة كل فرد من أفراد الشعب تهمه بصورة مباشرة وشخصية. . ولقد كانت قوة هذه الثورة في قوة الإجماع الذي قبضه الله لها.

ومهما يكن من الأمر، فإن شعب السودان، في ثورة أكتوبر قد كان قوياً بوحدته العاطفية الرائعة، قوة أغنته هو عن إستعمال العنف، وشلت يد خصومه عن إستخدام العنف، وتم بذلك إلغاء العنف من معادلة التغيير الماركسي. . إذ قد تم التغيير بالقوة من غير عنف وهذا في حد ذاته عمل عظيم وجليل. .

وثورة أكتوبر ثورة لم تكتمل بعد ، وإنما هي تقع في مرحلتين نفذت منها المرحلة الأولى ولا تزال المرحلة الثانية تنتظر ميقاتها . . المرحلة الأولى من ثورة أكتوبر كانت مرحلة العاطفة المتسامية التي جمعت الشعب على إرادة التغيير ، وكرهية الفساد ، ولكنها لم تكن تملك من إرادة التغيير فكرة التغيير حتى تستطيع أن تبني الصلاح بعد إزالة الفساد ، من ذلك إنفرط عقد الوحدة بعيد إزالة الفساد وأمكن للأحزاب السلفية أن تفرق الشعب وأن تضلل سعية حتى وأدت أهداف ثورة أكتوبر تحت ركام من الرماد مع مضي الزمن) .

(والمرحلة الثانية من ثورة أكتوبر هي مرحلة الفكر المستحصد العاصف الذي يتسامى بإرادة التغيير إلى المستوى الذي يملك معه المعرفة بطريقة التغيير . . وهذه تعني هدم الفساد القائم ثم بناء الصلاح مكان الفساد وهي ما نسميه بالثورة الفكرية . . فإن ثورة أكتوبر لم تمت ولا تزال نارها تضرم ، ولكن غطى عليها رُكام من الرماد ، فنحن إنما نريد أن تتولى رياح الفكر العاصف بعثرة هذا الرماد حتى يتسعر ضرام أكتوبر من جديد ، فتحرق نارها الفساد ، ويهدي نورها خطوات الصلاح ، وليس عندنا من سبيل إلى هذه الثورة الفكرية العاصفة ، غير بعث الكلمة (لا إله إلا الله) جديدة دافئة ، خلاقة ، في صدور النساء والرجال ، كما كان العهد بها في القرن السابع الميلادي) . .

بعد هذا التقييم لثورة أكتوبر أصدر الأستاذ العديد من المنشورات التي تشرح المعاني الأساسية لمبادئ العمل السياسي الفعال من تلك المنشورات (الديمقراطية ماهي؟ . .) (الإشراكية . . ماهي؟) (ماذا نريد؟ . .) (حل مشكلة الجنوب في حل مشكلة الشمال . .) .

وكما قال فإن ثورة أكتوبر قد حققت إجماعاً عاطفياً كبيراً في أوساط المواطنين على مختلف طبقاتهم في مدن السودان المختلفة . حيث خرج الناس على قلب رجل واحد ، وأسقطوا النظام العسكري بقوة الإجماع ولكن سرعان ما إنفض ذلك الإجماع وما زال السودان ينتظر الثورة الفكرية التي تملك المقدرة علي التغيير بتقديم النظام الصالح للحكم . .

وقد شارك الأستاذ محمود مشاركة فاعلة في ميلاد ودعم ثورة أكتوبر ، حتى تصل إلى غاياتها فقد شارك في موكب شعبي كبير نظمته جميع الأحزاب وقطاعات الشعب والمهنيين من قضاة ومحامين وأطباء ، ذهبوا لتقديم عريضة للفريق إبراهيم عبود ، وعندما وصل الموكب منطقة سوق الخرطوم ، تصدى البوليس للموكب بالهراوات والغاز المسيل للدموع ، بنية فضه ، وعندها تفرق الناس في كل الاتجاهات وتشتت جموعهم . . لم يغادر الأستاذ منطقة الموكب ، ومنذ ذلك اليوم قرر ألا يشارك هو ولا الجمهوريون في مسيرة أو موكب تنظمه جماعات أخرى قائلاً: (أننا إذا خرجنا لأي غرض لا نولي هارين ولا نرجع إلا إذا حققنا الهدف الذي خرجنا من أجله) . وقد ظل هذا ديدنه ، فلم يشارك منذ ذلك اليوم في أي موكب جماهيري نظمته الأحزاب أو أي جهة أخرى . وكان كل ما ذكر هذا الموقف يربطه بقصة حكاها الكاتب الإنجليزي بيرنارد شو عن نفسه حيث قال : (أنه إشتراك في مظاهرة في لندن قوامها 2000 شخص وهجم عليها البوليس ، وفر جميع المتظاهرين ، وظل بيرنارد شو وحيداً يمشي في صالات المحلات التجارية ، وقال أنه سوف لا يشارك مع أي مجموعة ليس لها هدف ، إذ إن البوليس كان له هدف ، لذلك استطاع أن يفرق مظاهرة بهذا العدد الكبير) ، ففي إعتقال الأستاذ الأخير

في (يناير 1985) بعد صدور الحكم عليه ، وقبل التنفيذ بأقل من أسبوع وعندما قررت الهيئات النقابية في السودان تسيير المواكب ضد الحكم عليه ، أوصاني في إحدى زياراتي له في السجن أن لا يخرج الإخوان الجمهوريون في المواكب التي ينظمها الآخرون ، لأنهم إذا خرجوا معهم في المواكب العامة ، فسوف لا يلتزم هؤلاء بالأدب الجمهوري في المواكب ، وسوف يفرون عندما يعترضهم البوليس ، وهذا مالا نفعله نحن الجمهوريين ، وكانت وصيته في الفترة الأخيرة أن يخرج الجمهوريون في مواكبهم الخاصة ، وأن يجلسوا على الأرض إذا هاجم البوليس مواكبهم . . ولكن لم يحدث شيئاً من ذلك فقد بدأت الصورة تتغير .

1965 (بداية مرحلة جديدة من التأليف):..

في هذا العام تم الإستقرار في منزله ، بمدينة الثورة بأمدردمان مع كل الأسرة وفي العطلة الصيفية بدأ في تأليف كتاب (رسالة الصلاة) تمت كتابة ذلك الكتاب في غرفته الخاصة ، وهي غرفة مجاورة للصالون ، إجتهدت كثيراً في السنوات الأخيرة ، أن أجعلها نظيفة ومنظمة حتى توفر له الراحة . كان يُملئ عليّ ذلك الكتاب ، قال لي أنه يفضل التحدث ففي التحدث تجيء الأفكار متسلسلة ، ولا يريد أن ينشغل عنها بالكتابة ، ولذلك إقترح عليّ أن أجلس ليملي عليّ ما يريد كتابته ، وأعد لي مكاناً للكتابة علي مقعد كبير ، ومنضدة مستديرة الشكل إلى جوار سريره⁽¹⁾ وبدأت الكتابة ، هو يملئ علي وأنا أكتب ، وكان يسألني بعد كل فترة قصيرة عما كتبته ، فاقراً عليه ، وأحياناً يأخذ الورق ينظر فيه ثم يعيده بعد مراجعته . . قد نبدأ عنواناً جديداً أو نواصل فيما كتبته . . كانت طريقته إما أن يُملئ وهو جالس علي سريره أو يُملئ وهو يتمشى في الغرفة ذهاباً وإياباً ، كان

(1) أنظر صورة المنزل .

يتشدد في صحة كتابة الآيات القرآنية فكلما يورد آية وهو متأكد من حفظها لا يكتبها إلا بعد مراجعتها من المصحف ، ويأمرني بنقل الآية من المصحف كما هي ، وكان ينصحني أن أدقق في الآيات ، وأن لا أكتب النص إلا إذا تأكدت من صحته ، وقد كنت أحس بتوقيره وإحترامه الشديد للمصحف ، ترك ذلك تعلقاً في نفسي بالمصحف . . كان أيضاً عند مراجعته للكتابة يتضايق من أخطائي الإملائية ويقول لي : (إذا ترددت في تهجئة أي كلمة أسأليني عنها قبل كتابتها . .) .

كنا نكتب منذ الصباح وحتى الساعة مساءً لانتوقف إلا للصلاة وأوقات راحته التي كانت دائماً بين الحادية عشرة والواحدة ظهراً كما كنا نتوقف عند حضور الضيوف ، أما إذا كان الضيف من الجمهوريين كان يعطيه بعض الوقت ثم يواصل الكتابة وقد يشارك معنا للإستماع للإملاء اما إذا كان الضيف غريباً فتتوقف الكتابة تماماً ، ويلتفت الأستاذ إلى ضيفه ، وربما إنصرفت أنا إلى بعض الراحة او قضاء بعض الحاجيات وكنت افرح كثيراً بهذه اللحظات إذ أن عبء الكتابة المتواصلة كان مجهداً .

إكتمل كتاب رسالة الصلاة وصدرت طبعته الأولى في الأول من يناير 1966م ، وقد أحدث إزعاجاً كبيراً للجهات السلفية والمتعصين الدينيين ، مما أقلق هذه الجهات ، إن الكتاب قد تناول موضوع الصلاة بطريقة جديدة ومختلفة عما ألفه الناس من قبل ، فقد جعل الصلاة جلسة نفسية ووسيلة يصل بها الإنسان إلى معرفة الحقيقة الكامنة في داخله ، وقد أوضح ان الصلاة وسيلة وليست غاية (والوسيلة دائماً من جنس الغاية . . فهي طرف منها ، والإختلاف بين

الوسائل وغاياتها إختلاف مقدار ، وليس إختلاف نوع ، ولا يمكن لدى النظر السليم التوصل إلى الغايات الصحائح بالوسائل المراض . .) الصلاة هي وسيلة إلى المقام الذي يكون فيه الفرد في صلة تامة وجمعية شاملة بربه ، راجع " كتاب رسالة الصلاة " وتبعه بفترة كتاب تعلموا كيف تصلون وكُتِيب صغير تحت عنوان " (صلوا !! فإنكم اليوم لاتصلون . . هذا الحديث يساق إلى كل المسلمين ، ، ويساق بصورة خاصة إلى الذين يعمرّون المساجد ويستشعرون الرضا عن أنفسهم . . . صلوا !! فإنكم الآن لاتصلون . . ولا تغرنكم هذه الحركات التي تؤدونها فإنها لاروح فيها . . إنها جثة بلاروح بدليل أن أخلاقكم ليس أخلاق المسلمين ولم يقل النبي الكريم الدين العبادة وإنما قال الدين المعاملة) ، وقد كان مثيراً للإهتمام ، كما أنه في نفس الوقت أثار حفيظة أديعاء الدين الذين إستعاضوا عن محتوى الصلاة بالتسييحات والهمهمات . . وعلى النقيض في الجانب الأخر حجب الصلاة لنفوس الكثيرين من المثقفين والأذكفاء ، ومنهم من بدأ يصلي بعد الإطلاع على ذلك الكتاب . .

1965(فتنة معهد المعلمين العالي، وحل الحزب الشيوعي):-

في هذا العام نشبت فتنة دينية في البلاد أثر حديث لطالب بمعهد المعلمين العالي ، بعد ندوة شاركت فيها إحدى زعيمات الأخوان المسلمين وكان مفاد تعليق الطالب هو إستنكار لعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قُيم حديث ذلك الطالب بأنه إساءة للنبي الكريم ، وأنه خروج علي الاسلام ، ولما كان الطالب شيوعياً فقد نسب هذا الموقف لإنتمائه اليساري ، وقد إستغل الأخوان المسلمون ذلك الحدث وصعدوه إلى المدى الذي وصلوا به إلى الجمعية التأسيسية ،

وحلوا به الحزب الشيوعي ، وطرردوا بسببه أحد عشر نائباً من الجمعية التأسيسية ، هم نواب الحزب الشيوعي المنتخبون ، وقد كانوا من خيرة أبناء الشعب السوداني ، ولعل وجودهم في الجمعية كان يمثل إزعاجاً دائماً لرجال الأحزاب الطائفية الذين يقلون عنهم ذكاء وإخلاصاً لخدمة الشعب .

فقد نشط الأخوان المسلمون والطائفيون في تلك الفترة لتصعيد ذلك الموقف ضد الحزب الشيوعي لحله ، والخلاص من منافسة أعضائه ، وقد واجهت البلاد فتنة دينية وفوضى إذ نشطت الندوات التي كانت تنتهى بالعنف والشغب ، وعندها تحرك الأستاذ محمود في مقابلة قادة الحزب الشيوعي والجهات الأخرى ، لدرء الفتنة وحقن الدماء ، وقد كان موقفه محترماً ومقبولاً عند كل الأطراف . . وإثر ذلك النشاط تكون مؤتمر للدفاع عن الديمقراطية ، شارك فيه الأستاذ محمود وتحدث في الندوات العامة التي أقيمت في الجامعة و في دور الأحزاب والأندية العامة . . وأكد موقفه في الدفاع عن الديمقراطية ، وأدان حل الحزب الشيوعي كما أكد أن حل الحزب خرق معيب للدستور . . وقد وجه نقداً شديداً للدكتور حسن عبد الله الترابي ، حين صرح الترابي أن تعديل الدستور لحل ذلك الحزب عمل جائز ، وأن مادة الحريات في الدستور من أكثر المواد قابلية للتعديل ، وقد نقد الأستاذ محمود هذا الفهم نقداً شديداً وأكد أن مادة الحريات (المادة 5 / 2) في دستور السودان تمثل عظم الظهر للدستور ، ولا يمكن تعديلها إذ أن تعديلها يعني إلغاء الدستور ، وبالتالي إلغاء الحرية ، وقد ضمن الأستاذ هذه الآراء في كتاب تحت عنوان : (زعيم جبهة الميثاق الإسلامي⁽²⁾) في 1- ميزان الإسلام 2- والثقافة

(2) زعيم جبهة الميثاق الإسلامي هو الدكتور حسن الترابي

الغربية)، وقد وجد هذا الكتاب وقتها رواجاً كبيراً، ووقف الأستاذ محمود مدافعاً قوياً عن مبدأ الحريات وقال معلقاً عن مشكلة طالب معهد المعلمين العالي أنها مشكلة لا تحتاج أن تصل إلى ذلك المدى، "فهو طالب وقد يحتاج للترشيد والتوجيه السليم ولا يرقى أمره لحل حزب وطرد نوابه من البرلمان"، كما أوضح أن الأمر قد استغل وألبس ثوب الدين للتخلص من الحزب الشيوعي كمنافس قوي للجهات الدينية، كما أكد أن الأفكار مهما كانت لانتحارب بالقمع والأساليب الدكتاتورية وأن الرأي لا يهزم إلا بالرأي، وأن الفكرة الماركسية لا يهزمها ويوضح باطلها إلا الفكر الإسلامي الواعي وأن أسلوب القمع الذي أتبعته الأحزاب الطائفية قد يطيل من عمر الماركسية ويكسبها عطف المواطنين، كما قد يعطيها أيضاً فرصة العمل في الخفاء، وقد حدث فعلاً ما قاله الأستاذ، فقد ظهر الحزب الشيوعي بعد تلك الفترة في السودان ولفترة محددة أقوى مما كان عليه قبل تلك الأحداث..

وقد أكد الأستاذ محمود أن هذا الأسلوب الذي إتبعته الأحزاب الطائفية في حل الحزب الشيوعي سوف يسري على جميع الأحزاب المعارضة وقد تحققت نبؤته تلك بالنسبة للحزب الجمهوري فقد قدم الأستاذ لمحكمة تسمى محكمة الردة في نوفمبر عام 1968 بإدعاء أن أفكاره خروج على الإسلام راجع كتاب (بيننا وبين محكمة الردة).. وفي عام 1985 ذهب الأمر إلى أبعد من محاكمة الأفكار بل تأمرت عليه الجهات السلفية بالتضامن مع السلطات في حكومة جعفر نميري الدكتاتورية ولجأوا إلى تصفيته الجسدية للخلاص منه، بعد محاكمة جاهلة جائرة أعادت عهد الظلام ومحاكم التفتيش كما سنرى في الصفحات القادمة..

فترة الستينيات وزيارة الأستاذ محمود لأضرحة الأولياء بالسودان:-

كان الأستاذ محمود يعمل لنشر الفكرة الجمهورية بطرق واضحة تخاطب العقل مباشرة، وطرق أخرى يصحبها بعض الخفاء ففي الستينيات (1965) قام بجولة واسعة، بصحبة بعض الجمهوريين وبعض الأصدقاء، لزيارة أضرحة الأولياء والصالحين المقبورين في السودان والذين كان لهم دور واضح في توعية الناس ونشر الوعي الديني وخدمة البسطاء في كل بقاع السودان. . في نفس الوقت وفي أوقات متفرقة، قام بزيارات عديدة لرجالات الطرق الصوفية ومشايخ الطرق، شارحاً لهم وسيلة البعث الاسلامي الجديد، والذي يختلف تماماً عما ألفوه، كان يدعوهم إلى ترك ما هم عليه من طرق متفرقة وإتباع طريق النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يتوحدوا ويجتمعوا على قلب رجل واحد، ويتم الإصلاح على أصل الدين بإتباع النبي الكريم محمد، وكان يؤكد أن من إتبع النبي صلى الله عليه وسلم فقد أسلم نفسه لقيادة نفس هادية ومهتدية وقد دعا جميع الأمة المسلمة إلى هذا النهج في كتابه (محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد). . وقد ورد في مقدمة طريق محمد ما يلي: (أما بعد فإن الزمان قد إستدار كهيئته يوم بعث الله محمداً داعياً إليه ومرشداً ومسلماً في طريقه، وقد إنغلقت اليوم بتلك الإستدارة الزمانية جميع الطرق التي كانت فيما مضى واسله إلى الله، وموصلة إليه، إلا طريق محمد) إنتهى*⁽³⁾. . كما جاء أيضاً في ذلك الكتاب قوله: (إن محمداً هو الوسيلة إلى الله، وليس غيره وسيلة منذ اليوم، فمن كان يبتغي إلى الله الوسيلة التي توسله وتوصله إليه ولا تحجبه عنه، أو تنقطع به دونه، فليترك كل عبادة هو عليها

(3) راجع كتاب طريق محمد الطبعة الثامنة .

اليوم ، وليقلد محمداً في أسلوب عبادته ، وفيما يطبق من أسلوب عاداته ، تقليداً واعياً ، وليطمئن حين يفعل ذلك أنه قد أسلم نفسه لقيادة نفس هادية ومهتدية) ، كما جاء قوله : (أن على مشايخ الطرق منذ اليوم أن يخرجوا أنفسهم من بين الناس ومحمد ، وأن يكون عملهم إرشاد الناس إلى حياة محمد بالعمل وبالقول ، فإن حياة محمد هي مفتاح الدين . . هي مفتاح القرآن ، وهي مفتاح (لا إله إلا الله) التي هي غاية القرآن وهذا هو السر في القرن في الشهادة بين الله ومحمد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وحياة محمد مرصودة في كتب الأحاديث وخصوصاً صحيح البخاري) إنتهى*⁽⁴⁾ . . لم يرض هذا الكتاب الكثيرين من شيوخ الطرق ، إذ كانوا يرون لابد من وجود الطرق ، إما لسبب إستفادتهم من الأتباع ، أو لكسل البعض عن التقليد الجاد . .

أنشأ الأستاذ مبدأ ثابتاً لوفود الأخوان الجمهوريين التي كان يبعثها إلى مدن السودان المختلفة مبشرين بالدعوة الإسلامية الجديدة وهي ان يبدأوا اولاً بزيارة الرجل الصالح المقبور في المدينة كان يقول لهم أن مفتاح المدينة عند الرجل الصالح المقبور فيها ، ففي مدينة رفاعة كانوا يبدأون بزيارة الشيخ طه أحمد البدوي وفي مدينة كسلا يزورون السيد الحسن الأكبر . . كان يؤكد دائماً أن الصوفية هم السلف الصالح الذين تعلقوا بالإسلام وعاشوه ونشروه بالصدق وحسن الخلق وهم الذين كانوا على سنة النبي الكريم ، وفي هذا المضممار يتحدث كثيراً عن السيد الحسن الأكبر وعن الشيخ ادريس ود الأرباب ، كان يثني على تقواهم ويقول لو كانوا أحياء لأصبحوا جمهوريين ، ولذلك كانت وفود الجمهوريين إلى

(4) نفس المصدر .

مدينة كسلا تبدأ وتنتهى بزيارة السيد الحسن ، حيث يلتفون حول ضريحه ويرددون القصائد الدينية التي ألفها تلاميذه ، مثل قصيدة ابن المتعارض الشهيرة " شئ لله يا حسن " وقصائد أخرى .

كنت ألاحظ حبه وتقديره لقدامى الصوفية ، ففي حوالي 1969-1971 زرنا معه أنا وبعض الأخوات الجمهوريات مدينتي كسلا وسواكن ، وقد زرنا معه ضريح السيد الحسن وأضرحة السادة الميرغنية عديد المرات . . وفي السبعينات أخذني معه لزيارة ضريح الأمام محمد احمد المهدي ، وقف طويلاً وفي هدوء أمام الضريح وكأن هناك سرّاً بينه وبين صاحبه . . وقد علق بعد انصرافنا بقوله : (الكان ليس خالياً) وقد حدثنا ذات مرة في مجلس ضم بعض الأخوان والأخوات الجمهوريات أن المهدية دعوة غريبة وليست سهلة الفهم لكل الناس قال أن أحد مشايخ الطرق الصوفية في السودان قال : (ان المهدية تحتاج لفهم يغرق الدانة ويطفح المسحانة) يعني يحتاج لفهم يجعل الحجر يطفو فوق سطح الماء ويجعل الريشة تغطس . . وقال فمثلاً بالرغم من أن الخليفة عبد الله قد قتل الكثيرين إلا أن قبره في قدير مازال مزاراً وأن ترابة يتداوي به الناس من بعض الأمراض الجلدية ، كما قال : (على الرغم من أن الناس قد عانوا من المهدية إلا أنها دعوة قد سخر الله من قاموا بها لإظهار قدرة وحكمة بعينها يعلمها هو . .) . وصحبته في السبعينات أيضاً إلى زيارة ضريح السيد علي الميرغني وكان يحب السيد علي كثيراً وقد قال لي : (أنه في الستينيات وفي أثناء مقابلاته للشيوخ ورجال الدين في السودان قام بزيارة السيد علي الميرغني وشرح له طريقة التبشير بالإسلام من جديد علي نهج الفكر الجمهوري والدعوة إلى طريق محمد وقد كان السيد علي مرتاحاً لذلك النهج

وقد إستمع بسعة صدر وأمن علي الحديث . . وقد ذكر لي أن أحد الخلفاء كان حاضراً في المجلس وفي بداية المقابلة كان يبدو عليه الضيق والغضب مستنكراً كيف أن أحداً يجروء على أن يكلم السيد علي في أمر الدين ولكن عندما رأى إقبال السيد علي ، على الإستماع لحديث الأستاذ ، هداً غضبه وإستبشر بالحديث ، وكنت دائماً أطرب عندما أسمع منه سير الصالحين ، فقد كان يتحدث عنهم بطريقة تحب المستمع فيهم ، وكان عندما يذكرهم تبرز عيناه وأحس بتقديره الكبير لهم مما جعلني أحب جميع من يتحدث عنهم ، وقد ألفته دائماً يتحدث عن الناس بأجمل ما فيهم والحقيقة إنني لم أسمع قط يذكر أحداً بسوء . .

1966 (دار الحزب الجمهوري بأم درمان حي الموردة) :-

في عام 1966 إفتتح دار الحزب الجمهوري بالموردة ، أحد أحياء مدينة أم درمان العريقة في منزل مستأجر ، وقد ظلت تلك الدار منارة فكر وإشعاع نور في المدينة يتولى فيها الأستاذ محمود تقديم المحاضرات أسبوعياً بنفسه ، وتقام فيها يومياً إجتماعات الجمهوريين ، كما تستعيرها بعض الجماعات الثقافية والطلابية الأخرى ، لإقامة نشاطاتها . من أكبر النشاطات التي أقيمت في تلك الدار بأم درمان بعد فترة من افتتاحها هو مهرجان (الرسالة الثانية من الإسلام) دارت المحاضرات حول كتاب الرسالة الثانية من الإسلام وكان الأستاذ يقول أنه الكتاب الأم للفكرة الجمهورية . سبق هذا المهرجان إعلان كبير له في جميع أنحاء العاصمة كما خصصت دعوات مكتوبة للمثقفين ، ولأساتذة الجامعة الإسلامية ، (وكان معظم أساتذة تلك الجامعة في ذلك الوقت من مصر وبالتحديد من خريجي الأزهر) وقد وجهت الدعوة لرجال الدين كافة ، ولكل من يدعي العمل بالدين كما

شملت الدعوة المشايخ ، ورجال الشئون الدينية . . إستمر المهرجان أسبوعاً كاملاً ، شرح فيه الأستاذ شرحاً وافياً معنى الرسالة الثانية من الإسلام ومعنى الأصول والفروع ومعنى الشريعة والسنة وهي المرتكزات الأساسية لدعوته كما بين الضرورة الملحة لتطوير التشريع الإسلامى ليواكب العصر ويحل مشكلة الإنسان المعاصر وقد ركز على أمور محددة مفصلة في أبواب وهي :-

(1) الجهاد ليس أصلاً في الإسلام:-

(الأصل في الإسلام ان كل انسان حر ، إلى ان يظهر ، عملياً ، عجزه عن إلتزام واجب الحرية) فالحرية حق يقابله واجب هو حسن التصرف فيها ، وكل من يسئ التصرف تصادر حريته بقانون دستوري ، وقد ورد شرح القانون الدستوري في مكان آخر من هذا الكتاب . . وتبعاً لهذا بدأت الدعوة بالإسماح في مكة لمدة ثلاثة عشر عاماً ﴿ آدُعْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالْقَوْلِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ ﴾ (سورة النحل) وتخرج على هذا المستوى الكثير من الدعاة ولكن ظل الأعراب على عبادة الحجر وواد البنات وأذى المسلمين ، ولذلك نسخت آيات الإسماع وأذن للمسلمين بالقتال وهو الجهاد في سبيل الله ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَلَئِنْ أَلَّفَ نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (سورة الحج) وعندما يرتفع الناس إلى مستوى الحرية تعاد آيات الإسماع مرة أخرى .

(2) الرق ليس أصلاً في الإسلام:-

(فالأصل في الإسلام الحرية ، ولكنه نزل على مجتمع الرق فيه جزء من النظام الإجتماعي والإقتصادي) فمجتمع مثل هذا المجتمع لا يحسن التصرف في الحرية

ولذلك جعل له ان يعيش تحت وصاية غيره حتى يتمكن من حسن إستعمال الحرية .

(3) الرأسمالية ليست أصلاً في الإسلام:

(فالأصل في الإسلام ان المال مال الله والناس فيه شركاء على الشيوع ، ولكن الإسلام نزل على قوم يعتقدون ان المال مالهم ولا يعطونه لغيرهم ، ولذلك فرضت عليهم الزكاة ﴿ حُذِّينَ أَمْوَالَهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة التوبة) وقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم ، وحده مستوى شيوع المال ، ﴿ ... وَبَسَّطْنَاكَ مَاذَا يُغْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوَ ... ﴾ (سورة البقرة) .

(4) عدم المساواة بين الرجال والنساء ليست أصلاً في الإسلام:

(والأصل المساواة بين للرجال والنساء أمام القانون ﴿ ... لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ ﴾ (سورة النساء) وقد قال النبي الكريم (النساء شقائق الرجال) .

(5) المجتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلاً في الإسلام:

فالأصل في الإسلام المجتمع المختلط بين الرجال والنساء ، وهو مجتمع مبرأ من عيوب السلوك التي تعاني منها المجتمعات الآن ، واما عدم الاختلاط الذي شرع في الشريعة هو تدرج بالمجتمع إلى ان يبلغ مستوى العفة .

(6) تعدد الزوجات ليست أصلاً في الإسلام:

والأصل في الإسلام الزوجة الواحدة للرجل الواحد لأن الأصل العدل في ميل القلب ، الآية الكريمة ﴿ ... فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنِ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْلُوا

فَوَجِدَ... ﴿٢٠﴾ (سورة النساء) وفي موضع اخر جاءت إشارة تؤكد صعوبة العدل في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ...﴾ ﴿٢١﴾ (سورة النساء).

7) الطلاق ليس أصلاً في الإسلام:

فالأصل ديمومة الحياة الزوجية لأن زوجتك هي إنساق نفسك عنك خارجك هي صنو نفسك الآية: ﴿سُرِّيْهِمْ مَا بَيْنَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ...﴾ ﴿٣٣﴾ (سورة فصلت) وحتى يصل الناس بالرقى الفكري والروحي لهذه المرحلة فقد جاء تشريع الطلاق كتشريع ضرورة مرحلي.

8) الحجاب ليس أصلاً في الإسلام:

والأصل في الإسلام السفور (لان مراد الإسلام العفة . . وهو يريد لها عفة تقوم في صدور النساء والرجال ، لاعفة مضروبة بالباب المقفول والثوب المسدول) والسفور غير التبرج والتبرج لا مكان له في الإسلام والعفة المطلوبة هذه لا تقوم إلا بتجربة الحجاب فقد قال تعالى: ﴿يَبْنَىءُ آدَمَ قَدْ أَرْكَلْنَا عَلَيْكَ لَسَانَ يَوْمَ سَوَاءَكُمْ وَرِيثًا وَلِيَاكُمُ الْقَوِيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ...﴾ ﴿٣٦﴾ (سورة الأعراف).

كانت هذه بعض رؤس المواضيع التي نوقشت في مؤتمر الرسالة الثانية .

لم يحضر هذا المهرجان من رجال الدين إلا القليل (المبعوثين من الأزهر إلى معهد أمدرمان العلمي الذي سمي مؤخراً بالجامعة الإسلامية) ، وكانوا دائماً ينسحبون في جماعات أثناء الحديث . . ومنظرهم أثناء خروجهم بقفاطينهم السوداء وأحزمة البطن وعمامة الرأس المعروفة كان واضحاً وملفتاً للإنتباه . وحتى الذين حضروا من رجال الدين هؤلاء لم يشارك منهم في النقاش سوى

شخص او شخصان وهؤلاء ممن ليس لهم سابق تجربة مع النقاش في محاضرات الأستاذ . . كانت ردود الأستاذ القوية الواضحة التي تظهر جهلهم ، تخرجهم أمام الجمهور ، ولذلك كانوا يتفادون نقاشه ويتركز جل النقاش مع المثقفين والطبقات المستنيرة من الحضور . وكان دائماً حضور الجمهور في تلك المحاضرات من عامة الشعب كبيراً مما أقلق أذعياء الدين وجعلهم يتجهون للحكام لإستعمال السلطة والقوة لإسكات صوت الأستاذ كما سنرى في الصفحات التالية من هذا الكتاب . في تلك السنوات تم إفتتاح دار الحزب الجمهوري بمدينة ودمدني 1967 ، في يناير من هذا العام صدرت الطبعة الأولى من كتابه (الرسالة الثانية من الإسلام) وكما ورد سابقاً في الحديث عن مهرجان الرسالة الثانية من الإسلام ، قد تناول هذا الكتاب كل القضايا الأساسية التي تتعلق بالفكرة الجمهورية والطريقة المثلى لعودة الإسلام من جديد . . في هذا العام جرى من الأحداث في العالم ، ما أبرز دور الأستاذ محمود في السياسة العربية والعالمية .

1967 دور الأستاذ محمود في السياسة العربية والعالمية :-

في بداية هذا العام وهو مازال يمارس العمل الهندسي (مهندس ري حر) في منطقة كوستي والجبلين ، وهو نفس العام الذى ترك فيه العمل الهندسي في كوستي ، وتفرغ لأمر الدعوة ، في هذا العام جد من الأحداث ما جعل دوره أكثر بروزاً في الساحة العربية ، فقد قامت الحرب بين العرب وإسرائيل تحت قيادة الرئيس المصري جمال عبد الناصر . . وقد كان الأستاذ ضد تلك الحرب منذ الوهلة الأولى وأصدر كتيباً ينذر فيه من مغبة تلك الحرب تحت عنوان (التحدي الذي يواجه العرب) ، صدر هذا الكتاب في عام 1967 كإستدراك ومعالجة سريعة

للحرب التي كان يدور رحاها بين العرب وإسرائيل ، وكان كمقدمة لكتاب موسع لقضية فلسطين أسمه (مشكلة الشرق الأوسط ، تحليل سياسي ، إستقراء تاريخي ، وحل علمي) . وقد أكد في هذا الكتاب (التحدي) على الخطر الشيوعي الذي أخذ يسيطر نفوذه ووصايته على البلاد العربية ، موهماً إياها بحمايتها قولاً وليس فعلاً ، فقد دخل العرب في ثلاثة حروب مع الغرب وإنهزموا فيها عسكرياً ودبلوماسياً ، وكلها كانت تحت تضليل الروس ، الحرب الأولى 1948 ، والثانية بعد تأميم قناة السويس ، والصورة التي تم بها التأميم وما تبعها من العدوان الثلاثي على مصر في يوليو 1956 ، ونتيجة لعجز الدول العربية عن مواجهة الدول الغربية جنحت نحو روسيا لحمايتها ، ومنذ ذلك الحين دخل العرب منطقة الحرب الباردة والصراع مع الغرب ، وفي 1967 إندلعت الحرب مع إسرائيل وإنهزم العرب للمرة الثالثة ، ولم تعطي روسيا العرب من السلاح ولا الدعم ، ما أعطته الدول الغربية لصديقتها إسرائيل ، ومع ذلك تورط العرب أكثر في صداقة الروس ، والروس لا يريدون ان يدخلوا انفسهم في مواجهة عسكرية مع امريكا ، ولا حرب ذرية لا يملكونها ، ولكنهم إستمروا في خداع العرب وفي نشر نفوذهم العقائدي في بلادهم ، وهذا الإتجاه نحو الشيوعية ابعدهم عن الله ، وحولهم إلى دول قاصرة يمثلها الروس ويتحدثون بإسمها في المحافل الدولية ، وقد قدم الأستاذ في كتاب التحدي ، حلولاً عاجلة وآجلة ، الحل العاجل وقف الحرب والتفاوض مع إسرائيل ، والآجل هو الرجوع إلى الدين لبناء فريدياتهم ودولهم ، والتخلص من التبعية العمياء للشيوعية ، وبذلك يخرجون من منطقة الصراع ، وقد فصل الأستاذ ذلك ، تفصيلاً شاملاً في كتابه (مشكلة الشرق الأوسط) .

وقبل صدور هذين الكتابين وهو في طريقه من كوستي إلى الخرطوم أخذ يحاضر عن مشكلة الشرق الأوسط مبيناً ضرورة الحل السلمي للمشكلة وإنهاء الحرب . . وكان في تلك المحاضرات يهاجم الزعماء العرب والسياسة العربية بزعامة الرئيس عبد الناصر ويبين كيف أن هؤلاء الزعماء يضللون الشعوب العربية ويخفون عنها الحقائق يحدثونهم عن التقدم والانتصار في الحرب ، وهم مهزومون ، وأتهمهم بعدم الصدق مع شعوبهم كما هاجم الإزدواجية في التحدث للغرب بلسان وللشعوب العربية بلسان آخر . . كان يؤكد في كل المحاضرات أن لإسرائيل حق في الأرض كما للعرب ، وذهب للجدور التاريخية لوجود إسرائيل في المنطقة . . وقد قال لي ذات مرة أن تلك المحاضرات كانت تتم وسط جو من الهرج والصخب والمعارضة الشديدة من الحضور (حتى يكادوا لا يسمعون ما أقول) ، وفي ذلك الوقت كان الحماس شديداً للحرب وعواطف الشعوب العربية كلها متجهة نحوها ، وكان تضليل الزعماء العرب بالتقدم الكبير نحو النصر شديداً في أوساط الناس وخاصة السودانيين الذين كانوا يعتقدون أن الحديث عن الحل السلمي والمفاوضات عماله وخيانة للقضية العربية ، وأتهموا الأستاذ بالعمالة لإسرائيل (وكادت بعض المحاضرات أن تنتهي بالعنف) ، ولكن الأستاذ لم يكن يبالي بتلك العاصفة كان يؤكد لهم دائماً أنه سيجي يوماً يطلب فيه العرب الحل السلمي بعد أن يكونوا قد خسروا كل شيء ، الأرض والحرب والسلام ، وهذا ما حدث فعلاً راجع كتابي (مشكلة الشرق الأوسط ، والتحدي الذي يواجه العرب) . بعد أن صدر كتاب (مشكلة الشرق الأوسط) ، وزع توزيعاً كبيراً ، وقد ركز الكتاب على أمرين أساسيين هما (1) الحل العاجل (2) والحل الأجل لمشكلة الشرق الأوسط الحل العاجل هو إنهاء حالة الحرب فوراً والدخول في

مفاوضات مع إسرائيل ، وسيكون هدف التفاوض هو انسحاب اليهود من الأراضي التي إحتلوها في حرب 15 مايو 1948 ، وحرب 29 أكتوبر 1956 ، وحرب 5 يونيو 1967 ، ثم يعاد توطين اللاجئين العرب في أراضيهم وإعادة الأرض التي سلبت في عامي 1948 و 1967 وتعويضهم عن جميع ممتلكاتهم التي فقدوها وتوطينهم في الأراضي التي حددها لهم تقسيم عام 1947 وتنفيذ مبدأ التقسيم بضمان كل الدول الكبرى ويتبع ذلك وقف الهجرة اليهودية إلى إسرائيل وتعط إسرائيل ، حق المرور البري في الممرات المائية خليج العقبة وقناة السويس ثم يأتي بعد هذه المرحلة الحل العاجل والحل الآجل هو أن يبني العرب دواخلهم على الأسلام وأن يمتلكوا لباب العلم والحضارة الغربية إذ أنهم اليوم يعيشون على قشور من كليهما .

ما زالت المعارضة والإتهامات بالتواطؤ مع إسرائيل والعمالة ، مستمرة ضد الأستاذ إلى أن ظهرت الهزيمة بعد أعوام ، وفقد العرب حتى الذي كان تحت سيطرتهم قبل فترة ، وعادوا يبحثون عن الصلح والتفاوض مع إسرائيل ويوقعون المعاهدات والصلح ، كل دولة على حده ، وذلك بعد أن بدأ الوعي بالحقيقة يتبلور ولكن هيهات بعد فوات الأوان . . ومن الغريب أن كتاب الشرق الأوسط شمل نعيًا للرئيس جمال عبد الناصر ، قبل وفاته بسنوات لأن جمال عبد الناصر قد آن له أن يذهب . . وهو ذاهب ، ما في ذلك ريب إلى أن قال : (جمال ذاهب لأن حكم الوقت الحاضر يتطلب ذلك) ثم ختم قوله : (فليذهب وليبارك الله له وللعرب في ذهابه وفي عواقب ذهابه . . فقد كان حسن النية ولكن حسن النية وحده لا يكف لإسعاد الشعوب ، ولا بد من سعة الثقافة ودقة الفكر وقوة الخلق) (راجع كتاب

مشكلة الشرق الأوسط ص 76 - 77) وقبل هذا التاريخ وبعده لعب الأستاذ محمود دوراً كبيراً بالرأي الصائب في القضايا العالمية فقد ناقش في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 27 يناير 1951 ، السيد أحمد لطفي السيد في مقال عن آرائه : (في التربية بين السياسة والعلم) ، وفي ذلك المقال لفت إنتباه السودانيين إلى عدم التبعية للغرب وإعترض على عبارة أحمد لطفي السيد التي تقول " فالنصيحة العملية أنكم في السودان تسلكون السبيل المطروق ، " فهي تعني السير نحو الغرب ، وتعني عدم ثقة الساسة العرب في أنفسهم ، وقد نبه الأستاذ السودانيين إلى النهج الآصيل الذي يكمن في الإسلام ، وفي أصالة السودانيين وذلك بعبارة الشهيرة : (أنا زعيم بأن الإسلام هو قبلة العالم منذ اليوم . . وأن القرآن هو قانونه . . وأن السودان إذ يقدم ذلك القانون في صورته العلمية ، المحققة للتوفيق بين حاجة الجماعة إلى الأمن ، وحاجة الفرد إلى الحرية المطلقة ، هو مركز دائرة الوجود على هذا الكوكب . . ولا يهولن احداً هذا القول ، لكون السودان جاهلاً ، خاملاً ، صغيراً ، فإن عناية الله قد حفظت على أهله من آصايل الطبائع ما سيجعلهم نقطة إلتقاء أسباب الأرض بأسباب السماء) . . وفي يوم 2 / 3 / 1951 نشر له مقال في جريدة الرأي العام ناقش فيه خلاصة كتاب الأستاذ خالد محمد خالد (من هنا نبدأ) وانتقد رأى خالد محمد خالد في مسألة الدين والدولة ، فخالد يري في الحكومات الدينية تجربة فاشلة ، وقد رجع به الأستاذ إلى تاريخ الإسلام ، وفصل التجربة الدينية في عهد الخلفاء الأربعة إبتداء بأبي بكر ثم عمر وعثمان وعلي ، ثم أكد لخالد محمد خالد أن أي حكومة لاتقوم على أسس دستورية واضحة ثم تدعى الدين ، وتطمع في الدنيا ، وتستغل البسطاء تحت ستار الدين ، هي ليست حكومة دينية وهذه هي الحكومات التي ينتقدها صاحب من هنا نبدأ . .

خطاب الأستاذ محمود السيد / محمد نجيب رئيس الحكومة المصرية:-

وفي 18 / 8 / 1952 كتب خطاباً للرئيس المصري محمد نجيب مع فجر إندلاع الثورة المصرية يحدثه فيه عن التوفيق الذى تم بإزالة الملك والفساد في عهد الملك ولكن تلك ليست خاتمة المطاف فيجب على النظام الجديد تحقيق الإستقرار للشعب وإجتثاث الفساد الذي ليس سببه النظام الملكي فقط ، وإنما جذوره في الحياة المصرية ، وطلب منه البحث عن الطرق التى يعين بها الشعب المصري لينهل من معين الصافي الذي بعدوا عنه ، كما لفت نظره إلى ضرورة تربة علاقة مصر بالسودان من الطمع المستخفي والعطف المستعلن ، (فإنها قائمة ولا تزال تقوم على فهم سئ . . فإن أنت إستقبلتها بعقل القوي فتستطيع أن تبرئها مما تتسم به الآن من الطمع المستخفي ، والعطف المستعلن ، فإن السودانيين قوم يؤذيه أن يطمع طامع فيما يحمون ، كما يؤذيه أن يبالغ في العطف عليهم العاطفون . .) .

والآن وبعد مرور كل تلك السنوات ظهر الطمع المصري في السودان الذي حذر منه الأستاذ وهذه أيضاً نبؤة . . أيضاً كتب الأستاذ إلى الرئيس جمال عبد الناصر خطاباً يحذره فيه من التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، كما حذره من الدعوة للقومية العربية ، ثم أوضح له السبيل الصحيح إلى الحياء الإيجابي ، وحذره من السير نحو المعسكر الشرقي والماركسيه ، وقد أتضح أن هذا الخطاب وما قبله ، من مواقف الأستاذ قد أغضب الحكومة المصرية فقد ظهر أن الأستاذ محمود ممنوع من دخول مصر ، بعد أن منعت السلطات المصرية رجلاً من مدينة رفاعة يحمل أسم محمود من دخولها ، وقد بذل الرجل مجهوداً كبيراً ليثبت لهم أنه ليس محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري ، وقد تم نشر هذا الخبر في وقته في الصحف السودانية .

في عام 1953 كتب إلى الدكتور توريز بوديت ، مدير عام منظمة اليونسكو ، عبر جريدة صوت الشعب عن الوسيلة السلمية لإعداد إنسان حر يعيش في مجتمع عالمي ، تحدث في هذا المقال عن إمكانية قيام حكومة عالمية ، وعن تعديل قوانين منظمة الأمم المتحدة القائمة الآن لقوانين عالمية . ويبشر بقيام حكومة عالمية في المستقبل ، تكون لها مركزية ، وتصبح جميع دول العالم بمثابة ولايات تابعة لها ، تعيش تحت قانون عادل موحد يحقق لشعوب العالم السعادة والرخاء .

أيضاً في نفس العام 1953 كتب مقالاً في جريدة الشعب السودانية ، في الرد على المحامي العام في باكستان ، عن جائزة عرضها الأخير متحدياً من يجد له دستور في القرآن ، وقد أوضح له الأستاذ محمود الكيفية التي يمكن أن يستنبط بها دستوراً من القرآن . . . ونقد له جميع الآراء التي تتحدث عن الدستور الإسلامي الذي تتدعيه بعض الدول الآن ، كما انتقد الثورة الإسلامية في إيران وسفك الدماء الذي قام به الخميني ، وعدم وضوح الرؤية لقيام حكم إسلامي وقد أسماها (فتنة إيران) وأخرج كتاباً تحت عنوان (الخميني يؤخر عقارب الساعة) .

من المعروف أن للأستاذ رأي صريح وواضح في النظم العربية والساسة العرب ، وقد صرح بذلك الرأي في الكثير من المحاضرات ، وفي كتاب (مشكلة الشرق الأوسط) ، كما له موقف واضح ضد النظام الملكي في المملكة العربية السعودية ، ويرى أنها دولة تقوم أساساً على خرق للقواعد الإسلامية إذ جاء في كتاب الله قوله تعالى : ﴿ . . . إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا

أَذَلَّةٌ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ (سورة النمل)، كما إعترض على قانون العقوبات ،
بقطع يد السارق في السعودية ، إذ أن الإسلام ليس العقوبات والتعذيب ، وإنما هو
الرحمة وإصلاح حال الناس أولاً ، ومن نفس هذا المنطلق عارض قوانين سبتمبر
1983 التي سميت إسلامية في السودان . . كما هاجم الشيوعية الدولية في عديد
المنشورات ، منها (خذوا حذرکم الشيوعية الدولية هي الإستعمار الجديد) ، ثم
قيم الماركسية في كتابه (الماركسية في الميزان) .

أصدر كتاباً عن السادات مشيداً بمواقفه ضد الهوس الديني ' وموقفه من
دعوة السلام في الشرق الأوسط ، وقد أيد السادات في موقفه من كامب ديفيد ،
وشجع إتجاهه للإتجاه السلمي لحل مشكلة الشرق الأوسط . كما تحدث عن
التكامل بين مصر والسودان في كتيب ، قيم التكامل بين البلدين والأخطاء التي قد
تقع فيها ، إذا نفذ والسودان في وضع غير متكافئ مع مصر .

1967 التفرغ من العمل الهندسي في المشاريع الزراعية:-

في هذا العام قرر التخلي نهائياً عن العمل الهندسي في المشاريع الزراعية ،
في كوستي ، والإستقرار في الخرطوم والتفرغ للعمل في نشر الفكرة الجمهورية . .
في هذه الفترة تم طباعة عدد من الكتب الأساسية وبدأت كتبه تصل إلى القراء في
أقاليم ومدن السودان المختلفة ، وكان عائدها يكفي لحياة بسيطه للأسرة وإعادة
طباعة الكتب . . . في هذه الفترة بدأ يشركني بصورة مباشرة في إدارة المنزل
والنواحي المالية ، كان يطلب مني أن أسجل يومياً إحتياجات المنزل بعد التشاور

مع من تقوم بالعمل في ذلك اليوم*⁽⁵⁾ ، وكنت احصل من مسئول المال على المبلغ الذي قد عرضته عليه . . أحيانا يتعدى الصرف المبلغ المحدد وذلك لكثرة الضيوف الذين يأتون من غير سابق ميعاد ، ومع ذلك كان يشدد علي أن لا أسرف في الصرف على الطعام ويقول لي : (أن أموال الكتب هذه ليست ملكنا وحدنا ويجب أن نكون أقل الناس صرفاً منها) ولذلك كان صرفنا دائما يقف في الحد الأدنى ، حينما كان الصرف أكثر على المحتاجين والفقراء الذين يؤمون منزله كثيراً (انظر اوراق الصرف اليومي مع الملحقات) ، كان له أسلوب معين في تقديم المساعدة للمحتاجين ، لا يعطي من يسأله أمام الناس بل ينهض ليودعه خارج المنزل ، وفي الطريق يقدم له ظرفاً بداخله المبلغ الذي يريد أن يعطيه إياه . كان يقضي كل اليوم في منزله في مدينة الثورة يكتب للصحف ، ويؤلف الكتب ، ويتابع تقارير الوفود التي يرسلها حمل الكتب والدعوة لأقاليم السودان المختلفة . وقيم الجلسات السلوكية ، ويستقبل الجمهوريين والضيوف وطلاب المعرفة الذين يقضون معه الساعات ، يناقشونه ويسألونه عن مستقبل الدعوة ، ومستقبل الإسلام في العالم الجديد ، وبذا كان الأستاذ رمزاً للحرية وال فكر يطلبه طلاب المعرفة وينقاشونه ويستفيدون من النقاش معه ، إلى جانب هؤلاء كان يقصده من يطلبون الشهرة ، فكل من يريد أن يكتب في الصحف او يقابل في الأجهزة الإعلامية يدعي انه قابل الأستاذ وحاووه .

(5) العمل في المنزل كانت تقوم بتنفيذه كل يوم واحدة من أهل المنزل مؤحراً أصبحت تشارك فيه المقيمات في المنزل من الجمهوريات

إلى جانب هذا كانت له لحظات تأمل طويلة . . يقضي وقتاً طويلاً في الصلاة ليل نهار وخاصة في الثلث الأخير من الليل . . . يزداد عدد زواره كل يوم خاصة من كبار السن ، من بينهم عدد كبير من منطقة كوستي والنيل الأبيض ، ممن عرفوه وتعلقوا به أثناء فترة عمله بتلك المنطقة ، ينتمى بعضهم إلى طرق صوفية ودينية مختلفة ، كل الذي يبدو لي من هؤلاء أنهم غير علماء وغير متمكنين من ثقافة العصر ، ولكنه كان يستمع إليهم باهتمام ويرعاهم بكثير من الإحترام والصبر . . كنت أحياناً أجلس معه وأستمع إلى أحاديثهم ولكن سرعان ما أشعر بالملل وأنصرف ، ولكنه لا يضيق بهم ولا يخرجهم بتصحيح نقص معلوماتهم وأحاديثهم المتناقضة ، إلا حين يكون التصحيح ضرورياً ويجري ذلك بلطف شديد ، أذكر أنه قد زارته امرأة كبيرة السن ذات عقيدة قوية في المهدية ، وقالت له : (يا أستاذ أن سيدي الهادي المهدي لا يأكل إلا القرض ويصوم كل الوقت) فضحك الأستاذ معها بلطف وقال لها : (أن السيد الهادي يأكل أشياء كثيرة طيبة ، ولكنك لاتعلمين) وقد أضحك قولها هذا الكثيرين من الحضور . كان يستجيب لكل طلبات زواره من هؤلاء الدراويش ، وقد كان بعضها مرهقاً مادياً .

1968 تصعيد العمل الفكري:-

شهد هذا العام تصعيداً فكرياً كبيراً وانتشاراً في المحاضرات شرحاً وتوضيحاً للفكرة الجمهورية ففي يوم 24-9-1968 قدم محاضرة لطلبة المعهد الفني كلية الفنون الجميلة والتطبيقية تحت عنوان (الإسلام والفنون) شملت توضيحاً لموقف الإسلام من الفنون في الماضي والحاضر ، وكيف أن النحت كان محرماً في الشريعة لأن الأمة كانت حديثة عهد بالإسلام وقبلها كانت وثنية تعبد

الأصنام ، وعبادة الأصنام والنحت يذكرهم بالآلهة من الأصنام التي كانوا يعبدونها ، ولكن الآن في هذه المرحلة وقد تطور المجتمع بالعلم والمعرفة أصبح الفن والنحت غير محرم ، ثم أوضح صلة الفنون بالحياة وبالدين منذ نشأة الحياة وظهور الأديان ، كما شرح صلة الفنون بالنفس البشرية ، ودرجات تطورها السبعة ، الأمانة واللوامة والمهمة والمطمئنة والراضية والمرضية ثم الكاملة ، أبرزت هذه المحاضرة جانباً من دعوته التي قام على أساسها تقسيم الفكر الإسلامي إلى أصول وفروع ، شريعة وسنة ، ففي مستوى الشريعة ، حرمت الفنون لأسباب تاريخية تم بيانها في المحاضرة ، ثم شرح كيف أن الفنون من العلوم التي تعبر عن ملكة التعبير التي هي الحياة ، وهي ليست محرمة في أصول القرآن ، كما أوضح أنها ليست أجود وسائل معرفة النفس البشرية ، وإنما الدين في نقائه وأصل أصوله هو الوسيلة لمعرفة الحقيقة . . في هذا العام ظهرت هذه المحاضرة في كتاب أخذ نفس عنوان المحاضرة (الإسلام والفنون) وقد حل هذا الكتاب إشكالاً حقيقياً في فهم علاقة الإسلام بالفنون لكل المتطلعين للمعرفة .

واصل الأستاذ تقديم المحاضرات في أنحاء العاصمة المختلفة فقدم سلسلة منها تحت عنوان (الإسلام برسائله الأولى ، لا يصلح لإنسانية القرن العشرين) ، وملخص هذه المحاضرات ، أن الإسلام رسالتان ، رسالة أولى قامت على فروع القرآن ، ورسالة ثانية قامت على أصول القرآن . . فروع القرآن هي القرآن المدني وأصوله القرآن المكي ، الرسالتان موجودتان في المصحف ، وقد بلغهما النبي صلى الله عليه وسلم . . الرسالة الأولى تقوم على الجهاد ﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَعْذَرُوهُمْ وَأَخْرِضُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ (سورة التوبة)، والرأسمالية تقوم على الآية الكريمة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ (سورة التوبة)، والتفرقة بين الرجال والنساء على قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالضَّالِّحَتُ قَدْ نَبَّذَتْ حِفْظَتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيِّ تَخَافُونَ نُشُورَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاجِعِ وَاصْرَبُوا هُمْ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ (سورة النساء)، وبين المسلمين وغير المسلمين على الآية ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (سورة التوبة) قد فسرهما بن كثير ذيلين حقيرين، وهذه التفرقة لاتصلح لإنسانية القرن العشرين، وإنما تصلح أصول القرآن التي تدعو إلى المساواة في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ... ﴿١٣﴾﴾ (سورة الحجرات) وللدعوة للإسلام بالإقناع، وليس بالسيف ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (سورة النحل)، وهذا المستوى في الرسالة الثانية من الإسلام، وقد صدرت هذه المحاضرة في كتاب أخذ نفس عنوان المحاضرة راجع كتاب (الإسلام برسالاته الأولى، لا يصلح لإنسانية القرن العشرين).

وقد أثار عنوان هذا الكتاب الكثيرين من رجال الدين السلفيين ، الذين لم يعطوا أنفسهم فرصة فهم تلك العبارات ، ولا حتى الإطلاع على الكتاب . .
تدخل السلطات في محاضرة الإسلام برسائله الأولى، لا يصلح لإنسانية القرن العشرين:

تزامن مع تلك الأحداث أن تقدمت الجبهة الاشتراكية الديمقراطية بمعهد المعلمين العالي بدعوة للأستاذ محمود ليقدم محاضرة في دار إتحادهم تحت عنوان الإسلام برسائله الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين ، فإنزعج بعض الفقهاء لخبر تلك المحاضرة واتصلوا بالسيد/ إسماعيل الأزهري رئيس الوزراء آنذاك ، لمنع تلك المحاضرة ، ويبدو ان السيد/ الأزهري قد إستجاب لطلبهم وقد تم إبلاغ الأستاذ بعدم إقامة المحاضرة ، ورفض الأستاذ الأمر ، وقال أنه سيقوم المحاضرة لأنه إنترم مع الطلبة بإقامتها ، وهو على وعده ولن يتخلى عنه إلا إذا جاء الرفض من قبل الطلبة ، وأصر الطلبة من جانبهم على إقامة المحاضرة ، لذا أصبح من الواضح أن المحاضرة سوف تقوم في موعدها المقرر وأن الأستاذ سيتحدى السلطات . . . وقد إستعدت السلطة بتجهيز عدد من عربات الشرطة والجنود داخل المعهد وحوله ، ولم يبال الأستاذ بمظهر ذلك الإرهاب . . وقامت المحاضرة بسلام رغم وجود عربات البوليس المسلح التي كانت تحيط بالدار . . كان قيام المحاضرة إنتصاراً كبيراً لإرادة الأستاذ وإرادة الحرية عند الطلبة . . بعد قيام المحاضرة ظهر إرتباك أجهزة القضاء والسلطة ، فقد ورد في جريدة الرأي العام الصادرة في يوم 13 / 11 / 1968 ان السيد/ إسماعيل الأزهري (أصدر أمراً بمنع تقديم الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري في محاضرة بمعهد المعلمين

العالي دعت له الجبهة الاشتراكية الديمقراطية وكان عنوانها " الإسلام برسالته
الأولي لا يصلح لإنسانية القرن العشرين " على أساس أنها يمكن أن تستفد مشاعر
بعض المواطنين).

بعد نجاح المحاضرة ظهر الحرج والإرتباك . . يظهر هذا في ما نشرته الرأي
العام بما أسمته تصحيحاً في يوم 14 / 11 / 1968 تحت عنوان ازهري ينفي علمه
بمحاضرة محمود محمد طه ، والتربية والتعليم تقول بأن قاضي القضاة خاطب
الازهري بنشأنها) نص التصحيح : (جاءنا من القصر الجمهوري أن السيد/
إسماعيل الأزهري ينفي جملة وتفصيلاً أنه تدخل في موضوع محاضرة الأستاذ
محمود محمد طه في معهد المعلمين العالي ويؤكد أنه ليس له علاقة لا من قريب ولا
من بعيد بهذا الأمر) كما ورد في نفس الجريدة من وزارة التربية والتعليم ان السيد/
رئيس مجلس السيادة لم يصدر أي تعليمات بمنع المحاضرة . (وكل الذي حدث هو
أن فضيلة مولانا قاضي قضاة السودان بعث بخطاب إلى السادة رئيس وأعضاء
مجلس السيادة . . ينصح فيها بعدم تقديم المحاضرة خشية أن يكون فيها ما يثير
المسلمين) . ومن هذه الأقوال المتضاربة يظهر إستعداد قاضي القضاة السلطة على
الأستاذ بحجة إستتباب الأمن . (راجع كتاب الإسلام برسالته الأولى لا يصلح
لإنسانية القرن العشرين).

في كل هذه المواجهات كان الأستاذ وحده في قمة الشجاعة والثبات وقوة
المنطق الذي أظهر ضعف وجهل خصومه الدينيين . . .

الفصل الرابع

1968م محكمة الردة

أغض هذا النشاط الفكري الجم مضاجع بعض المشايخ ، فاجتمع لقيف منهم ورفعوا دعوى ضد الأستاذ في المحكمة الشرعية بالخرطوم ، أسموها قضية حسبة يتهمونه فيها بالردة والخروج عن الإسلام ، وقد أرسلت المحكمة الشرعية طلب حضور للأستاذ محمود في منزله ، ليمثل أمام تلك المحكمة وقد رفض الأستاذ الاستجابة لطلب المحكمة ولم يمثل أمامها ، ولم يكن للمحكمة الشرعية في ذلك الوقت في القانون المعمول به القوة التنفيذية التي يمكن أن تحضر بها أي شخص أمامها ، فهي محاكم ملية كونها الإنجليز لتنظر في قضايا الملل⁽¹⁾ المختلفة فيما يخص الزواج والطلاق والنفقة والميراث الخ . . . وقد أفحم هذا الموقف القضاة الشرعيين ، وقد تعاطف معهم السيد إسماعيل الأزهري وصرح بأنه سوف يعدل القانون لجعل القضاء الشرعي فوق القضاء المدني . . . !! وقد ورد في كتاب (بيننا وبين محكمة الردة) للأستاذ محمود عن تلك المحكمة المهزلة ما يلي :-

(يوم الاثنين 19 شعبان 1388 الموافق 18 نوفمبر 1968 . في هذا اليوم إنعقدت ما سميت بالمحكمة الشرعية العليا ، لتنظر في دعوة الردة المرفوعة ضد محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري من الشيخين : الأمين داؤد محمد ، وحسين محمد زكي ، وقد طلب المدعيان من المحكمة الآتي :-

1) إعلان ردة محمود محمد طه عن الإسلام بما يثبت عليه من الأدلة .

2) حل حزبه لخطورته على المجتمع الإسلامي .

3) مصادرة كتبه ، وإغلاق دار حزبه .

(1) الملل تعني مسلمين ، مسيحيين ، يهود .

4) إصدار بيان للجمهور يوضح رأى العلماء في معتقدات المدعى عليه .

5) تطليق زوجته المسلمة .

6) لا يسمح له ، ولا لأى من أتباعه بالتحدث بإسم الدين أو تفسير آيات القرآن .

7) مؤاخذه من يعتنق مذهبه بعد هذا الإعلان ، وفصله أن كان موظفًا ، ومحاربته إن كان غير موظف وتطليق زوجته المسلمة منه .

ولقد إستمعت المحكمة إلى خطابي المدعين ولأقوال شهودهما ، لمدة ثلاث ساعات ، ثم رفعت جلستها لمدة ثلث ساعة ، وعند إنعقادها للمرة الثانية قرأ القاضي حيثيات الحكم التى جاء فيها أن المحكمة ، بعد السماع لإدعاء المدعين ، وسماع الشهود ، تأكد لديها أن المدعى عليه ، قد أرتد عن الإسلام ، وعليه فإن المحكمة تحكم بردة محمود محمد طه عن الإسلام غيابيًا ، وقد كانت كل أقوال المدعين وشهودهما سماعية وأراءهما الخاصة ، وقد قال أحدهما في (رأى...!) ، وقال آخر (أنه سمع من بعض الناس!) ، وقد أخذت المحكمة بكل هذا وخلصت إلى القول : (أن هذه المحكمة كما تقدم ، ترى أنه لابد من الحكم على المدعى عليه) بالآتى :

(فلذلك حكمنا غيابيًا للمدعين حسبه الأستاذين الأمين داؤد محمد ، وحسين محمد زكي ، هذا ، على المدعى عليه الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري الغائب عن هذا المجلس ، بأنه مرتد عن الإسلام وأمرناه بالتوبة عن جميع الأقوال والأفعال التى أدت إلى رده ، كما قررنا صرف النظر عن البنود من نمرة 2 إلى 6 ، من العريضة وهي من الأمور التى تتعلق وتترتب على الحكم بالردة)

وفهم الحاضرون ذلك . القاضي / توفيق أحمد الصديق (18 / 11 / 1968) إنتهى النقل من كتاب بيننا وبين محكمة الردة ، الرجاء مراجعته فى موضعه .

وفي النقطة السابعة اعلاه يلاحظ ان قرار المحكمة بتطبيق زوجته المسلمة وزوجات الجمهوريين بعكس رأي السلفيين في المرأة فهم دائماً ينظرون إليها كشئ تابع ليس له فهم وفات عليهم ان زوجته وزوجات الجمهوريين على نفس مذهبه في الحياة .

ومنذ أن أعلنت المحكمة ذلك الحكم ، حزم الأستاذ محمود أمره ، لمواجهة ذلك الجهل ، وعقد إجتماعاً مع الجمهوريين في ، دار الحزب الجمهوري في حي الموردة بأمدرمان ، وقد كنت من بين الطلبة الذين حضروا ذلك الإجتماع وأعلن للجميع بقوله : (أنا منذ هذه اللحظة سوف أتحرك بصورة فردية ، وليس هناك تنظيم أو أي عمل تنظيمي) ، وكان ذلك دائماً ديدنه في أوقات الشدة وساعات الخطر ، ثم واصل : (وسوف أواجه هؤلاء الرجال ، لن أضع لهم أى اعتبار ، ولن أتوانى في مواجهتهم . .) ، كان كلاماً قوياً وقد ساد الصمت ولم يتحدث أحد ، إلا جمهوري واحد من الجمهوريين القدامى ، الأستاذ أمين محمد صديق اول سكرتير للحزب ، إنفعل بحديث الأستاذ ، وأخرج مسدساً من جيبه ، ووضع على المنضدة أمام الأستاذ وقال له : (أنا معك يا أستاذ ، ولن أتركهم حتي الموت) ، فأبتسم الأستاذ في هدوء وقال له : (أنت بتقتل يا أمين ؟ ، سوف لا نقتل أحداً) ، ورفع مسدس أمين وأعادته إليه فوضعه في جيبه ، وقد قبل الأستاذ ذلك الموقف من أمين على أنه موقف حماس ومؤازره ، وظل يحفظه له ويذكره في أوقات متفرقة . . . وقد أكد أن المواجهة ستكون فكرية لكشف مهازل وجهل رجال

الدين الذين دبروا تلك المحكمة . . . وقد بدأ الرد بسيل من المنشورات القوية ، التي كانت توزع على الجمهور ، وكانت الصحف تقوم بنشرها ، وكلها تبن جهل هؤلاء بالدين وذيليتهم للحكام وإستعمال السلطان لهم في كل الأوقات ، لتسخير الدين للدنيا ، قال لهم في أول المنشورات راداً على طلبهم له بالتوبة عن جميع أقواله : (وأما أمركم لي بالتوبة عن جميع أقوالي ، فإنكم أخس وأذل من أن تطمعوا في ، فقد قاومت الإستعمار حين كنتم تلحقون جزم الإنجليز . . . وأما إعلانكم ردتني عن الإسلام ، فما أعلنتم غير جهلكم الشنيع بالإسلام وسيرى الشعب ذلك مفصلاً في حينه . . . هل تريدون الحق ، أيها القضاة الشرعيون؟! إذن فأسمعوا!! أنكم آخر من يتحدث عن الإسلام ، فقد أفنيتم شبابكم في التمسح بأعتاب السلطة ، من الحكام الإنجليز والحكام العسكريين ، فأريحوا الإسلام ، وأريحوا الناس من هذه الغثائه) . وقد كتب معرفا الناس بأصل المحاكم الشرعية قائلاً: (فهي في حقيقة أمرها محاكم مليه لأصحاب الملة المقهورة بالحكم الإستعماري كونت عام 1920م بمنشور من الحاكم العام البريطاني وحددت إختصاصاتها في الأحوال الشخصية من طلاق وزواج ونفقة ، ويملك الحاكم العام نقض أي حكم من أحكامها كما حدث عدة مرات . . .) ، وقد تبع تلك المنشورات سلسلة من المحاضرات بدار الحزب الجمهوري بالموحدة تحت عنوان بيننا وبين محكمة الردة ، وأكد الأستاذ محمود في أول محاضرة بقوة ، موقفه من محكمة الردة وأنه لايتراجع عن ذلك الموقف ، وإن المحكمة الشرعية لن تستطيع أن تجربها على الرجوع عن موقفه ولا على التنازل عن أي كلمة قالها او كتبها وسوف يتولى بنفسه كشف زيف هذه الجماعة وبُعدها عن الدين . بمحاضرات تحت عنوان (مهزلة محكمة الردة) و (بيننا وبين محكمة الردة) و (الدين ورجال الدين عبر السنين) ، تحدث فيها بنفسه .

وضح الأستاذ في تلك المحاضرات مفارقة من يسمون برجال الدين للدين وإستغلالهم له لأكل الدنيا ، وكانت الدار اثناء هذه المحاضرات تكتظ بالحضور حتى يمتلئ فناؤها وتبقى اعداد كبيرة خارج الدار حتى تصل شارع الأسفلت امام الدار . وقد طبعت هذه المحاضرات فيما بعد في سلسلة كتيبات تحت عنوان (الدين ورجال الدين عبر السنين) و (شيوخ الأزهر) ثم (علماء بزعمهم) وغيرها وكان يستقبلها الجمهور بشغف شديد . . إلى جانب هذا تواصلت المنشورات في مهاجمة تلك المحكمة وتبرئة الإسلام من مثل تلك المحاكم ، كما أبان خطل الشيوخ الذين دبروا تلك المحكمة ، ووجه هجومًا قويًا للمؤسسات الدينية التي تدعي الإسلام ، ولا تعيشه ولا تربي المواطنين ليعيشوه .

بعد أن كتب العديد من المنشورات دخل عدد من الجمهوريين والجمهوريات في كتابة بعض المنشورات تحت إشرافه وبعد تصحيحه . . كانت كل تلك المنشورات موثقة وذات أدلة دامغة من المجلات مثل (مجلة الأزهر) ، ومن (غازيتة جمهورية السودان) والكتب والصحف . وقد كتبت أحد تلك المنشورات .

في تلك الأيام كان يفكر كثيراً ويكثر من قيام الثلث الأخير من الليل ، وإن كان ذلك ديدنه ، وأضاف عليه ، الكتابة الكثيرة للصحف ، والمنشورات . . . على الرغم من أن الحملة كانت كبيرة ضده ، كان يواجهها وحده بقوة وحزم وكأنه العشرات من الرجال ، وكان يتحدث عن الحزب الجمهوري وهو يرمز لنفسه في المقام الأول فقد كتب ايام محكمة الردة " أن الحزب الجمهوري لعلی ثقة بدعوته ، وعلى يقين بربه ، وهو سيمضي في سبيله ، غير هباب ولا وجل فإن اغض ذلك مضاجع اقوام ، فلا نامت اعين الجبناء " وعلى مر الأوقات فهو يبين ان الحزب الجمهوري هو الأستاذ في المقام الاول حتى يناير 1985 .

وبالرغم من المعارضة الشديدة ضده إلا انه كان مرتاحاً كثير التفكير ولا يبدو عليه توتر ولا إنزعاج ، وهذه واحدة من تعليماته أن يحول الإنسان همه على الله ، وكان دائماً يعودنا على الدعاء (كن همي وأكفني ما أهمني وأجعل همي بين عيني) و(أجعل الله همك يكفيك ما يهملك) . .

أما نحن في الأسرة فقد خيم علينا جو من الحزن ولا أحد منا يدري ماذا سيحدث في صباح الغد ، أذكر أنني قد حزنت وأصابني كرب شديد ، كيف يجوز لهؤلاء أن يقولوا مثل هذه الأقوال عن أبي ، الذي من كثرة إسلامه قد حُبب الإسلام إلى نفسي ونفوس الكثيرين؟ . . ولكني في كل حين كنت أستمع من ثباته ثباتاً ومن قوته قوة ، وكلما أنظر إليه يبعث الطمأنينة في نفسي . . كنا نلجأ إليه لتخلص من الخوف ولنزداد أمناً . . وقد كانت أكثر الناس كرباً في تلك الأيام هي شقيقته كلثوم محمد طه ، التي كانت تشفق من الحملة ضده من غير إلمام بالتفاصيل الفقهية . وكانت تتابع الأخبار وتساءل عن كل التحركات وتكثر من الجلوس معه في غرفته الخاصة حتى تعرف كل طارئ ، وترفع يديها في الصلاة عالياً تسأل الله أن يكفيه شر الأعداء .

وقفت محكمة الردة عند ذلك الحد وبعد ذلك إتضح أن هناك أيادي أجنبية وراء تلك المحكمة ، دلت عليها فتوى الأزهر ومطالبته الحكومة الرئيس السابق جعفر نميري بتنفيذ حكم الردة على الأستاذ ، وكذلك مجلس الإفتاء بمكة وهذا تدخل آخر من جانب السعودية ، نورد فيما يلي فتوى الأزهر :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الأزهر مجمع البحوث الإسلامية مكتب الأمين العام 1972 / 6 / 5

السيد/ الأستاذ وكيل وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالسودان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ، وبعد ،

فقد وقع تحت يدي لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، كتاب الرسالة الثانية من الإسلام ، تأليف محمود محمد طه ، طبع في أمدرمان الطبعة الرابعة 1971م ص . ب : 1151 وقد تضمن هذا الكتاب ، أن الرسول بُعث برسالتين فرعيتين ، ورسالة أصلية ، وقد بلغ الرسالة الفرعية ، وأما الأصلية فيبلغها رسول يأتي بعد ، لأنها لا تتفق والزمن الذي فيه الرسول ، وبما أن هذا كفر صراح ولا يصح السكوت عليه ، فالرجاء التكرم بإتخاذ مآثره ، من مصادرة لهذا الفكر الملحد ، والعمل على إيقاف هذا النشاط الهدام خاصة في بلدكم الإسلامي العريق . . وفقكم الله وسدد خطاكم . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

توقيع :

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية دكتور محمد عبد الرحمن بيسار .)

وكذلك تبعثها فتوى من مجلس الإفتاء بمكة المكرمة فيما يلي نصها :

(رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

مكة المكرمة

حضرة صاحب المعالي الأخ الدكتور عون الشريف قاسم، الموقر، وزير
الشئون الدينية والأوقاف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ،

أفيد معاليكم بأن من ضمن القضايا الإسلامية، التي ناقشها المجلس
التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي، في دورته السادسة عشر (محمود محمد طه)
السوداني الذي إدعى الرسالة، وأنكر ختم الرسالة، وأنه المسيح المنتظر، كما
أنكر الجزء الثاني من الشهادة إلى آخر ما جاء في إدعاءاته الباطلة. . وبعد
مناقشة الموضوع من جميع جوانبه، أصدر المجلس حكمه، بالإجماع بإرتداد
المذكور من الإسلام، وتأيداً لما حكمت به المحكمة الشرعية بالخرطوم، وأنه
يجب على المسلمين أن يعاملوه معاملة المرتدين، كما يجب مصادرة كتبه أينما
وجدت، ومنع طبعها. . أرجو من معاليكم التكرم، بنقل هذا القرار إلى
حكومتكم الموقرة، وبذل مساعيكم الحميدة لدى المسئولين فيها، في المساهمة
معنا في تنفيذها، وخاصة قد صدر عن (المجلس) مجلس يضم نخبة من العلماء،
والزعماء، الممثلين من معظم الشعوب الإسلامية في العالم. وأنتهز هذه الفرصة
للإعراب عن صادق شكري، وتقديري، لتعاونكم الدائم مع الرابطة، فيما
يرفع شأن الإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام، ،

التوقيع: احمد صالح القزاز

ومن هذه المذكرة يظهر التدخل الأجنبي وخيانة المؤسسات الدينية لأمانة
المواطن والمواطنة وهم يستعدون الأجنبي ويتعاونون معه ضد أبناء الوطن

الشرفاء ، وتبعاً لذلك نشط من أسموا أنفسهم بعلماء السودان ، بعد توجيه من رؤسائهم في الخارج بإستعداد السلطة على الأستاذ محمود ، في شكل المذكرات التي كانوا يكتبونها ، وهذا نموذج مختصر من مذكرة علماء السودان !! التي رفعوها إلى رئيس الجمهورية :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

السيد/ رئيس جمهورية السودان الديمقراطية تحية من عند الله مباركة طيبة ، نحن علماء السودان ، نرفع لسيادتكم المذكرة الآتية ضد (محمود محمد طه) ، للأسباب الآتية :

(أولا محمود محمد طه مرتد عن الإسلام ، لأفعاله ، وأقواله ، وأرائه الشاذة ، التي تعتبر أكبر خطر على المسلمين . أما أقواله وأفعاله ، قد رفعنا بها قضية في محكمة الإستئناف العليا الشرعية بالخرطوم ، وقد صدر بمقتضاها الحكم بأنه مرتد عن الإسلام ، وذلك في يوم الاثنين 17 شعبان 1388هـ ، الموافق 17 / 11 / 1968م القضية رقم 1968-1035).

وقد إشتملت مذكرة من أسموا أنفسهم علماء السودان ، على تسعة نقاط كلها تشويه للفكرة الجمهورية ، ونقل غل ومبتور ، من كتب الأستاذ محمود ، وإتهامات باطلة وتحريض على القتل تماماً مثل مذكرات الأزهر ورابطة العالم الإسلامي بمكة ، راجع كتابي الإخوان الجمهوريين (علماء بزعمهم) الأول والثاني 1976م ، وقد وقع على هذه المذكرة عدد منهم ، على رأسهم مجذوب مدثر الحجاز ، محمد الفاتح قريب الله ، الأمين داؤد ، يوسف إبراهيم النور ، يوسف

الترابي ، وآخرون ، وقد أرسلوا تُسخاً من هذه العريضة للجهات الأتية : رئيس مجلس الأمن القومي ، مدير الأمن العام ، مدير الأمن القومي ، رئيس المحكمة العليا ، نائب رئيس المحكمة العليا ، وزير الداخلية ، محافظ الخرطوم ، مفتي جمهورية السودان ، مدير البوليس ، رئيس مجلس الشعب ، رئيس لجنة شئون الأعضاء بمجلس الشعب أبراهيم على التوم . (راجع كتاب شيوخ الأزهر) .

في هذه المحنة لم يظهر للمثقفين السودانيين أي دور يذكر ، وقد لاذوا بالصمت يستثنى من هؤلاء الدكتور منصور خالد ، فقد كان قلمه قوياً وصوته عالياً ضد مشايخة محكمة الردة*⁽²⁾ ، حيث قال في كتابه حوار مع الصفوة : (لو كانوا أمناء لوجدوا فيه ذخيرة فكرية ضخمة ، يمكن أن تسهم في وضع الإسلام في إطار العصر ، أكثر من أن يجدوا فيه خصماً عنيداً مشاغباً . ولو كان الكثير من المثقفين الآخرين ، الذين يذكرون الأحكام الخطيرة على الرجل على أساس شائعات المآثم وحفلات الزفاف ، دون أن يقرأوا حرفاً واحداً مما كتب ، قرآءة العالم الرشيد . . لو كان هؤلاء المثقفون قد ألبوا بأجديات الفكر الإسلامي ، إذاً لكانت أحكامهم على الرجل شيئاً آخر ، غير إتهامه بالخطرفة والجنون والإدعاء والزندق) إلى أن قال : (والحديث عن الأستاذ محمود يقودني بالضرورة للحديث عن ظاهرة رجال الدين ، وهي ظاهرة بابوية لم يعرفها ولا يعرفها الإسلام . . فمفهوم رجل الدين مفهوم موروث من جاهلية الترك ، غذاه وأبقى عليه الإستعمار ، ومظهر رجل الدين بالعمامة والقفطان المزركش والحزام المقصب ، مظهر موروث من الأعاجم هو الآخر ، فالإسلام لم يعرف رجاله الأوائل هذه

(2) انظر كتاب د . منصور خالد (حوار مع الصفوة) ص 188 - 191

الظاهرة البابوية . .) ثم قال : (من بين رجال الدين هؤلاء طائفة قضاة الشرع وما كنت أنأتولها بالحديث لولا أحداث الأشهر القليلة الماضية . . ماكنت أود أن أتأولها بالحديث لو إقتصرت على واجبها كموظفي دولة ، يتقاضون رواتبهم من مال دولتهم التي تجبیه فيما تجبى من ريع بيع الخمر . .) حاشية : (فيما ورد أن الإمام المهدي قد رفض طعام شيخه محمد الخیر ، لأنه يتاعه بمال تقطعه عليه حكومة الترك) . . نعم فما كنت لأتأولهم لو إقتصروا على أداء واجبهم الذي يحدده لهم القانون ، قضاة أنکحة ومیراث . . قانون وضعه الإستعمار وإرتضاه الذين ورثوا الأرض من بعده . . وهو قانون لا یملك أن یحدد للمسلمین ظلال الله على الأرض . . كتب التاريخ تقول أن هذه الظلال قد إنحسرت بإنحسار ملك آل عثمان . . ولا یكفی حسب تقديری المتواضع ، أن یقوم مواطن فاضل بدراسة الشریعة الإسلامیة دراسة وظیفیة ثم یرتدی قفطان ، ویتمنطق بحزام ، ویضع على رأسه عمامة ، وفی یده مسبحة کهرمان ، لا یكفی هذا لیجعل من المواطن الفاضل حفیظاً على دین الله ذلك) ، كما قال أيضاً فی نفس الكتاب صفحة 191 : (. . .) . . . كما سمعنا حکمکم بالأمس فی ردة الأستاذ محمود محمد طه . . نرید أن نسمع حکم الإسلام فی الأمر الکاذب والوالی الظالم . . والوزیر السفیة . . وللإسلام حکم فی کل هؤلاء . . نرید حکمه فی السفاه السیاسی ، الذی نعیشه الیوم ، وهو سفاه شیوخ لاحلم بعده . . شیوخ یرتدی بعضهم قفطاناً مثلكم . . ویتمنطق بحزام مثلكم ، ویضع على رأسه عمامة کشأنکم . . الخ . .) . . والی جانب د . منصور خالد علا صوت المهندس حسن بابکر الذی أدان المحکمة وکتب مقالاً أستنکر فیہ حکمها وسجل قولته الشهیرة : (اللهم إن کان محمود مرتداً فأنا ثانى المرتدین . . .) .

وعلى النقيض من هذا ظهرت سلبية بعض المثقفين ، فقد وقف بعضهم مواقف غريبة ولكنها لم تؤثر على الأستاذ بل تؤكد غرابة ما جاء به ، فقد حكي لي أن صديقاً له منذ زمن الدراسة فى كلية غردون يسكن العيلفون ، حدثت له وفاة ، وذهب الأستاذ لتعزيتة في منزله ، وكان ذلك بعد محكمة الردة ، ووجد معه جمعاً من المعزين ، ولم يهتم به كسابق عهده عندما كان يزوره ، وصرف عنه النظر حتى لا يظن الحضور انه صديق له ، وقال لي الأستاذ معلقاً : (كيف كان لصديقه ان يتعامل معه بطريقة عادية وهو متهم بالردة) . وتلك ظاهرة لازمت الكثير من المثقفين السودانيين ، اذا قابلهم جمهوري على إنفراد يثنون على الأستاذ والفكر الجمهوري ويكون العكس عندما يكونون في وسط جمع من الناس فاما يلوذوا بالصمت او يتحولوا إلى معارضين !! .

وبعد محكمة الردة واصل الأستاذ محمود إلقاء المحاضرات العامة ، حول هذا الموضوع فأقام عدداً منها في دار الحزب الجمهوري في الموردة ، وكذلك في مدن السودان الأخرى مثل مدنى والحصاحيصا .

في عام 1968 قام مؤتمر المواجهة ، في دار الحزب الجمهوري في ودمدني ، وقد حضره عدد من الجمهوريين من مدن السودان المختلفة وكنت من بينهم ، كانت جلسات المؤتمر صباحية ومسائية ، وقد حدد الأستاذ فيها الكيفية التي يخرج بها الجمهوريون من مرحلة الرد على الذين يهاجهم الجمهوريين ، إلى المواجهة والدخول بالفكرة الجمهورية بمبادرة من الجمهوريون ، إلى المجتمع ثم فصل أدب تلك المواجهة ، وقد أبدى الجمهوريين في ذلك المؤتمر استعداداً وحماساً كبيراً للمواجهة والمبادرة بالفكر الجمهوري ، إلى المجتمع السوداني .

في هذا العام 1968 أيضاً كنا معه في طريقنا من مدينة ودمدنى إلى مدينة الحصاصيصا ، حيث كان الأستاذ سيقدم محاضره لجمهور المدينة في أحد الأندية . كان الأستاذ يستغل عربة ومعه بعض الرجال ، وفي عربة أخرى كنت أنا وعدد من أفراد الأسرة ، ومعنا عدد قليل من قدامى الجمهوريين ، من بينهم رجل كبير فنان تشكيلي وخطاط يقال له (عم دهشة) ، وهذا هو الأسم الذي عرف به ، وهو الخطاط الذي خط كل الآيات القرآنية التي تزين جدران صالون الأستاذ ، وقد وقع حادث للعربة التى كنا فيها حيث إنقلبت ثلاثه مرات ونقلنا إلى مستشفى ودمدنى ، وبعد أن أدخلنا المستشفى ، ذهب الأستاذ في التو إلى المحاضرة حفاظاً على مواعده مع النادي الذي دعاه ، ثم عاد بعد أن قدم المحاضرة ، ووجدني أسأل عنه طول الوقت إذ أنني كنت أسمع صياحاً وبكاءاً في فناء المستشفى ، وكنت أعتقد أنه قد توفى في الحادث . وعندما عاد إنحنى علي في سرير المستشفى ، وقال لى ما معناه نحن في الأسرة قدمنا تضحيات كثيرة من أجل الفكرة الجمهورية وهذه تضحية أخرى . . .

1967 - 1969 الطواف والوفود الكبيرة إلي الأقاليم :-

في هذا العام 1967 قام الأستاذ محمود ، على رأس وفد كبير طائفاً على أقاليم السودان المختلفة . . زار عدداً من عواصم الأقاليم والمدن الكبيرة ، محاضراً في الأندية الثقافية ، كنت برفقته وثلاثة من الأخوات الجمهوريات ، وبعد المحاضرات كان يقيم اللقاءات مع مجموعات المثقفين شارحاً فكرته عن الثورة الثقافية ، وتطوير التشريع الإسلامي للرقى بالفرد والمجتمع وتلك أول مرة أرافقه فيها في هذه الوفود ، وكان ذلك وقت العطلة الصيفية ، وقد أصبح ديدنه أن يأخذنا معه في الإجازات الصيفية نحن بنات الأسرة ، ولا يتركنا وراءه .

طاف هذا الوفد على عطبرة، شندي، الدامر، بربر، العبيدية، الباقوة، كسلا، بورتسودان، جيبت، سواكن، سنكات، طوكر، القضارف، سنار، والأبيض، وكل منطقة الجبال الشرقية مثل الدلنج، كلوقي، تلودي، العباسية، قلبي، رشاد، وأبو جبيهة، ثم ختم بمدني، كان هذا الوفد يقيم في منازل الأقارب المؤيدين للفكرة الجمهورية حيث وجدوا، وفيما أذكر عند زيارتنا لكلوقي نزل الوفد مع الحاج على شمعون من اقارب الاستاذ من أهالي الهيجيليج ونزل ايضاً في الدامر وبورتسودان في منازل اقاربه، وأحياناً ينزل الوفد في بعض المدن في منازل الجمهوريين من سكان تلك المدن مثل مدني والقضارف وكسلا الخ . . وفي اللكوندات حيث تيسر ذلك، مثل لكوندة الضيقي في كسلا . .

1969 في هذا العام قام الاستاذ أيضاً على راس وفد كبير به عدد من الاخوان القياديين طاف الوفد على عدد من المدن عطبره الدامر شندي بورتسودان، وفي الطريق إلى بورتسودان، في القطار كنا معه انا واسماء وسميه، طوال هذه الرحله كان يحدثنا عن السيرة النبويه ويسرد لنا احاديث عرفانيه عميقه الاثر كنا نستمتع له في شغف .

دخل القطار مدينة بورتسودان عند الفجر وفد بدات الشمس ترسل اشعتها الذهبية من بين تلال البحر الاحمر وكان الاستاذ يتابع شروقها من نافذة القطار واخذت تتدرج في الظهور من اللون الاحمر إلى الاصفر وكان ينظر اليها بتركيز شديد ويقول لنا حاولوا النظر في الشمس وقد حاولنا عدة مرات مع انها كانت مؤلمه في النظر بالنسبه لي لكن الاستاذ لم يكسر نظره عنها طول الوقت وقال لنا انه تعود النظر في الشمس . . في فجر ذلك اليوم في القطار افاض في الحديث عن

السيرة النبوية الشريفة وعن السيده عائشه والسيدة فاطمه ومحبتها للنبي صلى الله عليه وسلم وكيف انها كانت إلى جواره وهو في النزع الاخير ، وكانت تقول له : (واكرباه لكربك يا ابي) ويرد عليها بقوله : (لا كرب لايك بعد اليوم) ، ويحكي لنا كيف ان السيده فاطمه حزنت على والدها ولحقت به بعد ستة اشهر فقط وكنا نبكى اسىً لتلك المشاهد المحزنة ، ويعلق الاستاذ على بكائنا بقوله : (ابكوا عليها فإنها جدتكم) .

في أسفارنا معه ايضا كان يحدثنا عن العفو والسلام والرحمة ، وكان كثيرا ما يقابلنا الفقراء في الطريق ويسالوننا شيئا ، وعندما نعطيهم يقول لنا عبارة السيد المسيح : (الرحاء يرحمهم الله) ويقول لنا (اذا قابلكم سائل لا تقولوا له كما يقول بعض الناس ؛ مالك ما شديد ما تمشى تشتغل ، لكن شوفوا كان الله ارسل لكم هذا السائل فلا تردوه واعطوه ما في استطاعتكم .) وحكى لنا ان السيده عائشة اعطت سائلا بلحه فلم يرض السائل ، فقالت له : (كم فيها من مثاقيل الذريا هذا؟) على ما جاء في الايه الكريمه " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " .

وفي مدينة بورتسودان في الفترة الصباحية نطوف على المدينة ، نذهب إلى البحر والميناء حيث زرنا فلمنقو وشهدنا طريقة الشحن والتنزيل في السفر ودخلنا سفينة يوغسلافية كانت راسية على الميناء شهدنا غرفة الكابتن واماكن المسافرين كانت جميلة ومرتبة ثم ركبنا لنش لمشاهدة المارين قاردين والشعب المرجانية ، كان اللش يعلو ويهبط مع الأمواج ، كنا فرحين لتلك الحالة فقال لنا الأستاذ (الخطر عندما يكون مأمونا يكون ممتعا) .

كان وجود الجمهوريات في الوفود في ذلك الوقت ملفتاً للنظر ومثيراً للفضول ، أذكر أننا نزلنا معه في كسلا في لكوندة الضيقي ، وكان ذلك غريباً على العاملين في اللكوندة والنزلاء على السواء ، عندما لاحظ الأستاذ أن فضول الرجال كان كبيراً تركنا ننام في الغرفة ، ويقفل الباب ويضع سريره أمام الباب في الصالة ، كان يجيب على كل تساؤلات الكثيرة التي ترد بشأننا من هؤلاء بقوله : (إنهن بناتي) ، كنا قبل وقت المحاضرة نخرج معه نطوف على أرجاء المدينة ، يطلعنا على أنحائها ومعالمها المختلفة ، وتناول الوجبات في المطاعم برفقته ، ونزور معه الأماكن العامة ، وقد كان ذلك سلوكاً غير مألوف في المدينة فالمرأة في السودان وحتى الآن لا تحظى بالمساواة وحق المشاركة الاجتماعية المتساوية مع الرجال ، أعتقد أن الله قد أتاح لنا فرصة تلك المشاركة لأن زعيم الحركة كان والدنا ، ولولا ذلك ، لما كان من الممكن أن نجد تلك الفرصة ، نسبة للحصار الذي يضره المجتمع على حركة المرأة .

كنا نقضي النهار معه ، يطوف بنا على معالم المدن التاريخية ، مثل المتاحف والقلاع القديمة ، والحدايق العامة ، والقباب وأضرحة الرجال الصالحين ، الذين قدموا خدمة للمدينة بتعليم الناس وإرشادهم ، فمثلاً في كسلا زرنا جميع أضرحة الميرغنية ، وخاصة السيد الحسن ، وكان يقول عنه (حسن الأكبر) ، ومن معالم كسلا زرنا برفقته جبل توتيل ، وقد صعدنا الجبل وكان يتقدمنا صعوداً ونزولاً من الجبل في خفة ملحوظة ، كنا نشعر بالسعادة لتلك الرحلات الترفيهية ، بعد العناية الذي نشعر به أثناء المحاضرات . . مشاركتنا في هذه الوفود جعلتني ألم إماماً ملموساً بجغرافية السودان ، ومعالمه الحضرية والأثرية والطبيعية ، وقد عرفت كيف

أن غرب البلاد جميلٌ وذو طبيعة خلابة خاصة منطقة رشاد وأبوجبيهه وأعتقد أنها سياحياً لاتقل سحراً وجمالاً عن سويسرا، والبلاد الأوربية، التي يقصدها السواح لجمال طبيعتها، فقط السودان يحتاج إلى عناية أهله وتنميته في هذا المجال وستتجه نحوه جميع أنظار العالم في القريب العاجل إن شاء الله .

كانت المحاضرات التي تقام في المساء، تتناول المبادئ الأساسية التي يقوم عليها الفكر الجمهوري لبعث الإسلام من جديد، ليتولى قضية التغيير وبناء المجتمع الإنساني على أسس جديدة، مثل (تطوير التشريع، والدعوة إلى طريق محمد، رسالة الصلاة، وموضوع الأصالة، والأصول والفروع، والإسلام برسائلته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين، وتطوير شريعة الأحوال الشخصية والدستور والديمقراطية ومشكلة جنوب السودان ومشكلة الشرق الأوسط . .) إلخ . وهذا على سبيل المثال لا الحصر للمواضيع الحساسة التي طرحتها الفكرة الجمهورية، من أجل قضية التغيير .

كنا نجلس نحن الجمهوريات المرافقات للوفد، في الصف الأمامي تحت نظر الأستاذ، تحمل كل منا كراسة، ونقوم بتسجيل المحاضرات طوال فترة الوفد، وكان ذلك يساعدنا على الحضور التام، وعلى المتابعة وأيضا على تجويد اللغة، كان رأي الأستاذ أن لا يتركنا وراءه، ففي ذلك حفظ لنا، وقد أكد ذلك في إحدى المحاضرات في مدينة القضايف، حين حاول أحد المعارضين إحراجه، بأن قال له : (في هذا المجلس وأمام الأستاذ، وضع مخالف للشرع فهنا بعض النساء وهن يجلسن في الصفوف الأمامية، فكيف يسمح الأستاذ بهذا الوضع المنافي للشريعه؟!)، فرد عليه الأستاذ بوجهة نظره في تطوير التشريع الإسلامي، لننهض

من شريعة الفروع إلى الأصول ، التي هي أصل الدين ففي الشريعة المطورة الاختلاط هو الأصل ، والمرأة فيه مساوية للرجل (النساء شقائق الرجال) وبعد شرح طويل وضح فيه مستقبل المرأة في الدين ، ختم الأستاذ إجابته بقوله : (أنا الآن بناتي معاي ياترى أي واحد منكم عارف بناته وين في اللحظة دي ؟) وقد ساد صمت طويل بعد هذه الإجابة ، ثم تبعها الحضور بتصفيق حار .

كل المحاضرات في كل أنحاء السودان ، تواجه بصخب شديد ، ففي هذا الوفد شهدنا مواقف كثيرة وغريبة . مثلاً في إحدى المحاضرات في مدينة بورتسودان ، وفي نادي أبناء تنقسي تجمع الحضور بعد نهاية المحاضرة ، وعم الصباح والهباج والتلويح بالعنف ، وإزدحم الباب الرئيسي بالذين يتدافعون للإعتداء بالضرب على الأستاذ والمرافقين له ، وتقدم الأستاذ يشق الزحام فاتحاً الطريق وسط الجموع ، يقودنا إلى الخارج ، في هذا الأثناء جاء بعض أعضاء النادي يطلبون من الأستاذ في خوف ، أن نخرج من الباب الخلفي وهو باب صغير ، فرفض الأستاذ ، وأصر على الخروج من الباب الرئيسي ، مكان التهديد فترجاه أحد أعضاء النادي قائلاً : (من أجل الأسر يا أستاذ) ، فأبعده الأستاذ بحده قائلاً له : (نحن وأسرنا طالعين في الأمر ده) ، وأبتعد عنه الرجل ، وخرجنا والأستاذ يمشي تارة من أمامنا وتارة من خلفنا ، حتى ركبنا العربة إلى مكان منزلتنا . في مثل هذه الأوضاع كنا نتخيل حجم الخطر الذي يواجهه الأستاذ . مثل آخر في إحدى المحاضرات بنادي الخريجين ببورتسودان ، تجمع الأخوان المسلمون وأخذوا يكررون الأسئلة بإلحاح في موضوع الصلاة ويرددون الهتافات بإعلان الجهاد من ذلك المكان ، وأعتلى أحدهم المنصة حيث يقف الأستاذ وهو يحمل سيفاً والأستاذ

ثابت في مكانه لا يتحرك ، ثم علا الصباح بصورة أصبح سماع المحاضرة غير ممكن ، وسادت حالة من عدم الأمن حتى جاء رجال الشرطة ، وتمكنوا من حفظ النظام وإستمرت المحاضره وقد أخذ البوليس المهرجين إلى خارج النادي ، الملاحظ أن حامل السيف لم يفعل به شيئاً حتى وصول رجال الشرطة .

ورجل آخر شارك في الحوار في إحدى المحاضرات وهُزم في النقاش ، أعتقد أن هزيمته دعوة للشجار ، تقدم مهتاجاً نحو المنصة فقام الجمهور بإبعاده . كانت هذه المحاضرات تواجه بصخب شديد من المعارضة ، ومن المتعصبين الدينيين ، وجماعة الأخوان المسلمين ، الذين كانوا يجتهدون في طرح الأسئلة ، التي يمكن أن تشكك في الفكرة الجمهورية وتصرف المستمعين عن مناقشة الفكرة وتناقض الفكر السلفي مع واقع الحياة وأصول الدين . .

تحرك الأستاذ من بورتسودان إلى مدينة طوكر ، وسبقه عدد كبير من هؤلاء إلى طوكر وأخذوا يهرجون بنفس المستوى وقد كان موضوع المحاضرة هو الصلاة ، ومن المعروف أن للإستاذ رأي في إعادة الروح للصلاة وأن المسلمين اليوم لا يصلون ، وكان كل النقاش يدور حول الصلاة ، وهي فكرة واسعة تحتاج إلى شرح طويل ولكن الكثيرين منهم كانوا يرفضون الشرح ويصيحون في وجهه (نحن فقط نريد أن نعرف أنت تصلي أم لا تصلي؟) ، كان يرد عليهم أن الأمر يحتاج إلى شرح ، إن كنتم تريدون أن تعرفوا الحقيقة ، فأهدوا وإستمعوا إلى الشرح ، وردوا عليه (لا نريد شرحاً نريد أن نعرف فقط ، أنت تصلي ، أم لا تصلي؟) . . فرد عليهم بتحد وحسم (لا أصلى ، ماذا تريدوا أن تفعلوا؟؟) ، ووقف بثبات ويديه على صدره ينظر إليهم ملياً ، فساد المكان صمت رهيب وعم الهدوء ، وعندها

واصل الأستاذ شرح موضوع الصلاة، وكان يقاطع بالتصفيق من المثقفين، والحضور الذين يظهرون إعجاباً كبيراً بتلك الشجاعة والذكاء السريع والإجابات الحاسمة على الأسئلة، مما يظهر ذكاء الأستاذ إزاء ضعف عقول وقلة ذكاء من كانوا يحاورونه... في هذه الفترة إرتفع توزيع مؤلفات الأستاذ محمود في بورتسودان، كما تبع ذلك زيادة عدد الذين إلتزموا الفكر الجمهوري، وكذلك عدد الأصدقاء الذين أصبحوا وشيكي إعتناق الفكرة، وبهذه الدرجة من الإقناع أصبحت بورتسودان مدينة صديقة تتلهف للإطلاع على الجديد من الكتب، ويتابع سكانها المحاضرات، أينما كانت وسيظهر ذلك في كتيبات (قضية بورتسودان)، كما سيجيء لاحقاً..

في مدينة الحصاحيصا قدم الأستاذ محاضرة في نادي الجزيرة، وبعد مضي قرابة نصف الساعة، بعد صلاة العشاء، تحرك بعض المتشددين من جامع مجاور بمظاهرة نحو النادي يكبرون ويهددون، ويصفون الأستاذ بالإلحاد، ويدعون للجهاد بأصوات هادرة وقد أوقف الأستاذ المحاضرة، وظل الجميع جلوساً على مقاعدهم، ودخل المتشددون المهرجون إلى النادي، وصعدوا فوق الحيطان وهم يحملون السيخ والعصى، وعندما بلغ الهرج قمته، إستدعى المسؤولون عن النادي البوليس وبمجرد وصول البوليس، هرب بعضهم وصمت البعض الآخر. فواصل الأستاذ المحاضرة وكان الأستاذ يقرأ لنا دائماً الآية الكريمة: ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ وَلَا أَذَىٰ وَلِنْ يَغْتَابُكُمْ يُؤَلِّمُكُمْ أَلَدَبَارَ ثُمَّ لَا يُضَرُّكُمْ﴾ (سورة آل عمران). وصول الوفد إلى مدينة الأبيض..

وصل وفد الأستاذ الطائف إلى مدينة الأبيض ، وقد سبقه بأيام ، وفد طليعي من الأخوان الجمهوريين للإتصال بالأندية الثقافية والمهنية للإعداد للمحاضرات مع الجمهوريين المقيمين بالأبيض ، وقد بدأ برنامج المحاضرات ، فور وصول وفد الأستاذ إلى المدينة . . عم النشاط الفكري مدينة الأبيض وهي مدينة نهمة لتلقي العلم والثقافة ، وقد شمل النشاط نادي الأعمال الحرة ، ونادى الممرضين ، ونادى السكة حديد . كما شمل نشاطه لقاءات بالمتقنين بالمدينة ، وكانت له جلسات خاصة معهم مثل الأطباء ، والمعلمين وموظفي السكة حديد ، شاركوا فيها بالحوار في قضايا السياسة ، والفكر والدين بحرية وحيوية ، وكان فيها إمتاع فكري للحضور ، اما إمتاعها بالنسبة لي شخصياً فكان لايقاس . .

1969 /5/23 الإعتداء على الأستاذ محمود..

نهاية الجولة كانت في مدينة الأبيض وفي يوم 1969 /5/23 قدم الأستاذ محاضرة في نادي السكة حديد بعنوان (لا إله إلا الله) ، وقد كان الحديث ممتعاً وقوياً عن الحرية الفردية المطلقة ، وضح ان الحرية لا تتحقق إلا بالتحرر من الخوف ، وكيف أن التحرر من الخوف يعني (لافاعل لكبير الأشياء ولاصغيرها إلا الله) وبذلك يتم التحرر من الخوف ، وتتحقق العبودية لله وحده ، وقد كان الحديث سامياً وممتعاً خلق بالناس في سماوات العرفان وقمم العلم ، في هذه اللحظة فوجئ الناس بدوي ضربة قوية على رأس الأستاذ ، من عصا غليظة وجهها له أحد الحضور من سكان المدينة ، جاء متخفياً من خلف الأستاذ ، إنهمر الدم غزيراً من رأسه وأسرعنا نحن الأخوات نحو المنصة ، وقد نهض الأستاذ مسرعاً والدم ينهمر بغزاره من الجانب الأيمن من رأسه ، وهو ينوي إستمرار

المحاضرة، قام جميع الحاضرون من مقاعدهم ونحن في غاية من الإنزعاج نحيط به وننادي بأصوات عالية (ابوي، ابوي)، والأستاذ يلف العمامة حول رأسه ويتحول لونها إلى أحمر وتمتلئ يديه بالدم، ومع ذلك ظل محتفظاً بإبتسامة هادئة، يطمئننا بقوله: (ماfish حاجة ماfish حاجة أنا كويس) أسرع إلى جواره وسقط الرجل الذي ضربه على الأرض، كان رجلاً طويل القامة، أسود اللون، متسخ الثياب، يضع على رأسه عمامة متسخة، وعلى قدميه حذاء بلاستيك أبيض متسخ أيضاً، وكنت أصبح في أعضاء الوفد لناخذ الأستاذ فوراً إلى الخرطوم... كل الناس كانوا في حالة من الإنزعاج وقد تدافعت الجموع على المنصة، وأخذ الأستاذ إلى المستشفى، وتبعه كل الحضور إلى هناك. كلما ينتشر الخبر في المدينة يتوجه الناس نحو المستشفى حتى إمتلأت بهم الشوارع، وعاشت الجموع قمة عالية من التعاطف والتوتر.

قام الطبيب المعالج بخياطة الجرح وقد رفض الأستاذ التخدير وتمت خياطة ثمانية غرز من غير بنج، وكان هذا امراً مدهشاً للكثيرين... حين أخذوه إلى المستشفى أمر بإعادتنا إلى المنزل، وفعلاً تم ذلك، ولكننا لم نستطع الصبر فأعادونا إلى المستشفى مرة أخرى لكي نطمئن عليه، ولم نستطع الدخول، بسبب الحشود الكبيرة التي كانت تتجمع أمام المستشفى أذكر أنني قد قضيت كل الليل في بكاء مرير، ولم أستطع أن أتمالك نفسي، فقد تأملت كثيراً لذلك الظلم والغدر، فكيف لرجل برىء يدعو إلى الله بالتي هي أحسن، وهو أعزل حتى من عصا يتوكأ عليها، أن يغدر به الحاقدون أعداء الإسلام في الحقيقة، باسم الإسلام.

بعد عودته إلى المنزل ، أخذنا ملابسه أنا وأسماء (الجلابية والعممة والشال) لتنظيفها من الدماء وقد كانت حمرة ومبتله بالدماء بصورة غريبة . . ما زلت أذكر كيف أن لون الماء في أرضية الحمام قد تحول إلى لون أحمر . . كلما نصب الماء على الملابس يتغير لون الماء إلى أحمر .

لم ينم الأستاذ في تلك الليلة ، والتي تلتها ، كان يشعر بصداع شديد وقد قضيت معظم الليل إلى جوار سريره . . كان يجلس في مصلاة وهو معصوب الرأس . وفي الأيام التي تلت تلك الحادثة ، لم يتناول أي طعام فقد كان لا يستطيع المضغ ، وكنت أصنع له مشروباً خفيفاً من عجين الذرة مع الشورية وبعض السوائل ، أعدده له في منزل أحد الجمهوريين في الأبيض ، والذي كان منزلة الوفد . . في اليوم الذي تلي الحادثة ، كان على موعد ليحاضر في مدينة بارا وقرر الذهاب ، وتوصلنا إليه ألا يذهب ، وفي النهاية تقرر أن تقوم المحاضرة إلزاماً بالوعد مع أهل بارا ، وفعلاً سافر كل الوفد إلى بارا وبقيت أنا معه في الأبيض ، أقوم بخدمته وقد أقام المحاضرة بدلاً عنه أحد الجمهوريين من أعضاء الوفد ، وعند عودتهم من بارا ، في اليوم التالي ، تحدثوا عن كثرة عدد الحضور ، وعن حجم الإدانة لحادث الإعتداء . .

في يوم 25 مايو تمكن من إقامة محاضرة في نادي الأعمال الحرة بالأبيض وهو معصوب الرأس ، وقد كنت في أثناء المحاضرة في غاية الإنزعاج أراقب كل الذين يقفون بالقرب منه أو من يقترب من المنصة وأتوقع إعتداء جديداً بين كل لحظة والأخرى ، منذ ذلك اليوم دخل حياتنا عنصر جديد ، وبدأ يتأكد عندي أن حياته ليست في مأمن من خصومه الدينيين والسياسيين فأنهم يتربصون به . . ولكن إيمانه

بالله كان أقوى من مخاوفي، ومن غدر الأعداء، ففي أثناء المحاضرة كنت حين أنظر في وجهه تتبدد مخاوفي، فإن وجهه يشع بإيمان وهدوء شديدين. . تحدث في تلك الندوة بهدوء، تبرق عيناه حين يتلو الآيات القرآنية، وهو معصوب الرأس، وقد كان لذلك الموقف صدى كبير في أوساط المواطنين في المدينة، وفي صباح اليوم التالي سمعنا بالإنقلاب العسكري (25 مايو 1969). وقد كان الناس في المدينة يقولون أن الله قد إنتقم للأستاذ بذلك الإنقلاب. .

عاد الوفد من الأبيض إلى مدينة ودمدنى، في طريقه إلى الخرطوم وفي اليوم التالي بدأت الإجتماعات في منازل بعض الأخوان بمدنى، فأقيمت جلسه كبيرة لتقييم الموقف السياسي، والموقف من الإنقلاب الجديد، وقد تم نقاش واسع شارك فيه عدد كبير من الحضور، وقد خلص الإجتماع إلى أن الجمهوريين دعاة ديمقراطية ولا يؤيدون الحكومات الدكتاتورية، ولكن الوضع الحزبي متردي في البلاد وأن الأحزاب الطائفية تضلل الناس بأسم الدين، ولذلك نحن في الوقت الحالي لن نعارض هذا الوضع، كما أننا لانعمل في مساندته، فقط نكتفي بالتأييد السلبي ولا نؤيده تأييداً مباشراً لأننا لانقبل الحكم العسكري. سنظل مراقبين ونطالب بالمنابر الحرة لتمكن من طرح البديل الذي يقوم عليه مستقبل الحكم والديمقراطية في البلاد. . لن نقف من الوضع موقفاً إيجابياً إلا إذا حاولت الطائفية الإطاحة به ذلك كان الموقف من إنقلاب مايو 1969 في أول أيامه. .

1969 محاكمة الرجل الذي إعتدى بالضرب على الأستاذ في مدينة الأبيض:-

كان قد تم فتح بلاغ ضد الرجل الذي إعتدى على الأستاذ في الأبيض وقد قُدم للمحاكمة. . إترف الرجل للمحكمة بأنه قد حرض من قبل بعض جماعة

الأخوان المسلمين، الذين كانوا يتابعون المحاضرات ويثيرون الشغب فيها ليضرب الأستاذ، وأعترف أيضا بأنه قد أشير عليه بضرب الأستاذ في مؤخرة رأسه من الخلف، ولكن وجود الناس دائماً خلف الأستاذ لم يمكنه من ذلك، وعندما لم يجد سبيلاً، قال انه ضربه في رأسه من ناحية وجهه من الأمام. . وقد ظهر للمحكمة أن الرجل يعاني من نوبات عصبية، ولهذا السبب يبدو أن تلك المجموعة قد إستغلت لتلك المهمة. . حتى لا تكون هناك مسؤولية على أحد ولكن ثبت للمحكمة أن تلك الحالة لا تربو إلى حد إعفائه من المسؤولية القانونية لذلك أدانت المحكمة المتهم، وقد عفا الأستاذ عنه وأرسل عفوه كتابة عن المعتدي، وقد كاتبته المحكمة أن العفو غير ممكن، وفيما يلي المكاتبات التي جرت بينهم والتي اوضح فيها الأستاذ للقضاء أن التنازل عن حقه ممكن:

(السيد / محمود محمد طه

ص. ب: 1151 أم درمان

بالإشارة إلى خطابكم بتاريخ 22 / 3 / 1970م - أن التنازل في مثل جريمة المادة 127 أ لا يقبل، ولقد سبق أن أخطرنا بذلك حكمدار بوليس الأبيض .

خطاب المحامي العام في 30 / 4 / 1970م بخصوص التنازل

التوقيع :

صديق عبد الحليم

وكيل نيابة مديرية الخرطوم)

(السيد الوكيل :

موضوع هذا البلاغ هو التعدي بالضرب على السيد محمود محمد طه أثناء إلقائه لمحاضرة في نادي العمال بالأبيض بتاريخ 23 / 5 / 1969 ، وقد وجهت للمتهم الذي ضرب السيد محمود تهم بموجب المواد 127/أ ، 277 ، 279 و283 من قانون العقوبات .

الآن طلب السيد محمود شطب البلاغ ضد المتهم لأنه هو محور الشكوى . . وهو يتنازل عن حقه في القصاص ولكن السيد قاضي الجنايات بالأبيض يصر على أن يمثل السيد محمود أمام المحكمة والسيد محمود لا يريد السفر ولا يرى جدوى من القضية .

ورأيت أن يطلب من السيد قاضي الجنايات مراعاة ذلك ، لأن القضية يمكن أن تحكم دون الإستماع إلى أقوال السيد محمود وهي غير مفيدة لأنه يقول أنه لم يتبين شكل المتهم ولا يعرفه بل شعر بضربة على رأسه أنظر ص 1 من يومية التحرى .

ويبدو أن السيد القاضي مُصر على أن يمثل السيد محمود أمام المحكمة أزاء ذلك الإصرار طلب منا السيد ميرغني النصري المحامي نيابة عن الأستاذ محمود إستعمال سلطة سحب البلاغ . ولكنني كما سبق أن ذكرت أن لإستعمال السلطات بموجب المادة 231 / 1 من قانون التحقيق ، لا يجب أن يتم إجراءً روتينياً ولا بد من مراعاة الصالح العام أولاً ، ولكن السيد النصري غير مقتنع بهذا الرأي .

وفي تصوري أننا يمكن أن نوجه السيد وكيل نيابة كردفان ، إلى أن ينتهج واحداً من سبيلين :-

إما :

(1) أن يطلب من المحكمة ، السير في القضية وإدانة المتهم وهو معترف دون إجبار السيد محمود على الحضور . أو :

(2) أن يطلب من المحكمة حفظ البلاغ لأن القصد الجنائي لم يكن متوفراً ، نسبة لأن المتهم يعاني من مرض الصرع ، وقد ذكر الطبيب أن المتهم ظل يصاب بنوبة ، أو نوبتين في الشهر (ص4 من يومية التحري) ولكن ليست هناك بيئة في رأي الطبيب تشير إلى أن المتهم في حالة هيجان العاطفة الدينية ، إذ سمع أن السيد محمود ضال ومضل والتطرف الديني في حد ذاته ضرب من ضروب الأمراض العصبية لأن الإنسان يكون غالباً في حالة غير طبيعية .

(3) عليه أرفع الأوراق لسعادتكم لإتخاذ ما ترونه مناسباً . وشكراً .

خلف الله الرشيد

المحامي العام

(30/4/1970م)

كتب الأستاذ لجهة قضائيه عليا موضحاً ، بأن لهذه القضية جانبان جانب يخص الدولة وجانب يخصه هو ، أما هو فقد عفى حقه ، ويمكن للدولة أن تأخذ حقها ، وقد تم ذلك مما خفف الحكم على المتهم . أورد فيما يلي نص الخطاب الذي كتبه مخاطباً السيد/ ميرغني النصري المحامي ليشرح الأمر لنيابة الأبيض :-

(عزيزى ميرغني . .)

تحية طيبة ، ،

لقد أعلم أن التنازل لا يعفى الجاني من العقوبة ، لأن المجني عليه طرفان :
شخصي الضعيف ، وتنازلي يقبل ، ولكنه لا يتعداني ليسقط حق المجتمع على
الجاني حين جنى ولذلك فإنه يطالب به ، ويعاقب عليه ، وتنازلي يعتبر من
العوامل المخففة عليه . . ولا يمكن أن يكون هناك قانون يمنع التنازل ، لأن العفو
فوق القصاص ، عقلاً ، وقانوناً ، وديناً .

يهمني في هذا الأمر شيان :

(1) أن يكون تنازلي مفيداً للجاني في تخفيف العقوبة عليه .

(2) ألا أحتاج لأتنازل أن أسافر إلى الأبيض . .

وأريدك أن تتكرم بأن تمكّني من هذين الأمرين معاً ، بأي صورة تراها مع

مزيد شكري

المخلص

محمود محمد طه (

وكانت تلك لمحة من قلب لا يعرف الانتقام ولا الضغينة ، ونسبة لتكرار لمثل
هذه الحوادث قال له احد الأصدقاء : (يا أستاذ والله بعد ذلك من الأحسن أن
تسعى ليك مسدس) ، قال له الأستاذ : لماذا؟ ، قال له الرجل : لتحمي حياتك ،
فرد عليه الأستاذ : (أنا أحب أن أقتل ولا أقتل) . !

1970 زيارة أبو حراز ومواقع السادة العركيين:-

في هذا العام أيضا جهز الأستاذ وفداً كبير إلى قرية أبي حراز في منطقة الجزيرة وهي من البقع الدينية الكبيرة ومركز السادة العركيين الأول في السودان . وقد قامت هذه الزيارة بدعوة كريمة من الشيخ عبد الرحيم محمد يونس ، خليفة السجادة العركية وبعد قبول الدعوة كتب الأستاذ محمود خطاباً للسيد عبد الرحيم محمد يونس ، أورد نصه فيما يلي :

(أم درمان في 12 / 11 / 1970)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً . . وبعد فيلى أبي المكارم سليل الأولياء الشيخ عبد الرحيم محمد يونس ، أدام الله ، تأييده ومدده ونفع به البلاد والعباد . . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . ثم أن دعوتكم الكريمة التي تفضلتم بتوجيهها لي والأخوان أبان زيارتنا لكم الأخيرة بأن نقضى ليلة في بقعتكم المباركة ، التي مشى فيها الهدى بك وبأبائك الصالحين الميامين قد سرتنا غاية السرور ورأينا أن تكون تلك الليلة هي ليلة عيد الفطر المبارك في هذا العام ، وإنا لنرجو ببركتكم وبركة آبائك شايب الخيرات ونوامي البركات ، وسوايغ الإمدادات ، سنكون عندكم بعون الله تعالى يوم وقفة العيد ، وسيكون عددنا حوالي المئة ، من هذا العدد خمسة عشرة امرأة ، ثم إنا لنرجو أن يكون الأذن معنا في البدء بزيارة آبائك الصالحين ابتداءً من الشيخ يوسف ، قبل أن نصل إلى منازلكم العامرة .

هذا ودمتم في حفظ الله وفي تمام عافيتي الدين والدنيا .

المخلص

محمود حمد طه

سبقت هذا الوفد زيارات تمهيدية من بعض الأفراد الجمهوريين الذين بعثهم الأستاذ للإعداد لتلك الزيارة ، وقد كتب خطابات لكبار العركيين مثل الشيخ يوسف أب شراً ، الذي عرف بتقواه وصلاحه ، والشيخ دفع الله ، وقد طلب أن توضع تلك الرسائل داخل أضرحتهم وقد طلب مني الأستاذ أن أكتب أحدها وفعلاً كتبت نموذجاً لم يرض عنه وعلق على خطابي (كأنك تكتين خطاباً إلى شيخ الحارة) وأعاد كتابته بنفسه يجد القارئ ادناه نموذجاً من تلك الخطابات:

(أم درمان 12 / 11 / 1970)

بسم الله الرحمن الرحيم ،

والحمد لله القديم وبعد ، فإلى حضرة الولي ، الدال على الله بحاله ومقاله ،
الشيخ عبد الله ابن الشيخ دفع الله العركي . .
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . .

ثم أن ابنكم ، وخليفكم ، الشيخ عبد الرحيم الشيخ محمد يونس ، قد وجه إلينا دعوة كريمة بزيارة بقعتكم المباركة (أنا والأخوان) لنمضي فيها ليلة . . وقد سرتنا هذه الدعوة . . وقدردنا أننا سنستطيع إجابتها ليلة عيد الفطر المبارك ، حتى نتمكن من إجابتها بتلك الأرض التي تحمل آثاركم وآثار الميامين من آبائكم الصالحين ، فتعرض بذلك لنفحات الخير ، والبر ، إننا سنكون ضيوفكم ، حساً ومعنى . . وهذا يكفي . . ويطيب لى ، في هذا المقام ، أن أذكرك برحم روحية قديمة ، لا بد أنها عندك في مقام تمام الرعاية ، وحسن الصلة ، وتلك هي رحم الولي المرشد ، الشيخ عبد الرحمن ابن جابر . .

إن ما نحن بصددده (أنا والأخوان) هو ما أنفقتم حياتكم النافعة في سبيله . .
ونحن نعتقد أنا مهتدون ، ونعتقد أنا مخلصون . وأنتم اليوم في دار حق ، ونحن في
دار باطل ، فإن علمتم ، بما أعلمكم الله ، إنا غير مهتدين ، أو إنا غير مخلصين ،
فإننا لنرجو أن يتم الله نقص هدايتنا ، أو نقص إخلاصنا ، أو كليهما ، بجاهكم
وبركتكم ، وبجاه وبركة كل عبد صالح من العرش إلى الفرش . . إنه سميع
مجيب . .

هذا والله المسؤول أن ينصر الحق ، وأن ينصره بنا ، وأن يفتح علينا الفتح
الأكبر ببركة زيارتكم هذه ، فإننا نبتغي وراءها مرضاة الله . . لاسمعة ، ولا رياء ،
ولا تشوقاً . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

المخلص

محمود محمد طه

ثم كتب خطاباً آخرّاً إلى الشيخ دفع الله بن الشيخ إدريس

(أمدردمان في 12 / 11 / 1970)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . . وبعد ، ،

إلى الولي مرشد الأولياء ، وهادي الصالحين إلى طريق رب العالمين من أحياء
طريق أبي صالح الجيلي ، في البلاد وهدى به إلى سبل السداد . . صاحب علم
الظاهر والباطن الشيخ دفع الله ابن الشيخ إدريس العركي قدس الله سره . .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . .

ثم أن إنكم وخليفتكم ، حفظه الله ، الشيخ عبد الرحيم الشيخ محمد يونس قد طلب إلينا (أنا والأخوان) في زيارتنا الأخيرة له أن نعود فنمضي ليلة في بقعتكم المباركة فسررنا لهذه الدعوة الكريمة ، وقررنا إن شاء الله تليبيتها ، ليلة عيد الفطر المبارك نحيتها في تلك الأرض التي تمشي فيها هدى القرآن ، والسنة المطهرة ، ولا يزال بركتكم يتمشى ، وإنا لنرجو بركة إحياء تلك الليلة عندكم ، ويزيد رجاء قلوبنا إنا سنكون ضيوفكم حساً ومعنى . .

أن ما ندبنا أنفسنا للقيام به ، ومنذ حين من الدهر ، هو ما ظللت أنت وتلاميذك ، وأبنائك الصالحون يعملون له خلال حياتكم المباركة . . ونحن نتوخي ، ونجتهد ، أن نكون محقين ، فيما نقول وفيما نعمل ونجتهد أن تكون نيتنا خالصه لله . . ولا نأمن على أنفسنا الضلال ، ولا نأمن عليها أن تكون مدخولة النية غير مخلصه ، ونحن في دار باطل وأنتم اليوم في دار حق ، فإن علمتم نقصاً في حالتنا ، من حيث الهداية أو من حيث الإخلاص ، فإننا نرجو أن تتوجهوا معنا إلى الله تبارك وتعالى أن يتمم نقصنا بركة زيارتنا هذه لكم وهي زيارة لا سمعة فيها ولا رياء ، وإنما نتوخي فيها وجه الله تبارك وتعالى .

ثم أننا نتوجه لله تبارك وتعالى أن يبعث في نصره حقنا ، كل عبد صالح من العرش إلى الفرش . . إننا لنرجو فيوضات البركات ، بفضل الله ، ثم بفضل أنا سنكون ضيوفكم في تلك الليلة المباركة ، وفي الختام فإنني أحمد الله لك ، كما حمدته في البدء . .

المخلص

محمود محمد طه

وقد تبع هذا الخطاب خطاباً آخر إلى الشيخ يوسف الملقب (بالشيخ يوسف
أب شرا) هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعم المتفضل . . وبعد .

فإلى صاحب المكارم ، والكرامات ، والفيوضات ، والبركات ، سليل
الأولياء ، ووالد الأولياء ، الشيخ يوسف ابن الشيخ محمد الطريفي العركي ، قدس
الله سره ، وأدام نفحاته . .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . .

ثم إننا قد تلقينا دعوة من إبنكم وخليفكم الشيخ عبد الرحيم محمد يونس ،
أدام الله تأييده ، في زيارتنا الأخيرة له ، بأن نزور بقعتكم المباركة ، ونمضي فيها
ليلة (أنا والأخوان) ، وقد سررنا لهذه الدعوة الكريمة ، غاية السرور ، وقررنا
تليبيتها في ليلة عيد الفطر المبارك ، لنحي تلك الليلة المباركة ، في تلك الربوع التي
عمتها أنوار آبائك ، وأنوارك ، وأنوار أبنائك من بعدك ، والتي لا يزال ضريحك
الميمون ، يشع فيها الهدى ، والبركة ، والطمأنينة . . أدام الله خيرك ويمنكم . .

ثم إنني والأخوان ظللنا ، ولأنزال ندعو إلى سبيل الله ، ونجتهد لا نألو ، أن
نكون محقين في الحق وأن نكون على نهج الإخلاص والصدق . فإن كنت تعلم إننا
كذلك فإننا نطلب إليك أن تهب في نصرتنا ، فأنتك ما علمنا فزاع ، وفياض
بالبركة ، والنصرة ، والتأييد . . وإن كنت تعلم أنا غير ذلك فإننا نرجو ببركة

زيارتنا هذه لكم، أن يتم الله نقص حقنا، ونقص إخلاصنا، ثم إنا في ذلك نطلب إليك أن تهب في النصر والمراغمة للأعداء .

إننا لنترجو الله، وبركتكم، وبركة زيارتنا هذه المخلصة لك، ولأبائك، أن ينصر بنا الحق، نصراً مؤزراً، وأن يفتح علينا الفتح الأكبر المبين، وأن يبعث في نصرتنا كل عبد صالح في الملاء الأعلى، وفي الملاء الأسفل، إنه سميع مجيب، قريب . .

وفي الختام، فإني لأحمد لك الله، كما حمدته في البدء .

المخلص

محمود محمد طه).

تم إرسال هذه الخطابات قبل أيام من قيام الوفد إلى أبي حراز ووضعت على أصرحة المشايخ، وقد حكى أحد الأخوان أنه رأى في منامه يداً تمتد وتعطيه رداً بالقبول .

تحرك الوفد من مدينة ودمدني بعدد من البصات التي إستأجرت لهذا الغرض، متجهه نحو الشاطئ، لتعبر للشاطئ الآخر . شمل هذا الوفد كسابقه عدداً من الأخوات والأخوان بينهم كبار السن والأطفال وبعض أصدقاء الفكر الجمهوري من الشيوخ، تحرك الوفد بعد صلاة المغرب وكان من المخطط له أن يصل إلى مكان البنطون (العبرة) في مدة ربع ساعة، ولكن البصات ضلت الطريق وأخذت طريقاً عكس الطريق الذي يؤدي إلى بنطون أبي حراز، وتوقفت البصات

عن السير للتشاور في أمر الطريق وأنتظرنا من يقودنا إلى مكان البنطون ، وجلس البعض على الأرض وكان الليل مقمراً ، وفي مثل هذه اللحظات يتحلق الناس حول الأستاذ ويدور حديث مثير وذو مغزى فقال الأستاذ: (يبدو أن هناك بعض المعارضة الروحية من بعض هؤلاء المشايخ لزيارتنا لأماكنهم) ، وقد وجهنا بتوجيه عزائمتنا الروحية لازاحة تلك المعارضة حتى تتم الزيارة ، ومن ضمن تلك الأحاديث قال أن الناس في السابق كانوا يهتدون إلى الطرق بمواقع النجوم ولذلك كانوا يعرفون طرقهم ليلاً في الصحراء

بعد فترة إستطاع سائقو البصات من الإهتداء إلى الطريق ، ووصلنا إلى مكان البنطون وكانت العربات من الشاطئء الآخر توجه أنوارها نحونا وتحرك بنا البنطون بدور خاص في الساعة الواحدة ليلاً ، وقابلنا أهل أبى حراز بترحاب ، وتقدموا جمعنا إلى داخل ديارهم ، حيث بدأت الزيارة بزيارة أضرحة المشايخ وفي مقدمتهم إمامهم الشيخ يوسف أب شراً ، ودخل الضيوف جميع القباب والأضرحة وكانت الزيارة تتم مع الذكر بأسم الله المفرد ، الذي طالما كان فاتحة لجلسات الفكر الجمهوري وصحبونا إلى مكان الضيافة ، حيث أقيمت جلسة كبيرة شارك فيها ، الجمهوريون بالإنشاد والمنشدون من أتباع الطريقة القادرية العركية . . وقضى جمعنا الليل النساء في جناح النساء ، والرجال في منازل الرجال وأيضاً في المنازل المجاورة للمسجد . . وكان الصباح على نفس النهج ثم عاد الوفد إلى ودمدني ومنها إلى الخرطوم . .

في نفس هذا العام 1970م أصدر كتاب (أسئلة وأجوبة) الكتاب الأول .
كما كتب كتاب (القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري) ، وقد كان ردّاً على

كتاب أصدره الكاتب المصري الدكتور مصطفى محمود تحت عنوان (القرآن محاولة لفهم عصري)، وقد حاول مصطفى محمود تفسير القرآن بصورة تشبه إيراد الخواطر، وفي جزء من هذا الكتاب، قال الدكتور مصطفى محمود أنه قد تأثر بكتابات الكاتب السوداني محمود محمد طه، وأهدى نسخة من هذا الكتاب بخط يده للأستاذ...

بدأ الأستاذ محمود، الرد على الدكتور مصطفى محمود بالإجابة على أسئلة وجهتها له، صحيفة الأضواء السودانية بخصوص كتاب مصطفى محمود هذا، وأعقب ذلك الرد بكتاب (القرآن ومصطفى محمود) أعلاه... وقد أملا عليّ ذلك الكتاب، ففي إحدى الإجازات كنت أجلس إلى جواره على كرسى أمامه تربيته مستديرة، وكان يملئ على وأنا أكتب ما يمليه، كان يتوخى الدقة في الكتابة، فمثلاً كان يطلب مني أن أفتح قوس ثم أكتب نص مصطفى محمود، ثم أقفل القوس، وأكتب عبارة إنتهى بعد القوس، وبعدها نكتب الرد، وكان يدقق كثيراً في صحة النص القرآني، فكلما وردت آية كنا نتأكد من صحتها من المصحف، ثم نكتبها... كان الكتاب الرد، ممتعاً، كان عندما يورد نص مصطفى محمود لا أرى فيه شيئاً غريباً، ولكن عندما يورد الأستاذ الرد على النص، أشعر بضعف رأي مصطفى محمود وقد استطاع ذلك الكتاب أن يظهر الضعف الفكري لمصطفى محمود، فقد أكد الأستاذ أن الدين يقوم على الممارسة والتطبيق الفعلي في قوله: (وحقيقة القرآن لا تعرف عن طريق القراءة، وإنما تعرف عن طريق الممارسة في تقليد المعصوم عبادة وسلوكاً وهو ماسمي في أخريات الأيام "بالتصوف"... فهل عند مصطفى محمود قدم في التصوف؟ لا ولا كرامه!!)⁽³⁾

(3) أنظر كتاب (مصطفى محمود محاولة لفهم عصري للقرآن) بقلم محمود محمد طه .

وقد لقي ذلك الكتاب رواجاً كبيراً وإقبالاً من قبل المثقفين . . أذكر أن الأستاذ كان مهتماً برأي مصطفى محمود في الكتاب الرد، وكان يطلب من الجمهوريين المسافرين إلى القاهرة، السعي لمقابلة مصطفى محمود، وقد قابله البعض فعلاً، وقد ظهر في تلك المقابلات، أنه غير مرتاح للرد عليه، وكان يقول: (الأستاذ محمود شتمني، وقال "أن ليس لي قدم في التصوف")، وكان نتيجة لغضبه من الرد على كتابه، أن حذف من الطبعة الثانية لكتابه، الشاء على الأستاذ الذي كتبه في الطبعة الأولى والتي قال فيها أنه تأثر بكتابات الأستاذ محمود.

مساواة النساء مع الرجال :-

في العام 1970 أدخل موضوع تحسين أوضاع المرأة حيز التنفيذ، وقد طرح في إجماعات الجمهوريين، مشروع للزواج، يقوم على أحسن نصوص الشريعة، يؤسس قانوناً لعلاقات الزواج بين النساء والرجال، تمنح فيه المرأة حقوق كرامة نظير تنازلها عن بعض الأشياء المادية، على غير المعهود في علاقات الزواج القائمة في المجتمع . . فقد كان من المتعارف عليه أن الرجل يطلب المرأة من أهلها، وبعد أن تتم الموافقة تبدأ إجراءات الزواج، بأن يدفع الرجل المهر، ويقوم بكل نفقات وإلتزامات الزواج، مثل ملابس الزوجة، وتقديم الشبكة والجهاز، ثم ينقلها إلى مكان الزوجية الذي يختاره وهي ليس لها أى دور في هذه الإجراءات، وإذا لم ترق له الزوجة يطلقها أو يتزوج عليها (مثنى وثلاث ورباع) وقد استغل البعض هذه الرخصة كلما يبلغ عدد الزوجات اربعة يتخلص من واحد بالطلاق ويتزوج اخرى وهكذا . . وقد ناقش الجمهوريون ذلك الوضع بتفصيل وكل قوانين الأحوال الشخصية، في جلسات عامة متعددة . . تمخضت الدراسة عن إصدار

كتيب ينظم هذه العلاقة ، بحيث يكون للمرأة وجود في الزواج وحقوق كرامة ، مقابل تنازلها عن المهر المادى وتوابعه من شيله وملابس الخ . . ويكون هناك مهر رمزى فقط للاحتفاظ بركن الشريعة حدد له مبلغ جنيها واحداً . فى مقابل هذا التنازل لها حق مشاركته فى العصمة (حق الطلاق عن طريق التفويض) ، كما لها حق ألا يعدد عليها ، ويتم ذلك إذا اتضح للحكمين والقاضي أنها متضررة ، كما أن أمر حضانة الأطفال يمكن أن تكون للأفضل منهما . ضمنت هذه الحقوق في كتاب سمي (خطوة نحو الزواج في الإسلام) كل هذه الحقوق مدعمة من الشريعة (راجع كتاب الأحوال الشخصية لمعوض محمد مصطفى سرحان) وسيرد ذلك مفصلاً في الفصل الخامس ، (مجتمع الأخوات الجمهوريات) . وأكد الأستاذ محمود هذا المشروع نقدمه للمجتمع السوداني ، وهو ليس زواج الجمهوريين ، وإنما لعامة الشعب ، وزواج الجمهوريين سيقوم على حقوق أكثر للمرأة ، بان يكون لها حق العصمة بالأصالة (ليس عن طريق التفويض) وكذلك شرط عدم التعدد والشراكة فى كل مناشط الحياة ، ضمنت هذه الحقوق فيما بعد في كتاب (تطوير شريعة الأحوال الشخصية) .

1971 زيارة منطقة الهالالية والمندرة ومواقع الصادق قاب:-

كما ورد سابقاً درج الأستاذ في كثير من الأحيان على زيارة الصالحين ورجال الدين الذين أدوا دوراً في نشر الدين ، وخدمة المواطنين ، في السودان ، وفي هذا العام أعد الأستاذ وفداً كبيراً من الأخوات والأخوان ، متجهاً نحو الشرق إلى منطقة الهالالية والمندرة ، وهذه منطقة مشيخة الصادق قاب فقد كانت الزيارة بدعوة كريمة ، من الشيخ الطيب الشيخ على المرين ، خليفة الصادق قاب . وصل الوفد إلى

الهلالية في مساء الخميس 30 ديسمبر 1971، شمل الوفد عدداً كبيراً من الأخوات والأخوان الجمهوريين وكذلك عدداً أكبر من الأطفال، وقد كان في إستقبال الوفد الشيخ الطيب وعدد من رجالات الطريقة والأعيان، وفي مساء نفس اليوم عقدت ندوة كبيرة في مسيد الشيخ الطيب . .

نزل الأستاذ والأخوان في الجزء المخصص للرجال، في المسيد، كما نزلت الأخوات في الجزء من المنزل المخصص للنساء، حيث زوجة الشيخ وأسرته، وقد أحاطوا الوفد، بالكرم، والترحاب، في الصباح أقيمت حلقات الذكر والإنشاد شارك في هذه الجلسات، المنشدين الجمهوريين، إلى جانب المنشدين من أتباع الشيخ الطيب، ولا يفوتني أن أذكر أن مشاركة الأخوات في الوفد، قد أثارت الدهشة في البعض وإعجاب القليلين، وقد لاحظت أن مشاركة الأخوات قد شجعت بعض النسوة، من أهل المنطقة، لحضور حلقات الذكر والإنشاد، وقام الوفد بزيارة عدد من الأضرحة، منها ضريح الشيخ أب سقره، ومسيد خليفة الشيخ الطيب ود أب صباح، وفي كل هذه الزيارات كانت تعقد حلقات الذكر، والإنشاد، وتتجمع حولها جموع المواطنين المتعلقين بالإنشاد . . بعد نهاية زيارة الهلالية تحرك الوفد في عصر ذلك اليوم 31 ديسمبر 1971، متجهاً إلى المنذرة لزيارة ضريح الشيخ محمد ابن عبد الصادق الملقب بالهميم، شيخ الصادق، الذي كان يقيم في تلك المنطقة التي هجرها الناس الآن، ولم يبق فيها غير الأضرحة والمزارات، وقد قال لي الأستاذ أنها كانت عامرة في عهده، وعهد من تبعوه من أبنائه، ولكن هجرها الناس حين داهمتهم ظروف الحياة القاسية، الجفاف وشح سبل العيش . . قضى الجمهوريون طوال الليل في تلك المنطقة

الخلوية ، حيث نصبوا الخيام وأوقدوا النار ، وقد خصص جانب من الخيام للأخوات ، وجانب آخر للأخوان ، كان ذلك في فصل الشتاء ، وقد كان البرد شديداً فأوقدوا ناراً كبيرة وأقاموا حولها الذكر والإنشاد ، وقد شارك معهم شيوخ ومنشدي تلك المنطقة ، كما قاموا بزيارة كل الأضرحة والمقامات في المنطقة . .

لم ينم الأستاذ تلك الليلة وقضى معظم الوقت واقفاً ينظر في الأفق ، ويتأمل ويتجول وكأنه يقوم بحراسة المعسكر بنفسه . . . عندما أخرج إليه من مخيم الأخوات يسألني عن أحوالهن ، وعن الأطفال وكبار السن ثم يطلب مني العودة لمكاني لأخذ بعض الراحة ، وكأنه يريدني أن أتركه منفرداً . . . معظم الناس كانوا يرتدون ملابس ثقيلة إلا الأستاذ ، كان في ملابسه القطنية المعتادة ، ولم يبدو عليه تأثير البرد ، وقد كنت ألبس ملابس ثقيلة ، مع ذلك كنت أشعر ببرد شديد فشكوت له فقال لي مازحاً : (كل شخص ربنا بديهو برد قدر ملابسه) ، تلك حقيقة لاحظتها في المشردين الذين لا مأوى لهم ، ولا ملابس تقيهم البرد ، ومع ذلك تراهم أصحاء

أقام الجميع صلاة الفجر جماعة ، بعد أن قاموا ليلاً عامراً في ذلك المكان الهادي العالي الروحانية . . . في الصباح الباكر والشمس ترسل أشعتها على الأرض ، أنزل الأخوان الخيام ، وجمعوا كل الأمتعة والأشياء التي أتوا بها ، وتوجه الوفد الكبير عائداً من حيث أتى . . بعد العودة أقيمت عدة جلسات عامة ، سمع فيها الأستاذ وجميع ممن لم يتمكنوا من المشاركة في الوفد ، والذين شاركوا سمعوا فيها الإنطباعات المفصلة ، عن زيارات مواقع الصادق ، القادرية ، والعركيين وقد خلصت تلك الجلسات إلى أن ماضي الصوفية الصادقين الذين هدوا الناس إلى

طريق الحق ، وهم زاهدون في دنياهم ، هم التاريخ الحقيقي للدين ، وهم تراث الفكر الديني الصحيح الذي تمثله اليوم الفكرة الجمهورية . .

1973 تدهور صحة مربيته ربي جود محمود:-

كما ورد في تاريخ الأسرة في الفصل الأول ، منذ حياة والديه ، وبعد وفاتهم ، ظلت مربيته ربي جود رمزاً للأومة ، ومركز قوة في الأسرة ، وقد إمتد سلطانها على الأسرة عبر ثلاثة أجيال ، كما ظلت تباشر جميع الأعمال المنزلية لفترة طويلة من الزمن . . . كان يضع لها الأستاذ إعتباراً خاصاً ومكانة كبيرة ، فقد كانت في طفولتهم تقوم برعايتهم وبأعمال الزراعة ، وحصاد المحصول ، وتكسب من ذلك المال الذي تنفقه عليهم ، ولعل نوع هذا العمل أكسبها شخصية قوية ، متميزة وقد قال عنها الأستاذ أنها في شبابها كانت قوية وجميلة ، وتقدم لها الكثيرون من الخطاب طلباً للزواج منها ، ولكنها رفضتهم جميعاً لتتفرغ لتربيتهم ، وقد حفظوا لها جميعاً هذا الإخلاص ، وعندما هاجر الأبناء من القرية إلى المدينة ، من أجل التعليم هاجرت معهم إلى المدينة ، وكانت أيضاً تنزل معهم إلى القرية في موسم الزراعة كما كانوا يفعلون ، لمواصلة الزراعة لجمع المال للعيش ، والدراسة في مواسم الجفاف ، وعندما دخل الأستاذ الحياة العملية ، كانت تقوم بأعمال الطهي وإدارة المنزل ، وقد رافقته وزوجته ، في أثناء فترة عمله كمهندس في السكة حديد إلى كل المدن التي سافر إليها . . . وكذلك سافرت معهم إلى أسمر ، حين كان يعمل في مشروع على قدر الزراعي ، وكان لها كثير من القصص الممتعة عن أسفارها معه . . وعندما إستقر في أمدرمان كذلك إستقرت معه وفي أواخر الستينيات عندما كان يعمل مهندساً في المشاريع الزراعية ، كان يتركها على رأس

الأسرة ترعى الجميع ، وقد كنا وقتها طلبة في مراحل الأساس ، أذكر أنه كلما يطرق الباب طارق ، في منتصف الليل يشعر الجميع بالفرع ، كانت تخرج هي لتعرف من الطارق ، ففي تلك الفترة أيضاً كانت تقوم بدور الأم والأب في الأسرة ، وكانت كل الأمهات يحفظن لها هذا الدور في الأسرة . . وكان الجميع من كبار السن والصغار يدعونها بلقب (أمي ربي جود) ، ولا يستطيع أحد أن يذكر إسمها مجرداً وألا أبدي الأستاذ عدم رضائه عنه . . . كانت كما رأيناها طويلة ممتلئة القامة نوعاً ما ، شديدة السمرة قوية البنية واضحة المعالم ، جادة في طبعها نشطة تعمل طوال الوقت ، قليلة الإبتسام ومع ذلك تتمتع بعاطفة عملية ، تحمل الأطفال على يدها ، وتحفف دموع كل من يبكي منهم ، وتسرع لإنقاذ كل من يصاب بأذى ، كانت في أوقات فراغها في العصريات تجلس لتناول القهوة التي تعدها بنفسها وأفراد الأسرة يلتفون حولها ، تحكي لهم القصص والحكايات عن شبابها وطفولة الاستاذواخوته .

في مطلع السبعينيات أصبحت ربي جود أكثر عجزاً عن القيام بالأعمال التي كانت تقوم بها ، وفي صباح يوم من عام 1973م ، لم تستطع حمل كوب الشاي في يدها وعلم الأستاذ بذلك فهرع من غرفته مسرعاً إليها ، ولاحظ أن هناك عجزاً في قدمها اليسرى ، وفي نطقها أيضاً فأدرك أنها قد أصيبت بالشلل ، ثم نقلها إلى المستشفى ، حيث بقيت هناك عدة أيام ، ووضعت تحت علاج متواصل ، وقد أشرف الأستاذ على ذلك العلاج بنفسه وأصبحت أمنا ربي جود في حاجة إلى الرعاية ، أذكر أنه كان يرسلني في منتصف الليل لأرى هل هي نائمة أم مستيقظة ، وكيف تنفسها وحركتها ، وما إن كانت تشكو شيئاً ، وكان يمر عليها يومياً في

غرفتها ليطمئن عليها . . . ونسبة لوجود الأعداد من النساء في الجزء الآخر من المنزل ، كان يتخرج كثيراً في الدخول إلى هناك فيقول لى : (إنى أريد أن أطمئن على حالها ولكنى لا أريد أن أكرر كثيراً على الغرف الداخلية ، فقد تكون بعض الأخوات في أوقات راحتهم ، أخبرهم بأنى قادم لرؤية أمك ربي جود حتى تستعد الأخوات لمجيئه) ، وهذه لمحة من حياته التى إتسمت بالأدب الجم والحياء ، وإحترام حقوق الآخرين . . كان عندما يتفقددها وهي في سرير المرض ، تدعوه بالخير وترجوه أن يكون إلى جوارها يوم وفاتها ، وتقول له أنى أريدك أن تضع رأسى في قبري وأن ترجع بالمشيعين لى من المقابر . .

فى إحدى سفراتنا للمؤتمرات معه إلى ودمدني ، إتصلوا بنا من المنزل فى أمدرمان أن أمنا ربي جود قد تأثرت ببعض حريق فى قدميها ، وأخبر الأستاذ أعضاء الوفد بأنه سيعود إلى الخرطوم وأنا معه ، للتأكد من صحة ربي جود ثم يعود ، وفعلأ وصلنا الخرطوم ، ووجدنا الحريق خفيفاً سببه بخور وضعته تحت قدميها ، ونسبة لإعتلال صحتها لم تستطع الحراك عندما إشتعلت النار . فى السنوات الأخيرة كانت إحدى الأخوات تقوم برعايتها ، تنظم وجباتها وتناولها الأدوية وتعطي تقريراً يومياً عن صحتها للأستاذ .

الدعوة للثورة الثقافية وأهدافها:-

فى بداية 1973 ركز الأستاذ على منهجية عودة الإسلام من جديد ، لذا كان موضوع الحديث الذى يدور كثيراً فى الجلسات ، فى فناء منزله ، حول هذا الموضوع ، وقد تقرر فى خلاصة هذه الجلسات ، أن الإسلام لا يعود إلا عن طريق الثورة الثقافية ، بذا أصبح من أهم أعمال الفكر الجمهورى ، توضيح معنى

ومقومات وأهداف ووسائل الثورة الثقافية، وقد بدأ الأستاذ تأليف سلسلة من الكتيبات تحت عنوان الثورة الثقافية، وقد كان يحتاج لبعض الوقت والفراغ الأمر الذى لايتوفر له في منزله، في الثورة، نسبة لكثرة الزوار، والمشغوليات التي يقتضيها وجوده في العاصمة، لذا قرر السفر إلى قرية أريجى التابعة إلى ريفي الحصاحيصا، وقضي عدة أيام في منزل أحد المعلمين الجمهوريين من اقاربه، وقد تمكن في هذه الفترة من إخراج كتابي (تعلموا كيف تصلون) ثم (الثورة الثقافية) وهما كتابان في أدق معاني السلوك اليومي، وتطبيق الفكر في الواقع وقد كان يقوم بالتملية على أسماء محمود، في تلك الفترة كنت قد بدأت العمل في الحكومات المحلية في العاصمة، وكنت يومياً عند نهاية العمل اسافر إلى أريجى، ثم أعود في الصباح الباكر إلى الخرطوم، إلى أن عاد الأستاذ إلى الخرطوم. . أيضاً في هذا العام أصدر كتاب (الماركسيه فى الميزان)، وهو عبارة عن متن محاضرة ألقاها بدار الحزب الجمهوري بالموردة في يوم الأربعاء 22مايو 1968 تم في هذا الكتاب تقييم للماركسية ما لها وما عليها، أوضح فيه سلبيات وإيجابيات الفكر الماركسي، ثم رفع البديل المتكامل للماركسية، وهو الدعوة الواعية للإسلام والتي تقوم على تطبيق الاشتراكية، والديمقراطية، في جهاز واحد، لتحقيق كرامة الإنسان وربطه بالغيب (الدنيا مطية الآخرة).

فى هذا العام أيضاً تم إعداد وطبع كتاب (الإسلام وإنسانية القرن العشرين) وهو عبارة عن متن محاضرة ألقى على طلبة مدرسة الأحفاد الثانوية العليا للبنين، وهذا الكتاب يوضح المستوى الذى يقدم به الإسلام لإنسانية القرن العشرين، ليحوي حلاً لمشاكلها، أيضاً ظهر للقراء الكتاب الأول من سلسلة (رسائل

ومقالات) وهو عبارة عن مجموعة خطابات وصلته من بعض الأصدقاء، يتساءلون فيها عن ماهية الدعوة الإسلامية الجديدة، وعن طرق البعث الإسلامي المرتقب ثم بعض الأسئلة الفكرية والثقافية، التي تتطرق إلى مواضيع تعالج مشاكل الفكر البشري المعاصر كما شملت هذه السلسلة إجاباته على العديد من الأسئلة.

في عام 1974 أصدر كتاب (الدعوة الإسلامية الجديدة)، وهو عبارة عن محاضرة ألقاها بنادي عمال السكة حديد ببورتسودان في يوم 28 / 5 / 1974 وقد أساء المعارضون فهم عبارة الدعوة الإسلامية الجديدة وزعموا أنها تعني إسلام جديد وواضح من السياق إن كلمة (الجديدة) صفة للدعوة وليست للإسلام فهي تعني أنها دعوة غير دعوة الأخوان المسلمين وغير دعوة انصار السنة والطائفيين، هي أسلوب جديد لبعث الإسلام وقد شرح الأستاذ في هذا الكتاب محتويات فكرته، كما شرح أوجه الجدة فيها وإختلافها عن الدعوات السلفية للإسلام.

في هذا العام أيضاً صدر كتابه (الدين والتنمية الاجتماعية)، وهو عبارة عن متن محاضرة، سبق أن ألقى على طلبة جامعة أمدرمان الإسلامية وذلك بمبانيها في يوم 6 أكتوبر 1974 وكان أبرز ما في هذا الكتاب، التركيز على تنمية الفرد، كما أكد أن أكبر استثمار هو الإنسان، ثم شرح التنمية الاجتماعية بقوله: (التنمية هي الزيادة، كمّاً، وكيفاً . . ولما كان الإنسان هو هدف كل مسعى إلى تطوير الحياة، فإن التنمية الاجتماعية إنما تعني زيادة المورد البشري وتحسين نوعه - تنمية الإنسان - وتنمية الإنسان إنما تكون بتنمية موهبتيه الأساسيتين - العقل والقلب . .)

بعد منتصف السبعينيات ، وجهت الجمعية الأدبية لطالبات الخرطوم الثانوية طلباً للأستاذ ليحاضرهن في موضوع المرأة وقد اقترحت على الأستاذ ان اذهب مكانه للندوة فهن طالبات ثانوية فقط ويمكن ان اقوم بذلك العمل وفعلاً ذهبت وبعد بداية الندوة حضر كומר من البوليس وكانوا يعتقدون أن المحاضر هو الأستاذ وعندما وجدوني أنا أنصرف البوليس تلك كانت مؤامرة ، فشلت بين دهشتي وإستغراب بعض الطالبات وكان ذلك كمين سيئ الإخراج .

1974 قضية بورتسودان ومواجهة القضاء الشرعي :-

1974 كان عاماً حافلاً بالنشاط ، فقد قامت فيه قضية بورتسودان الشهيرة وهي قضية رفعها قاضي مديرية البحر الأحمر (دائرة الأحوال الشخصية) الشيخ إبراهيم جاد الله ضد الجمهوريين . وقد كان من أسباب تلك القضية ، أن أقام الأخوان الجمهوريون معرضاً للفكر الجمهوري في نادي الخرجين ببورتسودان ، بعد أن أخذوا تصديقاً بإقامته من السلطات . . قام المعرض في الفترة من 20 إلى 26 أبريل 1974 . بدأت القضية بفتح بلاغ ضد القائمين على المعرض ، من الأخوان ثم أضيف الأستاذ مؤخراً للبلاغ . فتح البلاغ تحت المادة 437 الإساءة وإشانة السمعة . موضوع القضية هو مادة المعرض التي إحتوت على منشورات ، ومقالات ، ومقتطفات ، من بعض مؤلفات الأستاذ محمود وكتاباته في مواجهة محكمة الردة ، التي حكمت برده عن الإسلام في عام 1968م . تضمنت تلك المقالات والمنشورات ، التي كتبت علي أوراق بوستر ، وعرضت في المعرض ، مواجهة قوية لرجال القضاء الشرعي وعلى المحاكم التي سخرها الإستعمار لخدمة أغراضه . فتح البلاغ في يوم 26 / 4 / 1974 وإنعقدت

المحكمة في يوم 1975 / 6 / 2 وإستمرت إلى 1975 / 6 / 12 . في بداية الجلسة تلي المتحري على المحكمة العبارات التالية من منشور الأستاذ (محكمة الردة ماقبلها وما بعدها) : (نحن نريد أن تمتد يد التغيير إلى إزالة القضاة الشرعيين من القضاء ، وبالرغم من التكوين الجديد للمحاكم وتحويل المحاكم الشرعية إلى دوائر للإحوال الشخصية ، فنحن نريد أكثر من ذلك ، نريد أن تسحب السلطة من القضاة الشرعيين ، فأنهم أذل من أن يؤتمنوا على الأحوال الشخصية ، لأنها أخص وأدق القوانين لإرتباطها بحياة الأزواج والزوجات والأطفال ، وفي كلمة واحدة العرض) ، وتلي المتحري أيضاً منشور الأستاذ (مهزلة القضاة الشرعيين) : وجاء فيه (أما أمركم لي بالتوبة عن جميع أقوالي ، فإنكم أذل وأخس من أن تطمعوا في . . . وأما إعلانكم ردتني عن الإسلام فما أعلنتم به غير جهلكم الشنيع بالإسلام ، وسيرى الشعب ذلك مفصلاً في حينه . هل تريدون الحق أيها القضاة الشرعيون ؟؟ إذن فأسمعوا !! أنكم آخر من يتحدث عن الإسلام فقد أفنيتم شبابكم في التمسح بأعتاب السلطة من الحكام الإنجليز ، والحكام العسكريين ، فأريحوا الإسلام ، وأريحوا الناس ، من هذه الغثاثة) وقد واصل المنشور : (متى عرف القضاة الشرعيون رجولة الرجال ، وعزة الأحرار ، وصمود أصحاب الأفكار ؟ إن القضاة الشرعيين لا يعرفون حقيقة أنفسهم ، وقد يكون من مصلحتهم ومصلحة هذا البلد الذي نعزه ، ومن مصلحة الدعوة التي نفديها أن نتطوع نحن ونوظف أقلامنا ومنبرنا لكشف هذه الحقيقة لشعبنا العزيز) . . ثم إختصر المتحري أيضاً من محكمة الردة حديث الأستاذ عن المحاكم الشرعية التي جاء فيها : (فهي في حقيقة أمرها محاكم ملية لأصحاب الملة المقهورة بالحكم الإستعماري ، كونت 1892 بمنشور من الحاكم العام البريطاني ، وحددت إختصاصاتها في الأحوال الشخصية من

طلاق، وزواج، ونفقة. ويملك الحاكم العام، نقد أي حكم من أحكامها كما حدث عدة مرات) إنتهى . . وقد ذهب الجمهوريون إلى إثبات حقيقة كل ما ورد في أقوالهم عن القضاة الشرعيين . وقد إستعدوا إستعداداً كبيراً لهذه القضية حيث جمعوا الكثير من المعلومات عن نشأة القضاء الشرعى في السودان، ورصدت تبعية القضاء الشرعيين للإستعمار وللحكام، على مر العصور .

في 1975 بعد أن أضيف الأستاذ إلى البلاغ، الذي قدمه قاضي دائرة الأحوال الشخصية، المقيم، الشيخ إبراهيم جاد الله، بخصوص المنشورات التي عرضت في معرض الفكر الجمهوري، والتي كانت تنتقد القضاء الشرعي، قام الأستاذ على رأس وفد كبير إلى مدينة بورتسودان لحضور جلسات تلك المحكمة، حيث إستأجر عربتين في القطار، عربية للأخوان وعربة للأخوات، وعند وصول الوفد إلى بورتسودان أقام الأستاذ مع الأخوات في منزل أحد الجمهوريين، وتقسم الأخوان على منازل الأخوان الجمهوريين في المدينة .

إلى جانب حضور جلسات المحكمة، أقام وفد الأخوات والأخوان في بورتسودان حركة فكرية قوية، أحدثت تحولاً فكرياً كبيراً . في أولى الجلسات حاول البعض في إدارة المحكمة، منع الأخوات الجمهوريات من دخول القاعة، وتحت إصرار الأستاذ سمح بدخول الأخوات لحضور الجلسات، وقد كان ذلك مظهراً جديداً على المدينة، حشد السلفيون لتلك المحكمة حشداً كبيراً .

كان إتجاه الأستاذ في المحكمة هو إثبات صحة ماكتبه في تلك المنشورات، أولها تبعية القضاة الشرعيين للحكام، وإخضاع المواطنين للسلطان، ثم تسخير

النصوص وإستخراج الفتاوي من الدين ، لخدمة أهداف الحكومات ، وقد أثبت كل ذلك مستنداً على البراهين ، والأدلة من النشرات ، والمجلات الدينية والثقافية التابعة ، للأزهر والجهات الدينية ، كما أثبت كساوي الشرف التي كانت تمنحها حكومة المستعمر للقضاة الشرعيين ، من (الغازيتة) ، حيث ورد في الغازيتة : (قد تعطف حضرة صاحب المعالي الحاكم العام ، فأنعم على العلماء ، والمشايخ ، والأعيان ، المذكورين بعد بكساوي دينية ، وكساوي حزامات شرف ، تقديرأ لخدماتهم الجليلة للحكومة) ، وقد تلي الأستاذ على المحكمة قائمة أسماء القضاة الشرعيين الذين منحت لهم تلك الكساوي ، كما اثبت الأستاذ أنه لم يكن للقضاة الشرعيين أي دور في مقاومة الإستعمار ، وطلب الأستاذ من القاضي الشاكي أن يذكر أسم أي من القضاة قاوم الإستعمار ، وقد عجز الشاكي أن ينفي تلك التهم او يثبت أي دور للقضاة الشرعيين في مواجهة الإستعمار . بل ذهب الجمهوريون لفضح ممارسات بعض القضاة في الخروج عن الشرع ، في أحكامهم لخدمة أغراضهم الشخصية ، وقد طلب الجمهوريون جلسة خاصة مقفولة مع القاضي الشاكي ، عن مدى إنطباق سلوكه الشخصي مع الشريعة في قضية محده سئل عنها؟؟ ومن تلك الجلسة إنطلقت الشائعات في المدينة عن نوع الأسئلة التي قدمها الأستاذ للقاضي الشاكي ، وبدأ البعض يتخيلون أنواعاً مختلفة من الأسئلة ، وزاد الإقبال على حضور الجلسات وقد كانت الأسئلة والحوار مشوقاً ، وفي كل جلسة يتضح ضعف القضاة الشرعيين ، وكذلك ضعف محاميهم في تلك المحكمة . كنا نعود من المحكمة منتشين ، وكان الأستاذ يقول لنا جودوا صلاة الثلث الأخير من الليل ، فإن فرصة هزيمتكم لخصومكم ، إنما تقوم بقربكم من الله ، وتجويد الصلاة ، وقد كان فعلاً لذلك العمل نتائج ملموسة ، أذكر في إحدى جلسات

المحكمة ، تقدم محامي الشاكي بطلب للمحكمة ، بإيقاف نشر وتوزيع كتب الفكر الجمهوري ، مستنداً على مادة بعينها تلى رقمها على المحكمة ، من أحد كتب القانون وقال أن تلك المادة تؤيد منع الكتب . رفع القاضي الجلسة إلى الغد ، للنظر في طلب المحامي . . وقد شعر جميعنا بقلق شديد في تلك اللحظات ، وكنا نحشى أمر وقف نشر الكتب ، فقد كانت الكتب هي وسيلتنا الوحيدة لشرح قضيتنا للجمهور ، بعد الإنصراف من المحكمة طلب منا الأستاذ تجويد صلاة الثلث الأخير من الليل ، وكان يقول لنا دائماً أن الفرقة بينكم وبين خصومكم في صلاة الثلث الأخير من الليل ، وكان كثيراً ما يقول لنا (جودوا الصلاة المطلوب ما بنوم) وقد أقمنا في ذلك اليوم ليلاً طويلاً متضرعين إلى الله . .

في صبيحة الغد عدنا إلى المحكمة ، بدأ القاضي الجلسة ، برفض طلب المحامي لوقف نشر الكتب ، وأحضر الكتاب الذي ذكر المحامي أن فيه المادة التي تمنع نشر الكتب ، وقال له القاضي أن المادة التي ذكرتها ، لاعلاقة لها بالكتب فتلى المادة التي إستند عليها المحامي ، وإتضح أنها تخص البوفيات والمطاعم العامة!! فضحك جميع الحاضرون في قاعة المحكمة ، وإنفجر ضيقنا ، وفي نفس الوقت إنكشف للناس ضعف المعارضة الدينية والأخلاقية القائمة ضد الفكر الجمهوري .

أحدث الأخوان الجمهوريون حركة فكرية قوية في مدينة بورتسودان ، فكانوا أثناء النهار يحتشدون في قاعة المحكمة ، وفي المساء ينتشرون في أنحاء المدينة المختلفة أخوات وأخواناً يحملون الكتب ، يحدثون المواطنين عن الفكر الجمهوري ، ويشرحون القضية ، وكان إقبال المواطنين كبيراً على الكتب ، وعلى الموضوعات ، التي كانت تطرح للنقاش ، بعد كل جلسة كان الناس ينتشرون ، في

الأماكن العامة ، يتناقلون أخبار القضية والأسئلة التي وجهت للقاضي الشاكي ، وكيف أن إجاباته كانت ضعيفة ، وقد كان موقف القاضي الشاكي ضعيفاً حقاً ، للحد الذي إنزعجت له السلطات في الخرطوم ، وكان إنزعاج السلطات القضائية أكبر لسير القضية ، فقد كان كلما تتقدم ، الجلسات ، تكشف عن المزيد من ضعف القاضي الشرعي الشاكي ، وموقف ومخازي القضاة الشرعيين ، وفي الجانب الآخر قوة فكر الأستاذ محمود ، ومقدرة الفكر الجمهوري عند هذا الحد ، حاول النائب العام التدخل لسحب القضية ، وسرعان ما أصدر الجمهوريون كتاباً ضد النائب العام تحت عنوان (النائب العام والتدخل في قضية بورتسودان) ، ثم تبعه كتاب آخر (النائب العام وقضية بورتسودان ومفترق الطرق) . . وبعد ذلك رأى القضاة الشرعيون عدم جدوى تلك القضية لماجرته عليهم من حرج ، فقاموا بسحبها ، وقد أخرج الجمهوريون تحت إشراف الأستاذ كتاباً شمل كل تطورات القضية تحت عنوان (قضية بورتسودان البداية والنهاية) ، صدر هذا الكتاب بعد أن تقدم القاضي الشاكي بتنازله عن القضية ، وذلك بعد الهزيمة التي مُني بها هو وجهاز القضاء الشرعي الذي وقف يمثله أمام المحكمة ، فتخلى عنه القضاة الشرعيون الذين فوضوه لرفع القضية ، وذلك بعد انسحاب ممثل النائب العام الذي تولى الإتهام . . لخص كتاب (قضية بورتسودان البداية والنهاية) القضية ووضع المعلومات والحقائق كاملة أمام المواطنين في بورتسودان والشعب السوداني عامة ، الذي تابع القضية باهتمام كبير أثناء سيرها . . القضية في مجملها هي حلقة من سلسلة تأمر المعارضة السلفية على حياة الأستاذ محمود ، في حين كان غرض الأستاذ من الإستمرار في القضية ، هو توعية الشعب وكشف ممارسات القضاة الشرعيين الذين تأمروا عليه ، ثم تبرئة الإسلام ، من ممارسات الذين يدعون الدين

بلا دين ، وقد أورد الأستاذ أمام المحكمة كل الأدلة والدوافع على مقصده ، من أصل الدين ، ومن غازية جمهورية السودان ، وكل الحوادث في تاريخ جهاز القضاء الشرعي ، وقد واجههم بصدقه المعهود ، قائلاً : (أنا مسئول أمام الله . . وأمام الناس المتتفين حولي ومسئول أمام شعبي . . بعدين المسئولية القانونية نجى في الأخر).

الأيادي الخفية وراء قضية بورتسودان:-

بداية القضية ، كما ورد في الصفحات السابقة ، قيام معرض الفكر الجمهوري في بورتسودان 1974 ، الذي إشتمل على ثلاثة لوحات تضمنت ، أجزاء من مواجهة الأستاذ محمود لقضاة محكمة الردة 1968 . . في وقت تلك المحكمة وعد القاضي عبد الماجد أبوقصيصة مقاضاة الأستاذ بسببها ولم يفعل .

في 26 / 4 / 1974 فتح قاضي الأحوال الشخصية ببورتسودان أبراهيم جاد الله ، بلاغاً ضد المسئولين عن ذلك المعرض ، و إدعى أنه يمثل القضاة الشرعيين .

أسفرت إجراءات القضية مايقرب من الأربعة عشر شهراً حيث أعيدت أوراق القضية بعد تلك المدة من الخرطوم لبورتسودان . بدأت الجلسة الأولى في يوم 2 / 6 / 1974 ، شملت القضية عشر جلسات . . كان واضحاً للأستاذ أبعاد تلك المؤامرة التي أدخلت في إطار القانون فأعلن مسئوليته التامة عن كل ماورد ، وقدم من المعلومات ما أثبت به أن كل ما قاله حقائق وليس قذفاً ، وقال أن القضاة الشرعيين : (سيخرجون من هذه القضية مجرحين أكثر) .

تولى الأستاذ وإثنان من الجمهوريين الدفاع عن أنفسهم ، حين وقف محامي جمهوري مدافعاً عن بقية المتهمين . . أستمريت المحكمة حتى يوم 12/6/1975 وزعت الكتب والمنشورات ووقائع المحكمة ، بالآلاف للجمهور في بورتسودان وعديد المدن ، وتدافع جمهور بورتسودان على المحكمة بصورة اضطرت الجهات الأمنية لإتخاذ بعض التحفظات اللازمة . .

أثبتت هذه القضية تواطوء الشيخ الجزولي ، رئيس المحكمة العليا ضد الأستاذ في هذه القضية ، إذ اثبت الشاكي أنه مفوض من قبله بالمقاضاة بأسم القضاة الشرعيين في كل السودان . . بعد سير المحكمة الذي إنكشف فيه ضعف القضاة الشرعيين في شخص ذلك القاضي ، دخل التآمر مرحلة جديدة ، وحاولوا أن يتولي النائب العام تمثيل الإتهام لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، فأضافوا ذلك بإضافة المادتين 105 ، 106 إثارة الكراهية ضد الدولة ، والمحاكمة بموجب هاتين المادتين تقتضي إذناً من رئيس الجمهورية ، وهنا تصدى الأستاذ للنائب العام بكشف تأمره ، وصدر كتيب يوضح أسباب تدخل النائب العام تحت عنوان (النائب العام والتدخل في قضية بورتسودان) ، وفعلاً صدر الأذن وبعد حين إستدركت السلطة التنفيذية خطورة الموقف ورأت أن لاتزج بنفسها في ذلك الصراع ، فأمرت النائب العام بالإنسحاب من القضية ، فكتب النائب العام تنازله عن القضية وقال " أن تدخله كان عن طريق الخطأ " ، فانسحب الشاكي وقال : أنه لم يكن يدافع عن نفسه فقط ، وإنما عن القضاة الشرعيين وكتب خطاباً بالتنازل عن القضية بتاريخ 25/2/1976 ، على أثر ذلك التنازل أصدر قاضي المحكمة السيد عثمان مكي القرار التالي :

(هذا البلاغ فتح بتاريخ 26/4/1974 تحت المادتين 437 ، 166 من قانون العقوبات ، على أثر شكوى من شاهد الإتهام الثاني ، رفعت للسيد القاضي المقيم . . أخيراً وكيل نيابة مديرية البحر الأحمر ، بتوجيه من السيد النائب العام ، تقدم بطلب 1 بإضافة المادتين 105 ، 106 من قانون العقوبات السوداني ، وتوجيه التهمة تحته للمتهمين ، بعد الطلب ، وأرجأت الجلسة إلى حين الحصول على الإذن اللازم من السيد رئيس الجمهورية ، وقد وصل الإذن اللازم وتحددت جلسة للسير في بقية الإجراءات . قبل البدء في بقية الإجراءات ، سحب الإذن بتقديم المتهمين للمحاكمة تحت المواد 105 ، 106 من قانون العقوبات ، وتقدم النائب العام بطلب بإسقاط المادتين المذكورتين من البلاغ ، وذلك عملاً بنص المادة 231 (أ) من قانون الإجراءات الجنائية . بعد ذلك تقدم الشاكي بتنازله من الشكوى - مرفق - وعليه فإن المحكمة تقرر حفظ البلاغ تحت المادة 437 من قانون العقوبات للتنازل . . أما فيما يتعلق بالمادة (166) من قانون العقوبات فإنها تنص على ما يلي : " كل من وجه قصداً أي إهانة إلى أي موظف عام ، أثناء مباشرته إجراءات قضائية في أي مرحلة من مراحلها . . أو قاطعه قصداً أثناء ذلك ، يعاقب . . " ، الشكوي تقول أن المتهمين قد أساءوا لقضاة دوائر الأحوال الشخصية ، بانتقاد سلوكهم . ولم يتطرق المتهمون في هجومهم على قضاة دوائر الأحوال الشخصية ، إلى الإجراءات القضائية التي يباشرونها خاصة بالنسبة للشاكي ، والقضاة الذين يرأسهم الشاكي ، ولو أن هناك تعرض لإجراءات قضائية تمت أمام محاكم عليا ، فإن الشاكي لم يحصل على الإذن اللازم من تلك المحاكم ، لتقديم هذه الشكوى ، وعليه فإن الوقائع لا تشكل تهمة مبدئية تحت المادة 166 من قانون العقوبات ، وعليه قررت المحكمة حفظ البلاغ ، وإخلاء سبيل المتهمين .

توقيع : عثمان مكى عثمان - قاضي جنايات بورتسودان-). وصدقت عبارة
الإستاذ: (سيخرجوا منها مجرحين أكثر . .).

بعد قفل القضية، صدر كتاب قضية بورتسودان البداية والنهاية، ووثق
مجريات الأحداث، ووضح تاريخ محاكم القضاء الشرعي، الذي كونه
الإستعمار، ليكون مسؤولاً عن قضايا الزواج والطلاق والميراث، إذ أن هذه قضايا
تخص الملل، والفرق الدينية المختلفة، التي كان يحكمها الإنجليز، كسائر
مجموعات الأديان الأخرى مثل اليهود، وغيرهم بحيث يكون الأمر النهائي بيد
المستعمر، كما لم يكن لهذه المحاكم سلطة التنفيذ . . ثم أخرج الجمهوريون
بإشراف الأستاذ أيضاً، وقائع تلك المحكمة في ثمانية كتيبات، نشرت بأعداد كبيرة
وسط الشعب، الذي كان يتلقاها بشقف شديد، ويسأل عن الجديد وقد أضافت
هذه الكتب، وعياً قانونياً جديداً لكل من أطلع عليها .

بعد تلك القضية ظهرت قوة الفكر الجمهوري للسودابين، ، وزاد عدد
الملتزمين به، خاصة في مدينة بورتسودان، التي شهدت أرضها وقائع القضية.
وكان الناس يببالغون في الثناء على الأستاذ، وعلى الجمهوريين، ويضيفون
عبارات من عندهم يقولون، أن الأستاذ قد قالها في المحكمة، مع أن الأستاذ لم
يقلها، مثلاً قولهم أن القاضي قد سأل الأستاذ: (إسم الكريم منو؟)، قالوا رد
الأستاذ عليه بقوله: (الكريم الله)، علق الأستاذ على هذه الحادثة بقوله: (سيجيئ
زمان يببالغ فيه الناس في الثناء على الجمهوريين كما بالغوا في ذمهم من قبل)،
وكان يعنى أنه كلما عرف الناس الفكر الجمهوري، كلما تبينت لهم قيمته
الحقيقية، وتبين لهم ما كانوا يجهلونه من إيجابيات الجمهوريين، فببالغون في
مدحهم كما بالغوا في ذمهم.

كان الأستاذ يدير حركة تنظيم مثل هذه الوفود، وتحرك (الأتيام) الكبيرة من الأخوات والأخوان، الجمهوريين بنفسه، وبدقة وحذر تربوي شديدين، إذ أن كل المرافقين للوفد من الرجال، يوزعون على منازل الأخوان غير المتزوجين، ثم كبار السن ينزلون ضيوفاً على منازل الأخوان التي بها أسر، حتى تسهل رعايتهم أما الأخوات فيكن دائماً في المنزل التي يكون الأستاذ، وكنت أنظم أوضاعهن تحت إشرافه، وكان هذا العمل يتم بدقة وإهتمام شديدين من جانبه، ومن جانبي، وكان دائماً شديد المتابعة، وشديد التوجيه لي، وكان الجميع يحتملون كل الصعاب بصبر شديد ويستمتعون بذلك.

كانت الحركة تمول من عائد الكتب، وكان الطابع العام هو التقشف، وقلة الصرف، مع قلة المنام وكثرة صلاة الثلث الأخير من الليل وهكذا كانت الأجواء مشبعة بالروح والهمة العالية..

1974 حريق معرض الفكر الجمهوري بمدينة ودمدني :-

بعد الإنتصار الكبير الذي حققه الأستاذ في قضية بورتسودان، إزداد حقد المعارضة السلفية عليه، وقد كان لهؤلاء بعض الأيدي داخل السلطة، يستطيعون تحريكها لمحاصرة الحركة الجمهورية وتعويقها.. ففي هذا العام 1974 توجه الأستاذ على رأس وفد كبير إلى مدينة ودمدني، لاقامة حركة فكرية فيها.

ودمدني من أعرق المدن في السودان التي بدأ فيها إنتشار الفكر الجمهوري، وإهتمام الأستاذ بها جاء من أنها وثيقة الصلة بالفكرة الجمهورية منذ وقت بعيد، ففي 1946 قام اول مؤتمر للحزب الجمهوري في ودمدني، كما أنها كانت ملجأ

للفكرة في مراحل معينة قبل الإستقلال وبعده، في الأربعينات قاومت الحركة الجمهورية الاستعمار ودخل الأستاذ محمود سجن كوبر بالخرطوم بحري، وحينها كان أمين صديق السكرتير العام للحزب الجمهوري يعمل في الخرطوم، أخذ هو وبعض الأخوان خارج السجن ينشرون مقاومة الأستاذ للاستعمار وحاله داخل السجن للجمهور في المقاهي والأماكن العامة، مثل عدم إطاعة الأوامر داخل السجن وعدم الوقوف لضباط السجن وكأننا يقول للمستعمر (غادروا بلادنا) وقد فهم المستعمر تلك الرسالة. وفي عام 1947 نقل أمين صديق إلى مدني وكأننا نقلت الدعوة فكرياً إلى مدني، ففي 1946 قام أول مؤتمر للحزب الجمهوري في مدني. خرج الأستاذ من السجن في 1948 واعتكف في رفاة حتى 1951 حيث خرج من الخلوة، وعادت الفكرة الجمهورية النشاط من جديد ففي أكتوبر 1951 بدأت الدعوة بالندوات والمحاضرات في الأندية والتي كانت مفتوحة للجمهور.

محاصرة النشاط الجمهوري وتحول الندوات إلى المنازل:

في مطلع الستينات فصل بعض الطلبة الجمهوريين من معهد أمدرمان العلمي بحجة أنهم يتبعون الأستاذ محمود وهو لا يصلي كما زعموا، وبدأت المعارضة بتشويه الفكر الجمهوري في الصحف وطالب بعض العلماء الحكومة بمنع الأستاذ من المحاضرات بحجة أن الدعوة بعيدة عن الدين وقد تنتج عنها بعض المشاكل، لم تواجه السلطة الأستاذ محمود ولكن كلما يعلن لمحاضرة، يذهب الأستاذ ويجد أن البوليس قد أخرج الجمهور وحاصر النادي. . . مواجهة لهذا الموقف إتجه الأستاذ لندوات المنازل وكان لود مدني الريادة في هذا المجال وقد

نشأت صداقة كبيرة بين الفكرة وجمهور ودمدني ، وكانت المحاضرات تقام في منازل عدد من القياديين الجمهوريين في المدينة وبذلك أصبحت ودمدني من أكبر مدن السودان صداقة للفكرة الجمهورية ، وقد لاحظ الاستاذ انه بعد أن تحولت الحركة للخرطوم توقعت ودمدني وقرر إنعاش الحركة في مدني ولذلك إكراماً لهذه المدينة أقيم أكبر معرض للفكرة الجمهوري في يوليو 1974 بنادي الخريجين بود مدني ، وقد أعلن مع هذا المعرض عن قيام عدد من المحاضرات ، يليها الأستاذ بنفسه . . وكان أسلوب المعارض الفكرية هو نهج جديد إنتهجه الفكر الجمهوري كوسيلة من وسائل نشر الدعوة وسط المواطنين ، حيث تعرض مقتطفات من مؤلفات الأستاذ محمود ، ونشراته ، وكتابات في الصحف ، وشعارات الفكر الجمهوري ، والصور الفوتغرافية للحركة في الأسواق والجامعات والطرق والأماكن العامة ، التي تم إلتقاطها أثناء أركان النقاش ، تكتب بخط كبير وجميل على أوراق بوستر ، بذل فيها الفنانون الجمهوريون مجهوداً كبيراً ، فتتعلق الفكر بالفن ، وأعطى التصميم الفني المعنى المطلوب ، وأدخل الجمال في نفوس الناس وفي المكان .

كان إفتتاح هذا المعرض في يوم 13 يوليو 1974 وقبل أن يتحرك الأستاذ إلى نادي الخريجين ، وصل عدد من رجال البوليس بتوجيه من مدير البوليس السيد / مالك أمين نابري ، لمنع إقامة المحاضرة التي كان سيفتح الأستاذ بها المعرض ، وبالرغم من الأمر الذي وصل من السلطة بعدم إقامة المحاضرة ، أصر الأستاذ على إقامتها ، وقد توافد الجمهوريون وسكان المدينة على النادي ، وعند بداية المحاضرة دخل بعض رجال البوليس ، ثم وصلت قوة أخرى ، أطلقت الغاز

المسيل للدموع في أرجاء النادي، مما أفزع الجمهور، فعلا صياحهم وصياح النساء والأطفال، وقد ظنوا أن البوليس قد أطلق عليهم الرصاص. . . وتدافعنا نحن بنات الأسرة، وبعض الجمهوريات والأخوان، نحو المنصة، حيث يقف الأستاذ ثابتاً في مكانه، وأخذ يوجهنا، بالجلوس بعباراته: (أجلس، أجلس، أجلس)، وتدافعنا نجلس حوله والبعض يصيح (ابوي، ابوي)، كانت درجة الإنزعاج كبيرة، وبدأ الكثيرون في الفرار من النادي بكل الإتجاهات. . . وقفز بعضهم فوق الأسوار العالية، وعلى المنازل المجاورة.

في حين تحرك كل إنسان من موقعه، ظل الأستاذ في مكانه، لا يتحرك بل يوجه المنزعجين إلى الموقف الصحيح، ويطلب منهم الجلوس حتي لا يؤذيهم الغاز، ويطمئن الخائفين، كنت أنظر في وجهه بتركيز، لم يبدُ عليه أي إنزعاج، هادئاً وعادياً كأنه كان يعلم ماسيحدث سلفاً، وجهه كان يبعث الأمن والثبات في قلبي، وقلب كل من ينظر إليه. كان هناك الكثيرون ممن أصيبوا بجروح من بينهم شقيقته كلتوم التي نقلت إلى المستشفى. أخذ الأستاذ يتابع ويوجه بأخذ المصابين إلى المستشفى للعلاج، وقد ظل في النادي حتى خلا تماماً من كل الناس، كنا إلى جانبه بعد أن تأكد من ترتيب الأوضاع، إنصرفنا إلى منزلتنا، كل هذا العمل تم بتدبير من مدير البوليس في مدني، مالك أمين نابري، الذي عرف بعدائه للفكر الجمهوري.

خلال أيام المعرض، وفي يوم الجمعة 21 يوليو 1974 وبعد صلاة الجمعة، حرض إمام جامع حي دردق بمدني المصلين البسطاء والمعارضين للفكر الجمهوري، ضد المعرض وضد الفكر الجمهوري فتحركت جموعهم بمظاهرة نحو

المعرض والغريب في الأمر أنه لم يتحرك معهم !! ، وتوجهوا نحو النادي ، مع مجموعة من جامع عثمان زياد وجامع البوشي ، وقاموا بإشعال النار في نادي الخرجين . وكان ذلك أكبر عمل عدائي وتخريبي واجهته الفكرة الجمهورية ، في الوقت الذي يدعو فيه الأستاذ للإسلام ، والتي هي أحسن على نهج الآية الكريمة ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ ﴾ (سورة النحل) .

فتح بلاغ جنائي ، ضد الذين شوهوا في المظاهرة ، وضد الذين أشعلوا الحريق وظلت القضية معلقة لم تحسم مما يؤخذ ضد القضاء السوداني في العدالة . في نفس الوقت كتب الأستاذ خطاباً رقيقاً ، لرئيس نادي الخرجين ، الذي أقيم فيه المعرض ، يمجّد فيه تاريخ النادي ، ويبشّرهم بالخير في المستقبل . أورد نصه فيما يلي :-

(حضرة الأخ الكريم عبد الرحيم أبو عيسى

رئيس نادي الخرجين بمدني

وحضرات الأخوان الكرام أعضاء لجنة النادي الموقرة

وحضرات الأخوان الكرام أعضاء هذا النادي العزيز

تحية طيبة ، ،

إن ما حصل لناديكم لا يدعو إلى الأسف ، ولا الحزن ، كما قد يتبادر إلى الأذهان ، لدي الوهلة الأولى ، وإنما يدعو إلى الإستبشار ، والفرح ، عند التأمل المستبصر . لقد خرجت من ناديكم ، في الثلاثينات ، الشعلة الأولى التي كانت نواة الحركة الوطنية العظيمة التي إنتهت إلى إخراج الإستعمار الحسي (حكم الإنجليز)

من البلاد، فأحرزت بذلك تحريرها . . وستخرج بهذا الصنيع البشع، من هذا القبيل الضائع، من ناديكم الشعلة الثانية التي ستنتهي إلى إخراج الإستعمار المعنوي - (الجهل بالدين)، وتسلط هذا الجهل، على عقول أفراد شعبنا - من العقول بإذن الله، فيتم بذلك ما بدأ في مضمار التحرير، من إحراز الإستقلال الصحيح . . لقد أراد الله بهذا النادي خيراً للمرة الثانية، وأراد أن يصل ماضيه بحاضره، في خدمة رسالة الحرية في هذه البلاد . .

لقد ظللنا نحن الجمهوريين، ننبه دائماً إلى الخطر الذي يتهدد هذه البلاد من مؤامرة الطائفية التي إستغلت، وتستغل، الدين في تضليل هذا الشعب لتسوقه، معصوب العينين، بإسم الله، وبإسم الإسلام ليكون في خدمة أغراضها الدنيئة . . ولقد ركزنا على تنظيم الأخوان المسلمين، كذيل للطائفية، كأسوأ تنظيم إستغل الدين لأغراض الدنيا . . وما هذا المعرض الذي أقمناه وتكرم ناديكم بفتح أبوابه له، وهو له أهل، إلا محاولة عملية جادة في سبيل هذا التنوير، الذي نضطلع به لشعبنا العزيز، وفي سبيل هذا التنبيه الملح، إلى خطر هذا القبيل المارق . .

لقد طالما تحدثنا عن أن مساجد الله قد أصبحت ملوثة بجهالات رجال عقولهم خربة، ونفوسهم مريضة . . وهؤلاء الرجال هم اليوم أئمة الناس ومعلموهم الدين . . ولكن حديثنا كان يفتقر الشاهد المحسوس الملموس، على صدق التنذير الذي يسوقه، فوجدناه اليوم بحريق هذا النادي العتيق، العزيز، وجدناه بصورة ستظل نموذجاً حياً في أذهان الناس، كنذير بما ينتظر هذه الأمة، إذا ما قدر لها أن تحكم بإسم الإسلام كما يفهمه هؤلاء الرجال الجهلة، المريضو النفوس . إن هذا النموذج البشع الشائن، يجيء في الوقت المناسب لينبهن العقلاء،

لدرء خطر الجهلاء، قبل فوات الأوان . . هذا النموذج البشع لن يترك الناس لينسوه، وذلك ليكون لهم نبراساً، على ضوئه يدرجون إلى تقويض معازل الجهل، الذي يدبر الخيانة بإسم الإسلام . . ونحن الذين وقفنا حياتنا، ووقتنا، ومالنا، لإستهاض الهمم لمقاومة هذا الجهل النشط، الذي يستغل الدين في تضليل الشعب، نطمح في أن يجند أعضاء ناديكم أنفسهم لمواجهة هذا الخطر الداهم، ونطلب مثل هذا الطلب، إلى جميع المثقفين في جميع بقاع هذا البلد، الذي نعزه ونفديه . .

فأرجو أن يكون هذا الحادث البشع نقطة إنطلاق لناديكم ولأندية الخريجين في كل مكان، لتواصل المشوار الذي بدأت في الثلاثينات، في محاربة الإستعمار الحسي، حتى تقضي على هذا الإستعمار الجاهل، الذي يشل العقول، بإسم الله، وبإسم الإسلام . .

وأخيراً هذا دور ناديكم، وهو دور يجب أن ينتظر له، وأن يتوقع، وهو دور مشرف، كل التشريف!! ألا ترضون أن يكون ناديكم قد فدى البلاد، والأمة، فساق لها هذا النذير العريان، الذي يعصمها من أن تسير معصوبة العينين، إلى حظيرة هذا الجهل الأسود؟

أخيراً لكم جميعاً تحيتي وودي

المخلص : محمود محمد طه

وبعد قضاء ثمانية أيام في مدني تحرك الأستاذ والوفد الذي معه إلى مدينة رفاعة لإقامة معرض وندوات تستمر لثلاثة أيام، وفي 24 يوليو 1974 تم إفتتاح

ذلك المعرض بمنزل المربي الشيخ محمد لطفي عبد الله ، وفي بداية الجلسة حضر بعض رجال البوليس وأمروا بفض ذلك الإجتماع ورفض الأستاذ وقال لهم: (نحن في منزلنا ولا أرى موجب لفض هذا الإجتماع) ورد البوليس بأنهم معهم أمر بفض الإجتماع بالقوة الجبرية وذهبوا . قرر الأستاذ المواجهة مع البوليس وأمر الأخوات الجمهوريات والضيفات من اهل الحي بالإنصراف إلى داخل المنزل وبقي هو والأخوان في أماكنهم وأقبل عدد من الرجال من أهل المدينة وقالوا للأستاذ (نحن سنواجه معك)، وأخذوا أماكنهم حول الأستاذ، وتلك كانت دائماً روح أهل رفاة مع الأستاذ منذ 1946م، مضى الليل ولم يعد رجال البوليس كما وعدوا. !!

في نهاية السبعينات وفي أثناء إنعقاد مؤتمر الجمهوريين الطائف على مدني في الفترة ما بين 29 / 5 / 1977 و 2 / 6 / 1977 قويت المعارضة السلفية للفكرة الجمهورية بمدينة ودمدني ، وقد تعرض الأخوان الجمهوريون هناك إلى بعض حوادث العنف من أئمة المساجد ، ورفعت العديد من القضايا ضدهم ، وأثناء تلك المحاكمات ، حلفوا اليمين بالكذب ، وقد أدانتهم جميعاً المحاكم ، وقد أصدر الجمهوريون كتيب شمل حيثيات المحكمة ، تحت عنوان (أئمة بلا إيمان ، عبدالرحمن عبد السلام آخر النماذج) وذكر بالأسم أسماء الأئمة الذين أدينوا وحلفوا كاذبين . وقد إستمر فتح البلاغات ضد هؤلاء ، وفي آخر القضايا قام حاكم الأقليم في ذلك الوقت ، السيد عبد الرحيم محمود ، بالوساطة للأستاذ محمود محمد طه في بعض القضايا ، للتخلي عنها ، وقد نزل الأستاذ على رغبة حاكم الأقليم

الذي كان صديقاً للفكر الجمهوري ، وبناء عليه شطبت البلاغات وكتب الأستاذ
خطاباً لحاكم الأقليم جاء فيه :-

(20 مارس 1983م

الأخ الكريم عبد الرحيم محمود،

تحية طيبة مباركة وبعد . .

فلقد تلقينا خطابكم بشأن قضيتنا ضد جماعة الشيخ دفع الله حوا الرسول . .
وهي قضية لم تكن لتنشأ لولا الممارسة السيئة التي جرت على أيدي تلك
الجماعة، وهي ممارسة مجافية للدين، ومخالفة للعرف، والقانون . . وبطبيعة حال
الجمهوريين فإنهم لم يكونوا ينطلقون في لجوئهم للقضاء من منطلق الضغينة
والانتقام، وإنما كان دافعهم في ذلك هو تعليم هؤلاء البسطاء من شعبهم إحترام
حكم القانون، ورعاية الحقوق الأساسية للآخرين . وإنما لنقدر شفاعتك في هذه
القضية، ونحمد لك مسعاك وحرصك على إصلاح ذات البين، ثم إننا لنعرف
صداقتك الكبيرة للفكرة الجمهورية، ونحفظ لك مواقفك الطيبة، العديدة، الدالة
على نصره الحق الذي يلتزمه الجمهوريون . . ولذلك، فإنه ليسرنا أن نبليغك قبولنا
التنازل عن حقنا في هذه القضية، رعاية لوساطتك الكريمة، وإستجابة لإتجاهنا
المبدئي في إختيار العفو والتسامح . . هذا وقد أرسلنا للإخوان بومدني ليعملوا
على تحقيق هذا الغرض النبيل . . وعلى الله قصد السبيل .

المخلص : محمود محمد طه) إنتهى الخطاب .

وخدمت المعارضة في ودمدني عند هذا الحد . . وتحديث المدينة وأثنت على روح العفو عند الأستاذ . . وجدير بالذكر أن مدينة كوستي ، قد شهدت نفس المستوي من المعارضة والقضايا*⁽⁴⁾ . كما سيأتي في مجاله .

1975 عام المرأة العالمي:-

أعلنت الأمم المتحدة هذا العام بأنه (عام المرأة العالمي) ، تقرر أن تطرح فيه كل قضايا المرأة ، وتساهم الأمم المتحدة في وضع الحلول لها . وقد أشاد الأستاذ بهذه الفكرة ، وأعلن تضامن الحركة الجمهورية مع (عام المرأة العالمي) ، وذلك لإهتمام الفكر الجمهوري المبدي بأمر المرأة ، ومن هنا جاء إهتمام الفكرة الجمهورية باعلان هيئة الامم المتحدة لأنه جاء في إتجاه الفكرة الأساسي في اعزاز المرأة الذي سارت عليه الفكرة منذ الأربعينيات ، ومن مشاركة الفكر الجمهوري في هذا النشاط ، أصدر الأستاذ ستة عشر كتيباً صغيراً شرح كل كتيب قضية من قضايا المرأة وحقوقها وقضاياها وواجباتها ، إحتفاء وإحتفالاً بهذا العام . . شارك في تأليف هذه الكتيبات عدد من الأخوات الجمهوريات والأخوان الجمهوريين ، كان يطرح موضوع كل كتيب للنقاش وتقليب الآراء حتى تتبلور الفكرة ثم يعطى عنواناً ويدفع به الأستاذ لأحد الأخوات أو الأخوان لصياغته النهائية . وقد كتبت معظم هذه الكتيبات باللغة العامية السودانية " لغة الكلام " ، حتى يسهل فهمها على البسطاء وأقل الناس تعليماً ، وقد كان الأستاذ يراجع كل هذه الكتب ، ولا يصدر أى منها إلا بعد موافقته على المادة واللغة التي كتب بها . . ناقشت هذه الكتيبات مواضيع وقضايا عده منها (عام المرأة العالمي 1975 ، الزى عنوان عقل

(4) أنظر كتاب قضايا كوستي هدية لشعبنا لكيلا ينخدع من حقيقة من يتصدون لتعليمه دينه ، يوليو 1975 .

المرأة وخلقتها، (المرأة في أصول القرآن)، (والواجبات قبل الحقوق)، (المرأة في الشريعة والفقه والدين)، (تعدد الزوجات ليس أصلاً في الإسلام)، (الطلاق ليس أصلاً في الإسلام)، (بيت الطاعة المشكلة والحل)، (الإختلاط)، (ماذا قدمت قيادات المرأة للمرأة)، (أضواء على شريعة الأحوال الشخصية)، (قانون وقضاة الأحوال الشخصية قصور عن الشريعة وتخلّف عن العصر)، (إتحاد نساء السودان وقضية المرأة)، (المرأة والتدين)، (المرأة مكانها البيت؟؟)، (الأستاذ محمود يحدث النساء في حقوقهن) ومواضيع أخرى كثيرة... *⁽⁵⁾. وقد كتبت كتابين من هذه المجموعة .

1975 مواجهة المعارضة في مدينة كوستي:-

قام الأستاذ في هذا العام على رأس وفد كبير إلى مدينة كوستي في ولاية النيل الأبيض . ضم الوفد عدد كبير من الأخوان والأخوات ، وكان القصد من هذا الوفد ، تأكيد وجود الفكرة الجمهورية في مدينة كوستي ، وذلك لما عرف عن هذه المدينة من معارضة مغرضة للفكر الجمهوري (أنظر كتاب قضايا كوستي هدية لشعبنا) ، وقد قضى الوفد الذي تجمع أفرادُه ، في إجازاتهم الصيفية ، من مختلف مدن السودان ، عدة أيام في المدينة ، مقيماً الندوات ، والجلسات الفكرية ، وأركان النقاش ، وحملات توزيع الكتاب الجمهوري ، وقد تم هذا العمل على قدم وساق بين الأخوات والأخوان ، ونتيجة لهذا العمل المكثف ، إنضم عدد من الجمهوريين الجدد إلى الحركة ، كما حثت بعض الأسر الجمهورية بعض بناتها للانضمام للفكرة ، والملاحظ أنه كلما قويت شوكة الفكرة الجمهورية في مدينة ما ، وقهرت معارضيتها ، كلما قويت ثقة الأعضاء ، فأقنعوا أسرهم بالانضمام للجمهوريين ، وزاد عدد الأعضاء الجدد .

(5) أنظر سلسلة كتيبات عام المرأة العالمي .

في عام 1976 في الفترة ما بين يومي 24 إلى 31 مايو، أقيم مؤتمر كبير في الخرطوم سمي (مؤتمر فتح العاصمة)، والفكرة من وراء ذلك المؤتمر هو أن تعرض الفكرة الجمهورية بصورة موسعة داخل العاصمة، حتى تتخللها وتستقطب أكبر عدد من جمهورها، الذي يبدو مشغولاً عنها. . وقد أكد الأستاذ في ذلك المؤتمر عن ضرورة فهم الأخوان الجمهوريين لمحتوى ما يذاع على الشعب والأسلوب الذي يذاع به، وقد صدرت توجيهات ذلك المؤتمر في كتيب سُمي مؤتمر فتح العاصمة، لخص محتوى ما يذاع في الآتي:-

(جميع الأخوان قد أذن لهم في حمل الدعوة على شرطين اثنين:

الشرط الأول:- هو الوفاء بأدب الآية الكريمة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَخَدِّعْ لَهُمُ بِالْقِيَمَةِ إِنَّ أَحْسَنَ لَأَنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ ۝١٣١﴾ (سورة النحل).

الشرط الثاني:- هو الوفاء بأدب الآية الكريمة ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢﴾ (سورة الاعراف)

1) يجب أن يعلن في الناس بوضوح قاطع، أن المسلمين اليوم ليسوا على شيء، وإنما هم في جاهلية تعيش على القشور، فإنه ما لم يقرر هذا بوضوح، فلن يكون إلى ثورة التغيير من سبيل، ذلك بأن ثورة التغيير تكون مهزومة من البداية، إذا كان الناس راضين عن ما هم فيه الآن.

2) يجب أن يقرر بوضوح وحسم أن " لا إله إلا الله " الآن قد ماتت في صدور الرجال والنساء ، وأنها يجب أن تنبعث من جديد قوية خلقة ، مؤثرة على قلوب الرجال والنساء ، وعلى عقولهم ، وعلى أخلاقهم . . . فإنها إن تتخذ بهذه الصورة ، فستكون كفيلة بإخراج الناس من هذه الجاهلية ، التي يعيشون فيها اليوم ، إلى نور العلم والإيقان ، كما أخرجت أوائلهم في القرن السابع ، من جاهليتهم التي كانوا عليها ، إلى نور العلم والإيمان . .

3) يجب أن يقرر للناس وفي وضوح وحسم قاطع ، أن " لا إله إلا الله " لن تعود من جديد قوية خلقة في صدور الرجال والنساء ، مؤثرة ومجددة للأفكار ، والأخلاق ، إلا إذا عادت الروح للصلاة ، التي قد أصبحت اليوم حركات من غير محتوى ولا روح ، ولن تعود الروح للصلاة إلا إذا دخلها الفكر ، وأول الفكر فيها ، أنها وسيلة إلى غاية وليست غاية في ذاتها . وأعلى غاياتها تحقيق فردية الفرد وتوحيد القوة المودعة في كل بنية بشرية .

4) يجب أن يقرر للناس في وضوح وحسم قاطع أن الإسلام رسالتان ، " ويجري التفصيل الذي يعرفه الأخوان جيداً ، حتى لا يكون في هذا الأمر أدنى لبس ولا غموض ، " فإنما نحن دعاة البعث الإسلامي . . دعاة هذه الرسالة الثانية ، وفيها وحدها حل جميع المشاكل ، لجميع المجتمعات في اليوم الحاضر ، والأيام المقبلة . . يجري التفصيل الذي يتحدث عن آيات الأصول ، وآيات الفروع ، وعن المؤمنين والمسلمين ، وعن الأصحاب والأخوان ، وعن الشريعة والسنة وعن قصور الشريعة السلفية ، عن حاجة إنسان اليوم ، وعن التناقض الذي يعيشه المسلمون في واقع حياتهم مع بعض صور شريعتهم ، وعن الدعوة إلى تطوير التشريع إلى آخر ما يعرفه الأخوان جيداً . .

إن هذه الأمور إذا وضحت للشعب، فإن رياح التغيير قد هبت، ولن تقف نوة المبطلين أمام الثورة الفكرية، والثورة الثقافية، التي نرجوها لهذا الشعب لأصيل وعن طريقه للبشرية جمعاء . .

وأختتم قولي هذا بأن أقول للأخوان لاتكونوا وعاظاً، ولكن كونوا دعاة
رأى ما يميز الداعية الصدق . . الصدق . . الصدق . فلا يدعون أحدنا إلى أمر
لا يمارسه في نفسه !! تذكروا دائماً قول الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿ يٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢) كِبْرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ
(٣) ﴿ (سورة الصف) وتذكروا قوله في حديث قدسي (يا عيسى عظم نفسك فإن
تعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني) بهذا الصدق تخرجون من طور الوعاظ إلى
طور الدعاة . . .

وفقكم الله وأيدكم بروح منه . . إنه نعم المولي ونعم النصير) إنتهى .

1976م الإعتقال بسبب الوهابية :-

في فترة السبعينيات عندما تدهور الوضع الإقتصادي في السودان، كبرت
ديونية السودان للبنك الدولي وللدول التي تقدم دعماً للسودان، مثل المملكة
لعرية السعودية، فكلما تدهور الوضع الإقتصادي ظهر أن للسعودية نفوذاً أقوى
في السياسة السودانية والأمور الداخلية للبلاد، وذلك نسبة للدعم المالي الذي
تقدمه للحكومة السودانية، وبعض المؤسسات الدينية والتعليمية في البلاد، مثال
ذلك تمويل وتأسيس كلية البنات في جامعة أمدرمان الإسلامية، وشرط الدعم
للسعودي كان بأن تظل كلية غير مختلطة، وقد نفذ ذلك الشرط من المعلوم أنه ليس
بنا لك من دول تقدم دعماً مادياً لبلد ما إلا وفرضت من ورائه سياستها وتوجهاتها

الفكرية على ذلك البلد . لذلك كان الأستاذ يعترض على الدعم السعودي وحتى على إغتراب السودانيين للسعودية نسبة لمخالفة المذهب الوهابي الذي يقوم عليه حكم الأسرة المالكة في السعودية (آل سعود) للدين وللنبي صلي الله عليه وسلم وعدم التقدير والإحترام الذي تعلنه الدعوة الوهابية لآل البيت والأولياء الصالحين ، ويقول الأستاذ أن السعودية (هواؤها مسموم) ، ولا يترك في غرفته أي هدية يأتي بها له الأقارب من السعودية ، ويتساءل كيف يعطي الحكام جنسية للمواطنين بأسم أسرته (آل سعود) .

وقد كانت المملكة العربية السعودية تعلم معارضة الأستاذ للنظام الملكي القائم فيها ولتدخل نظامها في السودان وذلك بسبب تخلفها الذي تحدث عنه كثيراً كما ذكر سابقاً . ولمزيد من إيضاح بسط النفوذ ، فقد أصدر مجلس الإفتاء بمكة المكرمة في عام 1972 فتوى بتكفير الأستاذ محمود ، وإباحة دمه ، وقد طالبوا الحكومة السودانية بقتله ، وقد نفذت حكومة نميري ذلك الطلب وإن تأخرت بعض الوقت ، وقد رد الأستاذ في مواجهة قوية على فتوى مجلس الإفتاء*⁽⁶⁾ . . راجع موضع محكمة الردة في هذا الكتاب . وتوالى عمل الفكر الجمهوري في مهاجمة المملكة العربية السعودية ، ونشط الوهابية في السودان في معارضة الفكرة الجمهورية . وتبعاً لذلك ، وخدمة لقضية التوعية ، أصدر الأستاذ كتاب (إسمهم الوهابية وليس إسمهم أنصار السنة) رجع فيه إلى أصل الدعوة الوهابية ، وأوضح في ذلك الكتاب أن حركة الوهابية النشطة في المملكة العربية السعودية ، حركة قامت أساساً على فهم مغلوط للدين ، وقامت على التشويه له . وقد جاء في كتاب

(6) راجع موقع محكمة الردة في هذا الكتاب .

تاريخ المذهب الإسلامية الصفحات 253 ، 254 و 265 ، 266 تعريفًا مفصلاً عن حركة الوهابية فهي في مجملها بعث متشدد لمذهب ابن تيميه ومنشئها هو محمد بن عبد الوهاب النجدي المتوفي عام 1787 فقد قرأ كتب ابن تيميه وتبنى دعوته المتشددة وأضاف إليها أشياء أخرى وقد قامت الدعوة على الجهاد بالسيف ضد كل المخالفين لهم من المسلمين إذ أنهم يفترضون أن آراءهم هي الصواب الذي لا يقبل الخطأ وفي آراء غيرهم الخطأ الذي لا صواب فيه ويعملون للنهي عن المنكر بالحرب ويقوم مذهبهم على عدم التوسل بالنبي صلى عليه وسلم والأولياء والصالحين وقد قام محمد بن عبد الوهاب على هذا العمل ومنعه والده عن ذلك النهج ولكن بعد وفاة والده قام بالثورة الدينية ، فلم يجد إستجابة وتمت محاولة لإغتياله فلجأ إلى أمير العينية طالباً الحماية ورحب به الأمير وأعطاه الحماية فأمر العينية هو أول أمير قامت الدولة الوهابية تحت حمايته وكان يمني الأمير بانتشار سلطانه على نجد وأعرا بها وأقبل عليه الأمير حتى إشتدّ عود محمد بن عبد الوهاب أخذ ينفذ أحكامه المتشددة وإزدادت الضغوط على أمير العينية لحمايته لأبن عبد الوهاب وأغري بقتله لمخالفته للدين ولذلك طلب الأمير من محمد بن عبد الوهاب ان يرحل ورحل إلى الدرعية يبغي الأمن والأمان ووصل عن طريق الوسطاء إلى الأمير السعودي وأحاطوه علماً بمحتويات دعوته ، قالوا له أنها إعلاء كلمة التوحيد ومحاربة البدع فقبل الأمير وبشره بالأمان ورد ابن عبد الوهاب بأنه سيمكن الأمير بالعز والغلب على جميع بلاد نجد بهذا قام الحلف بينه وبين أمير آل سعود⁽⁷⁾ .

(7) المصدر جريدة الصحافة الصادرة بتاريخ 31/10/1973 وكتاب إسمهم الوهابية وليس أنصار السنة .

وقد أكد الأستاذ في هذا الكتاب ، القاعدة الإسلامية أن الملك ضد الأسس الدينية ، فقد ورد في الآية الكريمة قول الله تعالى : ﴿ ... إِنَّ الْمُلُوكَ إِنَّا كَحُلُوفٍ مُّزَيَّجَةٍ أَسْقَوْهَا وَجَعَلُوا أَعْنَءَ أَهْلِهَا أَذْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة النمل) . . . كما أكد الكتاب المخالفات الدينية التي قامت عليها دعوة الوهابية ، ونعى على حكومة السودان السماح للحكومة السعودية بالتدخل في شئونها الداخلية . وطالب الحكومة السودانية بضرورة الإستقلال الإقتصادي وعدم قبول العون المالي من بلد مثل السعودية ، فإن البلاد التي تقدم دعماً إقتصادياً لبلد ما تفرض سياستها عليه ، ولذلك فإن السعودية مقابل الدعم تفرض سياستها وتدخلها في شئون السودان الداخلية . . . أثار هذا الكتاب غضب الوهابية في الداخل والخارج وبإيعاز من السعودية ، تم إعتقال الأستاذ والتحقيق معه ، كما تم تفتيش منزله والمنازل التي كان يستأجرها للأخوان الجمهوريين ، التي كانت تسكنها مجموعات الرجال غير المتزوجين وطلاب الجامعات ، وتقوم فيها طباعة الكتب ، وقد صودرت كل نسخ الكتاب التي عثر عليها ، وقضى الأستاذ في الإعتقال شهراً كاملاً من غير محاكمة ومعه بعض الجمهوريين . . .؟؟؟

تم إعتقال الأستاذ من منزله في أمدرمان ، بصورة مستفزة ، فقد حضر (تيم) من رجال الأمن المسلحين برئاسة قاضي من الإخوان المسلمين ، يدعى (عبد الجليل) ، أخذ ذلك القاضي منذ وصوله بوابة المنزل ، يصيح (يا محمود) بصورة همجية وعندما وصل إلى الأستاذ ، أخبره بأمر الإعتقال فأسرع الأستاذ بإرتداء ملابس الخروج فأتجه القاضي للدخول لقسم الأسرة في المنزل ، ولحق به الأستاذ يجذبه بقوة من جلبابه يأمره : (تعال هنا ليس هناك سبب يجعلك تدخل إلى الأسر ،

أنت جئت لإعتقالي وأنا ذاهب معك)، وقد إنصاع القاضي لاشعورياً إلى ذلك الأمر، ورجع متأدباً ولعله كان يتوقع أنه بأمر الإعتقال هذا سوف يزعج الأستاذ ويضعه وأسرته تحت رحمته ورحمة رجال الأمن، وعندما جذبه الأستاذ بتلك القوة سرعان ما إنصاع لذلك القرار الرجولي وعاد إلى المكان المخصص للرجال بالمنزل منتظراً خروج الأستاذ..

كنت أزوره في معتقله في حراسات القسم الشرقي، في الخرطوم، وقد كان المكان ضيقاً، لايسع عدد الرجال الذين حبسوا فيه، ومع ذلك فقد تقبل الأستاذ هذا الأمر بروح تضحية عالية، وبرضا بالله، يدل على سمو الهدف، والنأي عن الغرض الشخصي.. كان يقابلني وهو في الحبس، وأنا حزين للظلم، بإبتسامة مشرقة، كأنه هو الطليق وأنا السجينة.. في تلك اللحظات كان يوصيني ويوجهني ببعض المقترحات في أمور المنزل، كان على البعد يتابع كل ما يحدث في الأسرة وكأنه يدير أمورنا من محبسه، ففي فترة إعتقاله تلك، كنت أقوم بإدارة المنزل والإشراف التام على شئونه، وقد كان معنا في المنزل عدد من الأخوات الجمهوريات.. عندما تحدث مثل هذه الإعتقالات يزداد إنضباط الأخوات والأخوان خارج المعتقل في سلوكهم اليومي، ويتابعون كل ما يحدث في المعتقل، ويصغون بإهتمام تام لكل ما يأتي من توجيهات الأستاذ.

بعد شهر أطلق سراح الأخوان من غير أي محاكمة. بعد حادثة الإعتقال هذه كان هناك جمهوري من أصل شامي مهاجر في أستراليا، شعر بالمؤامرات حول الأستاذ فسعى لأن يلجأ الأستاذ خارج السودان، فكتب للأستاذ بأنه وجد له فرصة للجوء السياسي، فرفض الأستاذ ذلك العرض وعلق قائلاً: (فلان لأنه ابن

ريف خواف ، وقال إن المعارض السياسي يجب أن يظل في بلده ويعيش في سجونها ويأكل كسرة ب موية⁽⁸⁾ ولا يلجأ إلى بلد آخر) ، كما أنه لم يغادر السودان طوال حياته إلا مرة واحدة إلى القاهرة وأمضى فيها ثلاثة عشر يوماً حضر خلالها ندوة للكاتب المصري عباس محمود العقاد . كان يقول لي : (انا سوداني أكثر منك لأنني لم أغادر السودان سوى ثلاثة عشر يوماً فقط) وبهذا المناسبة قال : (أنه يكن إحتراماً كبيراً لعباس محمود العقاد لأن العقاد كان بعيداً عن السلطة لا يتقرب إلى الحكام ولا يمدحهم لأنه يحترم نفسه وله إستقلال شخصية ، يختلف في ذلك عن ضعف طه حسين ويعزى ذلك الضعف لأن طه حسين كان ضريباً) .

1977 تبسيط الدعوة:-

في هذا العام وفي شهر رمضان سجل الأستاذ محمود سبعة أشرطة حوت تبسيطاً للدعوة الجمهورية أسمائها (تبسيط الدعوة) ، وهي عبارة عن تلخيص للفكرة الجمهورية التي هي الرسالة الثانية من الإسلام ، كتب تبسيطاً وشرحاً لها باللغة العامية السودانية ، وقد طبعت هذه الأشرطة ، وأخذت تباع للمثقفين والمتابعين للفكر الجمهوري . . في هذا العام كنت في لندن بغرض الدراسة ، إتصل بي تلفونياً بخبرني عن إعدادة لتلك الأشرطة ، وقال لي أنه وضع لي خطاباً في البريد أرفقها معه ، فذهبت للسفارة السودانية وإستلمتها ، كانوا في تلك الفترة يرسلون لي الخطابات عن طريق السفارة بواسطة أصدقاء بعض الأخوة الجمهوريين الذين يعملون في لندن (أنظر الملحق خطابات الأستاذ للمؤلفة) .

(8) كانت تلك أرخص وجبة في السودان .

1977 قضية الأستاذ محمود ضد الشيخ الأمين داؤد:-

الشيخ الأمين داؤد كان من أكثر الفقهاء ، الذين يدعون أنهم " علماء الدين بالسودان " ، عداً للفكرة الجمهورية ، من غير صدق ولا علم ، وقد تزعم الحملة الجائرة ضد الأستاذ محمود وهو أحد المدعين في محكمة الردة عام 1968 ، كما تزعم هذا الشيخ حملة تشين لسمعة الأستاذ ، وتهدر دمه ، وقد إعتد في كل هذا علي أقوال لم يقلها الأستاذ ، بل كانت تخريجه الخاص ، فهو يورد أقوال مبتورة من الكتب (يكتب النص ويترك آخره) وينتهي إلى خلاصات خاطئة ، ويقول أن محمود يقصد هذا وذاك ، يستند على أقوال مغلوطة من معسكر السلفيين ، وعلى قصص بيوت المآثم والشائعات ، وذلك لعجزهم عن المواجهة الفكرية التي تصدى الأستاذ لهم بها ، بغزير علم وشجاعة منقطعة النظير ، أنظر كتابي (بيننا وبين محكمة الردة) و(محكمة الردة مكيدة سياسية) .

في هذا العام رفع الأستاذ قضية جنائية تحت المواد 435 و441 من قانون عقوبات السودان الكذب الضار والسب ، ضد الشيخ الأمين داؤد ، كان السبب أنه قد رفع مذكرة لوالي الخرطوم ضد الأستاذ محمود . . يطلب فيها من الوالي أن يوقف النشاط الذي يقوم به الأستاذ ، ومنع الاجتماعات في منزله وكذلك التجمعات وقد كانت المذكرة مسيئة ومسفة ، لم يكن فيها الشيخ موضوعاً ولا ورعاً ، بل تجافي عن كل خلق ديني ، وأخذ يكيل السباب والإتهامات للأستاذ وللجمهوريين . . وفي أثناء سير المحكمة رأي الأستاذ أن محامي الدفاع الذي كان من الإخوان المسلمين قد إستغل ساحة المحكمة إستغلالاً سياسياً ، وقد عجزت المحكمة عن وقف ذلك الإستغلال ، لذلك انسحب الأستاذ عن القضية متسبباً بالإستغلال السياسي للمحكمة وقد صدر كتيب يوضح ذلك الشأن . وصدرت وفائع محاكمة الأمين داؤد في ستة كتب .

1979 مراجعة منازل الأخوان الجمهوريين:-

في هذا العام إتسعت منازل الأخوان ، وكثر إقبال الطلبة عليها ، والوافدين من الأقاليم المختلفة ، وكذلك المقيمين في العاصمة ، كما تحول إليها البعض ممن تعلق بالفكرة من منازل أسرهم في العاصمة ، ورأوا أن يقيموا أطول فترة ممكنة في هذه المنازل حتي يتشبعوا بروح الفكرة الجمهورية ويتابعوا برنامج تطبيق الإسلام كمنهاج حياة لإصلاح النفس . وقد وضع الأستاذ رأياً واضحاً ، هو أن هذه المنازل يجب أن تختلف عن الداخليات ، وعن منازل غير المتزوجين ، والتي تعرف في السودان (بيوت العزابة) ، كان يخطط لها أن تكون مدارساً من نوع خاص يعاد فيها تعليم المتعلمين ، وصياغة سلوكهم على نهج حضاري ، وخلق ، وفق ما تدعو إليه الفكرة الجمهورية ، على نهج النبي صلى الله عليه وسلم ، وجميع شمائله وحسن خلقه وإستقامة سلوكه . . لذلك كان لابد من تنظيم هذه المنازل ومراقبتها ، والمراقبة الدقيقة لنشاط وسلوك المقيمين فيها . . وتنفيذاً لهذه الفكرة أعاد الأستاذ تكوين هذه المنازل وترتيب سكانها ، فجعل أميناً على كل منزل ، والأمين يتم إختياره على أساس أنه أكثر من في المنزل فهماً وتطبيقاً للفكرة الجمهورية ، وهو إمامهم في الصلاة والمسئول عن تصحيح أخطاء سلوك الأخوان المقيمين بالمنزل ، ونقل إرشادات الأستاذ لهم ، وحثهم على حضور جميع نشاطات الفكرة الجمهورية ، مثل أركان النقاش وطباعة وتوزيع الكتب ، كذلك المساعدة في كل ما يجعل الحياة سهلة ومتيسرة في تلك المنازل . . وفي عام 1979 أعاد تكوينها ، وأدخل فيها مراقباً جديداً فوق الأمين أسمه المشرف ، وكان عليه النصح والإشراف العام ، وكان دائماً يقول : (بأن منازل الأخوان دي إمتياز وسوف لا يُسمح لكل الناس بالسكن فيها ، إلا من إلتزم بالسلوك على الطريق النبوي القويم) .

الفصل الخامس

**الأخوات الجمهوريات
ونشر الفكر الجمهوري**

أكبر محتويات الفكر الجمهوري وأهدافه عند الأستاذ محمود، هو إعداد الفرد الحر من رجل وامرأة، ومنحه جميع حقوقه الدستورية كاملة، حق الحياة وحق الحرية، ولهذا دعا إلى إقامة القانون الدستوري، والقانون الدستوري كما عرفه الأستاذ هو القانون الذي حين يطبق يراعي مصلحة الفرد الذي وقع منه الخطأ، وفي نفس الوقت يراعي مصلحة المجتمع الذي وقع عليه الخطأ، ومثل هذا القانون يعيش تحته كل إنسان حر، في أن يفكر، ويقول، ويعمل، على إتساق تام، يبن فكره وقوله، وعمله، بشرط أن لا تتعدى حريته، على حريات الآخرين، وإذا تعدى تصادر حريته بالقانون الدستوري، (راجع كتاب الرسالة الثانية من الإسلام). ومن هذا المنطلق يتمتع الرجال والنساء بالحرية، لا فرق بين أى منهم أمام القانون، ولا وصاية تقع على أي منهم على الآخر، وإنما تحال الوصاية على القانون الدستوري. والأصل لمثل هذا القانون ليس الشريعة الإسلامية، وإنما أصل القرآن، فالشريعة قانون مرحلي، خدم مجتمع مابعد الجاهلية، وقد كان ذلك المجتمع محدود الحاجات والطاقات، عاش تحت الوصاية . . . وهذا التشريع لا يصلح اليوم لإنسانية هذا العصر ذات الطاقات والمقدرات الكبيرة، والقرآن الكريم يحوي نصوص تصلح لإنسانية اليوم، لما توفره من حريات، وقد كانت تلك النصوص أكبر من إستطاعة الإنسان في ذلك الزمن، وإعتبرت منسوخة، وجاء في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْهِهَا نُؤْتِ بِمِثْلٍ خَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ (سورة البقرة)، والنسخ في فكر الأستاذ محمود، إرجاء، وليس إلغاء، إرجاء إلى حين أن يحى المجتمع الذي يستطيع تحمل مسؤوليتها، وقد

جاء الوقت الآن . والنصوص هي مثل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ (سورة الحجرات)، وعلى مستوى هذا النص ، تتساوى النساء مع الرجال ، حيث لا تفضيل للرجل على المرأة ولا المرأة على الرجل إلا بحسن الخلق ، وطيب المعشر ، وهذه درجات أخلاق ولا يقع بها تمييز في القانون راجع (كتاب الرسالة الثانية من الإسلام) .

وضع المرأة في الشرق الأوسط:-

في المجتمع الشرقي المسلم ، لا تحظى المرأة بالمساواة مع الرجل أمام القانون ، وإنما ينظر إليها على أنها مواطن من الدرجة الثانية . . . وتبعاً لهذا فهي تعيش تحت وصاية الرجل وحقوقها مستمدة من حقه عليها ، وللرجل الحق أن يتزوج أربعة زوجات وأن يطلق أي مهن في أي وقت شاء . . إلخ ، ومن الفكر الذي جاء به الأستاذ محمود وبتعمقه في كتاب الله ، وفهمه لسنة النبي الكريم ثم إحاطته بالعلم المادي الحاضر ، الذي نعيشه الآن . وجد أن قوانين الأحوال الشخصية (القانون الذي ينظم علاقات الأسرة) ، في الزواج والطلاق . . إلخ ، المطبق في المحاكم الآن ، أصبح دون مستوى المرأة في الوقت الحاضر ، وأن الدين لم يحى ليقيد الإنسان ، وإنما جاء ليسمو به . . وإن الحياة متطورة دوماً ، وأن هذا التطور هو من فعل الله في الوجود . . ومن هذا التطور ، فقد تمكنت المرأة من العلم المادي ، وفاقت الكثير من الرجال ، في كثير من نواحي الحياة فهي الطبيبة ، والمهندسة ، والزراعية ، والإدارية ، والمحامية ، فليس من العدل أن تمتاز في كل هذه المجالات ، ثم يضعها المجتمع في الدرجة الثانية ، ويجعلها على النصف من الرجل . . كما وجد أن القرآن في أصله ونصوصه الثابتة ، لم يظلم المرأة بل أعطاه المساواة ،

وذلك في جميع النصوص المكية، التي أشير إليها أعلاه، فعلى المجتمع دور يقوم به وعلى المرأة دور تقوم به، عليها أن تسهر على حماية حقها، وأن تستحقه دائماً بتحقيق المزيد من الكفاءة، وأن لا تستكين للظلم. . . وعلى المجتمع أن يعترف بما حققته من تفوق، وإعانتها على تحقيق المزيد من التفوق والمساواة. . . أولاً: أن يقوم التشريع على رفع القوامة عنها، لتحال على القانون الدستوري. . . بأن تصبح شهادتها مساوية لشهادة الرجل، بناء على الآية الكريمة ﴿... لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (سورة النساء)، كذلك يقوم الزواج على المرأة الواحدة للرجل الواحد، من غير مهر مادي يدفع للمرأة، ومن غير طلاق يقع بينهما، وإذا احتاجا للطلاق لهما الحق المتساوي فيه، وفقاً للضوابط الواردة في كتابي (تطوير شريعة الأحوال الشخصية) و(خطوة نحو الزواج في الإسلام).

مجتمع الأخوات الجمهوريات:

مساواة النساء بالرجال وتحسين وضع المرأة في المجتمع، والحياة عامة عند الأستاذ، لم يكن مجرد شعارات، بل كان عملاً جاداً، يغوص في الأعماق لإجتثاث كل رواسب الماضي، وعقد النقص، المترسبة في نفس المرأة، والتي كبلتها بها المجتمعات السابقة، التي كانت تعمل بعوامل قوة الساعد، وليس قوة العقل والخلق، فالمرأة الجمهورية تنتفع من طريق النبي محمد صلى الله عليه وسلم بتقليده في العبادة، كما ينتفع منه الرجل، تصلي الأوقات الخمسة وتقوم الثلث الأخير من الليل، وتصلي بإمامة إمراة، وتشارك في تشييع الموتى، وتوقع على

عقد زواجها . وتشارك في المسيرات ، وتقوم بالعمل الفكري في نشر الدعوة ، في كل المجالات بثبات وبفكر ثاقب ، كما سنرى التفصيل فيما يلي . .

لتحقيق تلك الأهداف السامية ، بدأ الأستاذ بإنشاء مجتمع صغير من الأخوات الجمهوريات ، رُتبت فيه الأخوات وفقاً لفمهن للفكرة الجمهورية ، وطاقاتهن الروحية ، ونشأ مجتمع نسائي سالك ، وفقاً للدين في أصله ، على طريق النبي صلى الله عليه وسلم ، يؤدين الصلوات في أوقاتها بإمامة الأولى منهن ، وفق الترتيب الذي وضعه الأستاذ للأخوات ، ويقمن الثلث الأخير من الليل ، ويحاولن جاهدات تطبيق هذه الصلوات في المعاملة ، كما قال النبي الكريم " الدين المعاملة " . ولتحفيز الأخوات الجمهوريات للعمل وفق طريق النبي صلى الله عليه وسلم ، كان الأستاذ يؤكد لهن دائماً ، أن طريق النبي ملزم للنساء ، كما هو ملزم للرجال ، وعلى هذا الأساس كان يعمل لقيام مجتمع تتساوى فيه النساء مع الرجال . ولقيام ذلك المجتمع لابد من فترة إعداد يبذل فيها جهد بعمل منفرد مع المرأة ، حتى تلحق ما فاتها في مجتمع الرجال ، فإن مجتمع النساء قد وقع عليه كثير من القيود ، وهضم الحقوق ، مما رسب في المرأة الكثير من العقد ، والتردد ، والتشكك ، في مقدراتها الذاتية ، مما جعلها تحتاج لفترة تربية ، وإعادة صياغة ، تستطيع أثناءها التحرر من القيود ، والخوف ، والعقد ، والرواسب القديمة ، وذلك وفق العمل على طريق النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أنشأ الأستاذ مجتمع الأخوات الجمهوريات على هذا النهج ، وكانت البداية الصغيرة بالنواة ، بتربيتنا نحن في الأسرة ، متمثلة في بنتيه وبنات أخيه مختار ، وبعض بنات الجمهوريين اللائي بترددن على منزل الأستاذ مع أسرهن .

في عام 1974 بدأ التكوين الموسع لمجتمع الأخوات الجمهوريات، فقد بدأ بعض الجمهوريين باحضار زوجاتهم وبناتهم إلى منزل الأستاذ، لحضور الجلسات التي كانت تقام في المنزل، وكذلك في الجامعات، والأماكن العامة، وكان حضور الأسر يزداد كلما إزدادت قناعة رب الأسرة بالفكرة الجمهورية، وهذا هو المعيار الذي كان يقيس به الأستاذ محمود مدى قناعة الرجل الجمهوري بالفكرة الجمهورية، فأسرة كل شخص زوجته وبناته، هو حرمة الأمن الذي يحرص على الحفاظ عليه، فإذا إكتمل يقينه بصحة الأمر، أدخل فيه أسرته. وعلى هذا النحو كلما إزدادت قناعة الرجال الجمهوريين، كلما توسع مجتمع النساء الجمهوريات، ولذلك فإن طابع المجتمع الجمهوري، هو طابع الأسرة الكبيرة فكانت، البداية أن كل جمهورية هي أخت أو زوجة أو ابنة لجمهورية، كما أن هذه الأسر أخذت تتزوج فيما بينها، على أساس أنه من الأفضل لكل جمهورية أن تتزوج من جمهوري، لأنه بناء على المبدأ - إذا توفر الصدق - أن الزوج الجمهوري يؤمن بحريتها وحقوقها ومساواتها مع الرجل، ستستمتع معه بحريات سوف لا تتوفر لها إن تزوجت برجل خارج المجتمع الجمهوري. هذه بصورة عامة شكل المجتمع الجمهوري.

في عام 1975 بدأ الأستاذ يقيم الندوات الداخلية للنساء، يحدثهن في حقوقهن، وقد بدأ بتقديم الندوات لمجتمعات النساء، بزيارة زعيمات الحركة النسوية من خلال الإتحاد النسائي، اللاتي كن يعملن بتنسيق مع السلطة الحاكمة، أو من يتولين مناصباً سياسية مع الحكومة، أنظر كتاب (الأستاذ محمود يحدث النساء في حقوقهن)، من سلسلة (عام المرأة العالمي 1975)، وقد كانت تلك

المحاضرات دائماً تقدم لها زعيمات الحركة النسوية في الأندية الثقافية العامة ، وفي المنازل وقد بدأ هذا النشاط في المدن الكبيرة مثل الخرطوم ، مدني ، والأبيض ، ثم أخذ تدريجياً ينتشر في المدن الأخرى وكان الأستاذ يشجع الجمهوريين لإحضار زوجاتهم وبناتهم ، ومن حولهم من نساء أسرهم ، لحضور تلك المحاضرات . وقد أصبح عدد النساء اللاتي يتوافدن على الندوات في إزدياد ، كما يزداد حماسهن ، ولعل الكثيرات منهن يسمعن لأول مرة أن الأسلام يمكن أن يشرع في الزواج ، المرأة الواحدة للرجل الواحد وأنه يمكن للمرأة أن تكون لها العصمة . . فسعدن كثيراً بهذا الرأي ، فقد عانى المجتمع السوداني كثيراً من ظاهرة تعدد الزوجات ، التي تثير الغيرة في نفوس النساء ، وتخلق البغضاء بين الأبناء ، وتقود أحياناً إلى تشرد الأبناء وتشتت الأسر . . .

ولما كان خروج المرأة وإختلاطها مع الرجال موضوع جدل في السودان ، فقد بدأت مشاركة المرأة الجمهورية في العمل العام مع الرجل لنشر الفكرة ، تتقدم بتعثر شديد . . وفي إطار المجتمع الجمهوري إزدادت أعداد الأسر التي أخذت تشارك في العمل الفكري في إطار المجتمع . . وعندما توسع مجتمع الأخوات شرع الأستاذ في تنظيمهن ، فوضعني في قمة التنظيم ، توالى الأخوات بعدي ، كل واحدة تلو الأخرى ، بحيث أن الأربعة الأوائل كن معروفات لدى المجتمع الجمهوري . .

كنا دائماً نجتمع حوله يحدثنا عن السيرة النبوية ، وعن أصل الدين ، وعن ما يدخره الإسلام لمستقبل النساء والرجال ، مما يزيدنا أملاً في الدين ، وتعلقاً به ،

ومنذ عام 1966 بدأ ظهور الأخت الجمهورية في الإستماع للمحاضرات ، إذ كنا نصحبه كلما سمحت ظروف المدارس بذلك .

خلال فترة السبعينيات كنا نصحبه في المحاضرات ، وكانت مهمتنا أن نحضر ومعنا كراسيات ونجلس في الصفوف الأمامية ، نستمع ثم نسجل المحاضرات كما ذكرت سابقاً ، وعلى هذا النهج أخذ عدد النساء المقبلات على الفكر الجمهوري في إزدياد ، وهن دائماً من الأسر المسئول عنها جمهوري . . أذكر أن بعض الرجال ، الحضور في المحاضرات ، كانوا يعترضون على جلوسنا في المقاعد الأمامية ، إذ أن المتعارف عليه في المجتمع ، في العهود السابقة ووفق الشريعة ، أن المرأة مكانها في الصفوف الخلفية . . ولكن كان الأستاذ يتصدى لهؤلاء ، ويدافع عن وضعنا دفاعاً قوياً ، معتمداً على أصل الدين وقيم العصر ، ثم التفوق الذي حققتة المرأة في العصر الحالي . . كان يصر على تقديمنا حتى في السير في الطريق ، كان أحياناً يمشي خلفنا وأحياناً يمشي أمامنا حتى يسهل لنا المرور في الطريق العام .

كثيراً ما كان يحدثنا الأستاذ عن حقوق المرأة ، وما إدخره الإسلام لها ، كان حديثاً عميقاً وممتعاً ، مما زاد تعلقنا بالفكرة الجمهورية ، وثقتنا بالإسلام ، وبالأستاذ وبأنفسنا . وقد عمل بجد شديد ودقة في إعداد المرأة الجمهورية ، وكان إعداد المرأة أوكد عنده ، وأهم من إعداد الرجل وقد أوضح ذلك في إفتتاحية باب المرأة بجريدة الجمهورية عام 1954 حيث قال :

(هذا باب المرأة ، وهو باب نحب أن يدخله الداخلون سجداً ، ذلك بأنه يعالج شأناً هو أخطر شئون الأرض على الإطلاق وهو المرأة . . والمرأة في الأرض

كالقلب في الجسد ، إذا صلحت صلح سائر الأرض وإذا فسدت فسد سائرها . .
إن المرأة في حقيقة النظام المتمدن أولى بالعناية من الرجل إن صح أن هنالك أولوية
بينهما ، ذلك بأنه يتأثر بها ، أكثر مما يؤثر فيها ، وإن خيل له غروره غير ذلك .
وحين تعرف المرأة سبيل المكارم ، تنشئ على سمتها الرجل طفلاً ، وتحمله على
جادتها زوجاً ، وتغريه بها في جميع مسالك الحياة ، وهو أجنبي عنها . .

إن حواء حين أغوت آدم ، أغرته ، ثم لم يستعصم وهي لم تغره إلا وهي
تبغي به الخير ، ولكن جهلها كان وبالاً عليه ، وعليها . وهو لم يستعصم من
غوايتها لأنها رسالة حياة ، تدعو إليها في إلحاح متصل ، حتى لكأن كل جارحة
من جسدها ، لسان يلهج بالدعوة ، فآدم طالب حياة في المكان الأول ، وكل الناس
طلاب حياة ، فمن لم يستجب للحياة ، لا يستجيب لشيء . . ولو أن حواء عرفت
سبيل الحياة ، لكانت دعوتها لآدم دعوة صالحة لاغواية فيها ، ولا عصيان . فلو
تعلمت حواءتنا ، لرشد آدمونا . . فأنتك إن تعلم امرأة تعلم أمة ، وإن تعلم
رجلاً ، تعلم فرداً . . أنصار المرأة وخصومها ، إن صح للمرأة خصوماً بالمعنى
الصحيح ، مدعوون للكتابة في هذا الباب ، على أن تكون كتابتهم صادرة عن علم
يقين ، وعن عقل سديد ، وجد لاعتب فيه ، ولا فضول .

محمود محمد طه

إفتتاحية باب المرأة بجريدة الجمهورية (1954م) إنتهى .

كان مثل هذا الكلام يثير فينا الشعور بإحترام إنسانيتنا ، وبعزتنا كبشر ،
ويجب لنا الحياة ، هذا شعوري بصورة مؤكدة ، كما كنت ألمسه عند عدد من
الأخوات الجمهوريات . ففي الفهم الديني الجمهوري ، المرأة ترمز إلى النفس
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ

الَّتِي قَسَّةٌ لَّوْنَ بَيْدٍ وَالْأَرْحَامُ لَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (سورة النساء)، كذلك الجانب الأيمن يرمز إلى الروح، والجانب الأيسر إلى النفس، في مضممار هذا الفهم الذي يطرحه الأستاذ، حكى لي الأستاذ ذات مرة، أنه في فترة الخمسينيات أثناء عمله مهتدس في المشاريع الزراعية، كان في ذات مرة يغادر الباخرة النيلية في منطقة الجبلين، وقد رست الباخرة على الشاطئ في مكان فيه خلية نحل فأهاجت النحل، وعندما نزل من الباخرة كان يحمل حقيبته بيد، ويحمل (السيبا) بيد أخرى، وعند نزوله تجمع النحل المهتاج بأعداد كبيرة في الجانب الأيسر من رأسه ووجهه، وقد كان لسعه مؤلماً، وعندما رجع إلى منزلته أزال النحل من رأسه، وقد كان مثل وخذ الأبر، قال أنه أخذ المغزى البعيد من تلك الحادثة هو أن يولي الجانب الأيسر منه جانب النفس عناية أكبر، والنفس كما ورد ترمز إلى المرأة، ولذا قرر أن يولي جانب المرأة إهتماماً أكبر بالتعليم والترشيد، وقد فعل. وهكذا كان دائماً يركز على الجانب العملي وينزل المعارف إلى أرض الواقع لتغيير الحياة للأفضل.

تنظيم الأخوات الجمهوريات..

في عام 1974 إتسعت أعداد الأخوات اللائي إلتزمن الفكرة الجمهورية، وقد أخذ الأستاذ في تنظيمهن تنظيمًا منضبطًا كنت على رأسه، ثم بدأت مشاركة الأخت الجمهورية في الحركة العامة لنشر الفكرة الجمهورية أسوة بالرجال الجمهوريين في اركان النقاش وإلقاء المحاضرات والندوات، في الجامعات وفي دور العلم، والطرق، والأسواق، والأحياء، والأماكن العامة. وكان حتى ذلك الوقت قد أعد كوادر معتبرة منهن. كانت طبيعة الحركة تتمثل في خروج الأخوات الجمهوريات، في شكل (أتيام) صغيرة، يتكون كل (تيم) من اثنتين أو ثلاث، يحملن كتب الفكر الجمهوري، طليعتهن واحدة هي رئيسة (التيم)، وهي

التي تعرض الكتاب وتتحدث عن محتواه، وتدبر الحوار حوله، وكان الغرض من هذا العمل هو توصيل الفكر الجمهوري للعامة، فكل من يفتني كتاباً يطلع على محتواه، وكذلك عضوات (التييم) يستفدن من الشرح، إذ يمكنهن في المستقبل من قيادة أتيام ماثلة، وكان عائد الكتاب المادي، الذي هو مكتوب على الغلاف الخلفي الخارجي يساعد في تسهيل حركة الكتاب، بطبع النسخ المقبلة منه، وتنشيط الحركة في تكلفة الورق والطباعة والتخزين والترحيل وغيره. . لذلك لم يواجه الفكر الجمهوري مشكلة تمويل، فالكتب تمول نفسها، كما أن الأعداد الكبيرة التي تشترك في نشر الكتاب، معظمهم لا يأخذون أجراً (وإن كان القلة يأخذون، وهم المتفرغون للعمل)، فالغالبية لهم وظائفهم في الدولة وأعمالهم الخاصة. ولهذا لم تحتاج الفكرة الجمهورية لدعم خارجي وقد كان بعض الناس عندما يلاحظون الحركة المتواصلة والنشاط الدؤوب يظنون بأن الفكرة الجمهورية تتلقى دعماً خارجياً وقد زار الأستاذ في منزله أحد المثقفين من الذين سمعوا بتلك الشبهة وعندما خرج من الصالون والأستاذ يودعه رأى البساطة في المنزل فسمعه الأستاذ يقول لنفسه: (شوية بروش وباريق والله لا تحتاج لدعم خارجي)، فالروح العالية والطاقات المشحونة والهمم كانت تحيل للشخص العادي ان هنالك دعماً خارجياً، بل أكثر من ذلك أن الأستاذ كان لا يقبل اي نوع من المساهمات المادية من الجمهوريين غير المخلصين وغير المجودين للفكرة. . كانت الأخوات يشاركن على قدم المساواة مع الرجال، وقد كانت حركة النساء ملفتة للنظر، ومثيرة للجدل، أكثر من حركة الرجال، فقد هاجمنا الكثيرون، وكتب البعض عنا في الصحف كتابات مسفه، وأعتقد البعض أن الفكرة الجمهورية تستغل النساء للترويج للكتاب. ومع ذلك لم تغب عن الساحة الأصوات والأقلام الذكية، التي

كانت تشيد بالمشاركة الفكرية للمرأة. . كان الأستاذ يولي النساء الجمهوريات الكثير من العناية ، والمزيد من الإهتمام ، فضمن سلسلة عام المرأة العالمي ظهر منشور وكُتِبَ يشرح هذه الظاهرة ، تحت عنوان : (لماذا وكيف خرجت المرأة الجمهورية للدعوة للدين؟؟) . . تشارك المرأة الجمهورية على قدم وساق مع الرجال الجمهوريين في نشر الفكر اجمهوري فبعد العودة من العمل الميداني ، كانت تعقد يومياً جلسة في منزل الأستاذ ، يستمع فيها لتقارير العمل ، يبدأ بالاستماع للأخوات أولاً ، وكان عليّ أن أدلي بتقرير عن الحركة ، وما دار في الميدان ، ثم يليني القيادي على تنظيم الأخوان ليدلي بتقريره ، وبعدها تتوافد الأخوات والأخوان في الإدلاء بتقاريرهم ، بما دار بينهم وبين من قابلهم من المواطنين ، وتختتم هذه الجلسات اليومية بملاحظات الأستاذ وتعليقاته وتوصياته على ما دار بين الجمهوريين ، وعامة الشعب ، وكان يصحح بعض الأخطاء التي وردت في النقاشات والأراء ، ويركز على تصحيح الأخطاء في قراءة الآيات القرآنية ويطالب كل فرد وبتأكيد شديد ، بتجويد حفظ الآيات ، وكان يقول لا توردوا القرآن إلا بعد أن تتأكدوا من صحة حفظه ، فإن الخطأ في النص القرآني يضعف ، ما توردونه من أراء وحجج وأن هناك نوراً يصاحب النص يخرج من فم القارئ ، ينقطع هذا النور عند الخطأ وكان يؤكد أن إستقامة السلوك مثل الأمانة ، والصدق ، وتجويد الصلوات ، هو الذي يفتح طريق العلم والمعرفة للجمهوري ، وأن الحقيقة كامنة في نفس كل فرد بشري ، ولذلك عندما نكون أمناء ، وصادقين ، تخرج منا هذه الحقيقة ﴿... وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة) . . من أجل هذا كان يقيم جلسات للسلوك ، تجمع الأخوان

والأخوات ، يتحدث فيها عن الإستقامة ، ويصحح أخطاء الممارسة ، وكان دائماً يردد بيت الشعر العرفاني :

شكوت إلى وكيع ، سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال فأعلم أن العلم نور ونور الله لا يوهب لعاصي

كان دائماً يوجهني بإدارة الجلسات الداخلية السلوكية للأخوات ، وهي جلسات تقام في الصباح الباكر بعد صلاة الصبح مباشرة ، للأخوات المقيمات في منزل الأستاذ ، فكنت أصلي*⁽¹⁾ بهن الصبح ، وبعد الصلاة أطرح موضوعاً يصلح للنقاش وكان يشير عليّ في بعض الأحيان ببعض المواضيع التي يرى ضرورة طرحها ، وهي أحياناً تبنى على ملاحظاته الخاصة ، وبعد طرح الرأي ، يطرح الموضوع للنقاش ، حيث تدلي كل واحدة برأيها ، وكان الحديث يجري بنظام شديد ، فمهما كان الخلاف في الرأي لا يجري الحديث من اثنتين في وقت واحد ولا صوت مرتفع ، وكان ذلك يجري أحياناً برفع الأصبع ، أو أن تتحدث الواحدة تلقائياً حين تحس أن التي قبلها قد توقفت عن الحديث ، بعد نهاية الجلسة اقوم بتلخيصها ، كان يطالبني ويحرص على أن أخلص الجلسة ، وأن أركز وأبلور الرأي الذي أراه صحيحاً ثم أعرضه عليه ، وكان يصحح كثيراً من الآراء أو يوافق عليها . وفي ذات مرة لم أخلص الجلسة ونهيتها بعد حديث آخر متحدثه ، وقد انبني على ذلك وقال لي كيف تتركي الجلسة هكذا لا بد من ختم الجلسة ببلورة الرأي الصحيح .

(1) الأخوات الجمهوريات يصلين الأوقات جماعه بامامه واحده منهن .

مواضيع جلسات الأخوات:-

مواضيع جلسات الأخوات الصباحية هذه تكون سلوكية وتطبيقية ، وكان الأستاذ يؤكد دائماً على ضرورة الصدق وأحسن طرق التعامل الحضاري ، والخلقي بين الناس ، مثل كف الأذى وإحتمال الأذى والكرم والتواضع ، وبذ الأنانية ، فالطريق لسعادة كل شخص يمر عبر إسعاده للآخرين ، ويجيء الشقاء بالحرص على إسعاد الذات ، وعدم التفكير في الآخرين ، وكان يركز دائماً على المحبة (الله محبة) . كما كان يكرر ويؤكد دائماً أن المجتمع الجمهوري يجب أن يكون متسامحاً ، ومحباً لأفراده ولخصومه في الرأي . . وعلى هذا النمط كانت تدور الأحاديث وتقام الندوات ، وقد تستمر لعدة أشهر . .

كانت توجيهات الأستاذ للأخوات على الطريقة المثلى لتعايشهن داخل المجتمع ، ومظهرهن العام ، توجيهاته في هذا الشأن تصل إليهن عن طريقي ، إذ أنه كان يرى في كثير من الأحيان أنه ليس من الضروري أن يتحدث معهن مباشرة ، في مسائل قد يكون فيها بعض الحرج . كانت معظم هذه التوجيهات توصيات بالالتزام بالزّي وفق ما دعا له . . هذا لا يعني أنه لم يكن يتحدث إليهن ، بل كان يتحدث إليهن كثيراً في مواضيع عامة يحددها ، ويجيب على أسئلتهن وكانت غرفته دائماً تزدحم بهن لينهلن من العلم وقد أسمى منزله (منزل الأخوات) كما ورد أعلاه .

إهتم كثيراً بتعليم المرأة ، ويفرح لأي نجاح تحقّقه في الأسرة ، أو في أي جزء من أنحاء المعمورة ، مثل مواقف أنديرا غاندي ، ومارجريت تاتشر . . إلخ ، وكان

بشيد بشجاعة مارجريت ناتشر ووضوح وقوة مواقفها . وعندما ترشحت السيدة فرارو لرئاسة الولايات المتحدة في الثمانينات ، كان فرحاً بذلك الخبر ، وكان يتابع سير الانتخابات الأمريكية لمعرفة موقفها .

شجعني على التعليم الجامعي وما فوقه كما ورد في الصفحات السابقة ، وشجع تعليم الأخوات وإهتم كثيراً بنجاحهن ، وقد كانت جدران غرفته تزدان بصور تخرج الأخوات اللائي أكملن تعليمهن الجامعي ، وكان هذا العمل يحفز باقي الجمهوريات لإكمال تعليمهن ، حتى تضاف صورهن إلى الخريجات .

الإختلاط داخل المجتمع الجمهوري :-

الإختلاط في المجتمع الجمهوري كان يسير بحذر ودقة ، وبخطوات وثيدة تحت رعاية الأستاذ ، فلم يكن ذلك المجتمع منعزلاً ، كما أنه لم يكن مختلطاً على الطريقة الأوروبية المفتوحة ، بل كان نموذجاً جديداً ، يقوم على العفة والعلم ، وكان يقول لنا دائماً : (ليس هناك أفضل من المرأة العفيفة ، إلا أخرى أكثر منها عفة) ، كما يحرص على حق المرأة في المشاركة التامة في المجتمع ، والإستمتاع بجميع الحقوق القانونية كأنسان كامل الوجود . . كان الأستاذ يحفظ التوازن بدقة في إنتقال المجتمع الجمهوري من مجتمع منعزل إلى مجتمع عالم مختلط على غلط خاص من العلم ، فكلما نهلت المرأة من العلم والتربية ، كلما نالت درجات أزيد من الإختلاط ، فمثلاً كانت الأخوات يشاركن في النقاش الفكري الذي يدار في غرفة الأستاذ ، وفي صالون المنزل ، أسوة بالرجال ، ولكن كن يجلسن في جانب من الصالون حين يجلس الأخوان على الجانب الآخر ، وحين يكون الصالون ممتلئاً بالرجال ، تتسع الجلسة ويمتد جلوس الأخوات إلى الفناء الخارجي أمام الصالون ،

ويتخذ الأستاذ موقعاً وسطاً بين الأخوان والأخوات ، أنظر (الصور) ، (مقال هنري كودري) .

أصبح منزل الأستاذ المقر الأوحـد لحركة الأخوات الجمهوريات في الخرطوم . كانت تقيم في هذا المنزل إلى جانب الأسره بعض الأخوات اللاتي لم يتوفر لهن قسط من التعليم ، وهن في معظم الحالات من أقاليم السودان ، خارج الخرطوم ، فقد رأى أولياء أمورهن أن أفضل وضع لهن أن يقمن مع الأستاذ ، لينهلن من العلم والمعرفة ويتلقين التربية الدينية السليمة ، وكذلك الفرص في حياة أفضل ، ليلحقن بالركب . . . وأن تواجدهن في المجتمع الجمهوري أفضل لهن ، من وجودهن في المجتمع العام . . كما كانت تقيم في هذا المنزل بعض الطالبات في الثانويات العامة والعليا ، اللاتي لم تتوفر لهن فرص التعليم في المدن الأخرى ، وقد سعى الأستاذ سعياً حثيثاً في إيجاد الفرص لهن ، لمواصلة تعليمهن في الخرطوم ، حيث فرص التعليم أكبر والمدارس أكثر ، وفعلاً تم إستيعابهن في التعليم الأهلي والخاص ، وكان الأستاذ يشرف على تعليميـهن ويقوم بأعباء دراستهن ، كما يوفر لهن كل إحتياجات الحياة ويجدن الرعاية والعطف في منزله فأصبحن ينادين بـ (أبوي الأستاذ) وهي كلمه تعني الوالد بالدارجية السودانية . . وقد سعى الأستاذ لتصعيد تعليميـهن حيث أدخل بعضهن جامعة القاهرة فرع الخرطوم .

وأيضاً كان هناك كثير من الجمهوريين ، يفدون من الأقاليم إلى العاصمة لتمضية إجازاتهم ، وللمشاركة في نشر الدعوة ، فقد كان الرجال يقيمون في منازل

الأخوان المرقمة (أ، ب، ج، د)⁽²⁾، حين تقيم أسرهم، الزوجات والبنات والأخوات في منزل الأستاذ، حيث كن يشاركن في العمل العام، وفي العمل المنزلي وإعداد الطعام للأعداد المتزايدة دوماً .

في أوقات المؤتمرات السنوية التي تقام في الخرطوم، كانت هذه الأعداد تفوق المئات، كنت احاول أن أوزع بعض الأخوات في منازل القيادات المجاورة إلى منزل الأستاذ لتخفيف الضغط على منزل الأستاذ، ولكن الجميع يفضلون القرب منه والعيش في أصعب الظروف في منزله حتي نهاية المؤتمر. في مرة قلت له أن المكان في المنزل أصبح ضيقاً والأعداد كبيرة لايسعها المكان، فمد يده وقال لي وسعيه، وكان الأمر عجبياً فعلاً، كل الأعداد الكبيرة ظلت في منزله البعض يفترش الأرض ليلاً وينام، ومع ذلك وسعهم المنزل وهم سعداء. وبعد إعتقالات 1983 كان رجال الأمن يسألون كل واحدة من الأخوات أين تسكن فتنقول في المنزل رقم 242 بالثورة، وهو منزل الأستاذ وكانوا يعلقون (هو المنزل ذا اصلو شنو شايل الناس ديل كلهم).

مؤتمرات الفكر الجمهوري كانت تمثل قمة النشاط والعمل الجماعي المتصل، وكان الأستاذ كعده دائماً لايعرف الراحة يقوم بتنظيم الحركة، ويتابع تحركات أتيام العمل، ويستمع إلى تقارير العمل الميداني، ويعالج برفق وسعة أفق كل الأخطاء، التي تكون قد وقعت من الجمهوريين أثناء تبليغ الفكر الجمهوري للمواطنين. كان يعمل لنشر الفكر الجمهوري، ولكنه دائماً كان يرفعى المواطن المستمع الذي توصل له الدعوة ويأمر بلطف وحسن الخطاب له، ... وقولوا

(2) وهي عبارة عن منازل مؤجرة في مدينة أم درمان وبعض مدن السودان، يقيم فيها الأخوان.

لِلنَّاسِ حُسْنًا... ﴿٨٢﴾ (سورة البقرة)، ويطالبنا أن لانكون حريصين على أن نتنصر بالرأي على المواطنين، وأن لانسعى لهزيمة خصومنا الفكريين، بقدر ما نترفق بهم ونوصل لهم كلمة الحق (الدعوة أساساً للإصلاح). وقد أعجب الأستاذ بتعليق احد المستمعين إلى ركن نقاش كنت قد قدمته، هو الأستاذ إسامة النحاس الذي قال معلقاً: (بتول تمتص الغضب وتعطي علم) وأخذ الأستاذ يستشهد بذلك التعليق كثيراً ويوجه الأخوان بقوله (امتصوا الغضب واعطوا علم ولا تنتقموا لأنفسكم من المعارضين).

كان أثناء هذه المؤتمرات وفي كل الأحيان يركز على ضرورة تميز الأخت الجمهورية، من حيث السمات والمظهر الذي لا بد أن يدل على عقلها، وكان يوصي الأخوات بالعلم والخلق، ويرى أن الجمهورية يجب أن تثير إنتباه الناس إليها بخلقها وعلمها ودينها، وأن تبدو للمجتمع كإنسانه، وليست كأنتى أنظر كتاب (تطوير شريعة الأحوال الشخصية - وصيتي للنساء -)، وتطبيقاً لهذا النهج كانت الأخت الجمهورية حين تخرج من منزلها، تلبس الثوب الأبيض والفستان المحتشم تحته، ولا تكثر من الحلى، والتزين، مثل بقية النساء، كما لا تصفف شعرها بطريقة ملفتة، أنظر كتاب (الزى عنوان عقل المرأة وخلقها) من سلسلة عام المرأة العالمي (1975). . . والصور في هذا الكتاب التي تظهر مشاركة الأخوات في الحركة الميدانية.

العقبات التي كانت تواجه قيام مجتمع للنساء الجمهوريات:-

لم يكن من السهل إقامة مجتمع نسائي منظم، لانحداه حدود صارمة عن مجتمع الرجال ثم يكون منضبطاً. تلك عملية شاقة وقد عانى منها الأستاذ بنفسه القدر الذي عاناه من المعارضة الخارجية، كما عانيت أنا، وكان يقول عندما

يتحدث عن مجتمع الأخوات انه : (عبر التاريخ لم يعرف للنساء مجتمع فكري منظم له قيادة ، وله قاعدة تطيع كل واحدة فيه من هي أعلى منها . .) . فقد كانت علاقات النساء في الماضي تدور دائماً حول المنافسة على الرجل ، ولعل السبب في ذلك أن للرجل الحق أن يتزوج بأربعة زوجات ، كلهن يتنافسن على حبه وإرضائه ، ولم يكن أفق المرأة ولا تطلعاتها ، ولعهود طويلة ، يتعدى أكثر من الحصول على زوج ثم الفوز برضائه ، ليس بسبب الحب ولكن من موقع ضعف وخوف ، فهي لم تكن لتتعلم ، وإن تعلمت لاتتعلم إلا في حدود أو بالقدر الذي يؤهلها لتكون زوجة مطيعة ، أما أن تحقق رصيذاً من العلم والرقي الإجتماعي لنفسها فهذا نادر الحدوث . . ولذلك كانت إقامة مجتمع يحقق للمرأة كيانها الخاص ووضعها الفكري لم يكن أمراً سهلاً من جميع النواحي .

عملية ترشيح الأخوات الجمهوريات في المجتمع الجمهوري:-

كانت عملية الترشيح والتوجيه من الأستاذ للأخوات تتم بأن أنقل عن الأستاذ للأخوات التوجيه للواحدة منهن أو للمجموعة ، من خلال الجلسات الخاصة بهن ، وكان يدور حول ذلك التوجيه (حين يكون عاماً) الكثير من النقاش وتقليب وجهات النظر المختلفة ، وكان يأمرني بتنفيذ الأمور العامة ، فمثلاً مسألة الزبي المحدد الذي تلتزمه الأخت ، فإذا حادت عنه إحداهن ولو بقليل ، كان يطالبني في ذلك اليوم أن لاتخرج للعمل الميداني لحمل الكتاب الجمهوري ، ومناقشة الفكرة الجمهورية مع الجمهور . . وحينما يجتد النقاش وتتباعد وجهات النظر في بعض الأمور ، كنت أنقل له ذلك الخلاف ، وكان يحسم الموضوع برأي صائب يقبله الجميع وفي هذا الجانب أذكر أنه قال للأخوات في إحدى

الجلسات: (بالطبع أنا لا أكون معكم في داخل المنزل، فأنتن عندما تنصرفون من هنا (يعني غرفته) تكونن في مكانكم الخاص، وبتول هي عيوني معكم داخل المنزل .)، أيضا كانت تدور النقاشات حول المواضيع الفكرية المختلفة، ويرجع الأمر إلى الأستاذ ليوحد بين جميع الآراء في دقة ولطف كان يتحدث دائما عن الانضباط والالتزام الشديد في التعامل ويقول لنا (بينكم جمهورين ما جمهورين اعملوا حسابكم) كان يعلم ان هناك من دخلوا بيننا وهم ليسوا بجمهورين بعضهم منسوبون لجهاز أمن الدولة ويتجسسون عليه وبعضهم ينتمي إلى جهات معارضة للفكر الجمهوري دخلوا لبيثوا السموم داخل المجتمع، كان يعرفهم ويعاملهم بصدق وإخلاص وعطف، فهو يعرف مكن مرضهم ولا يظهر لهم أنه يعرفهم، وقد لاحظ بعض الأخوان ان هناك أشخاصا غير معروفين لدينا يحضرون الجلسات ويحملون أوراقا ويسجلون مايدور فيها، وأخبروا الأستاذ بذلك فقال (نحن واضحون وليس لدينا ما نخفيه).



مشاركة الأخوات الجمهوريات في حملات توزيع الكتاب والدعوة



الأخوات الجمهوريات في المعارض والفرح بادياً عليهن



أسماء وبعض الأخوات الجمهوريات في المعارض



عرض الكتاب على المارة

أحد المارة يستلم الكتاب من أحد أتيام الأخوات



د.بتول (المؤلفة) مع الأستاذة أسماء



الأخوات الجمهوريات في أحد المعارض



الأستاذ محمد بشرف علم أتيام حملات الكتب



الأستاذ وأمناء الأخوات الجمهوريات



الأخوات الجمهوريات ينشدن ويسجلن الإنشاد العرفاني



الأخوات الجمهوريات داخل البص في الطريف لحملة الكتاب



صورة جماعية لأتيم الأخوات في حملة الكتاب لمنطقة الخرطوم بقيادة المؤلفة



الأخوات الجمهوريات في حملة الكتاب يشرحن الفكرة للمارة



سميه محمود تشرح موضوع الكتب لأحد المارة في الطريق العام



الأخوات يشرحن موضوع الكتاب للمارة في الطريق العام



الأخوات يتحركن للعودة بعد نهاية حملة الكتاب في الخرطوم



الأخوات يعرضن كتب الفكرة على المارة



حمل عصاه على عاتقه يستمع إلى الهدى



الأخوان والأخوات والأيادي مرفوعة يودعون الزاهيون إلى حملات الدعوة



ختام أحد المؤتمرات ووداع ورحيل الوفود الراحلون إلى مدتهم، أمام منزل الأستاذ



صورة جماعية للأخوات الجمهوريات أمام قاعة الصداقة بالخرطوم



صورة جماعية لأتيام حملة الكتاب من الأخوات والأخوان الجمهوريين أمام قاعة الصداقة بالخرطوم

كانت أعداد الأخوات في المنزل في معظم الأوقات كبيرة، ومع ذلك يتم الإشراف عليها بطريقة دقيقة ومرنة، وكان ليظمن أن كل واحدة منهن قد تناولت طعامها، مثلاً يحرص أن يتناولن الوجبات معه في سفرة واحدة. كل الوجبات أحياناً تتم داخل غرفته، أو في الصالون أو الفناء الخارجي، (الحوش) حيث توضع السفرة وهي (صينية كبيرة تسع عشرة أشخاص) على منضدة وحولها الكراسي، كان الأستاذ يتخذ موقعه في الوسط، وتتوالى الأخوات على تناول الطعام، كلما تنتهي مجموعة تقبل مجموعة أخرى، وهو لا يبرح مكانه، حتى تتناول كل واحدة منهن طعامها. . كان يوصي ولا يجبذ أن يسرع الشخص بالقيام من السفرة، خاصة إذا كان هذا الشخص هو صاحب المنزل ولتوكيد هذا المعنى، كان يحكي قصصاً لطيفة في هذا المجال، أذكر في مرة أني هممت بترك السفرة بعد أن أخذت كفايتي من الطعام، قال لنا مشيراً إلى موقعي (أن أحد الشيوخ كان يتناول طعامه مع مجموعة من ضيوفه فقام أحدهم قبل الآخرين قائلاً: " الحمد لله " فرد عليه الشيخ: الله غير محتاج لحمدك أبقي مكانك لتجامل الناس الذين يأكلون معك)، وكان هو يفعل ذلك مع أنه لا يكثر من الطعام ولكن يأكل ببطء حتى يمهل الجميع.

كذلك كان يرعى حالة الأخوات الصحية، في كل صباح يسأل كل واحدة عن حالها، إذا كان هناك من تشكو من أي علة، وإذا وجدت حالة، يستدعي لها الطبيب (من الجمهوريين) ويتابع العلاج بنفسه. . كذلك يوفر العطف والعناية اللازمة للأمهات وأباء وأطفال مجتمع الجمهوريين. بل أكثر من ذلك كان همه الكبير بكل السودانيين في كل أنحاء البلاد فقد كان يتابع ويحس بمعاناتهم وكان

حتى عندما يشرب الماء يحمل كوب الماء في يديه وينظر إليه ويقول : (مثل هذا الماء الناس في غرب السودان لا يجدونه) .

ويهذا الجهد المبذول من جانبه أصبح مجتمع الأخوات محدد المعالم، من القيادات إلى القواعد، هناك أربعة قيادات مرتبات، كل واحدة تلي الأخرى، ثم تتبعهن أخريات، كل واحدة تتولى المسؤولية في حالة غياب الأخرى، يقوم هذا الترتيب على الإمام بالفكرة الجمهورية والإعتقاد فيها والإمام بثقافة العصر، وفوق ذلك التقدم الروحي لكل منهن، ففي ذات مرة قال الأستاذ أنه يتابع تطور الأخوات الروحي والفكري، وذلك بتتبع سلوكهن وفهمهن لقضية المرأة، كما قال لي ذات مرة: (إنني أرى التطور الروحي لتلاميذي كما يرى الزيت في الزجاج). كذلك كان يفعل مع الأخوان وقد أصبح مجتمع الأخوان أيضاً محدد المعالم من القياديين، ويتميز عن المجتمع العام ولكن الأستاذ، كان يبذل مجهوداً أكبر، مع مجتمع الأخوات وذلك لأنهن لم يعهدن في التاريخ السابق العمل الفكري والديني المنظم، فليس لهن ماضي في هذا الجانب مثلما كان للرجال، ومن هذا المنطلق كان أكبر نصير فعلياً، وإيجابياً، للمرأة، وليفتح الطريق لعزة المرأة، عمل لإصلاح قوانين الأسرة، السائدة في المجتمع الآن، فقد رأى أن هذه القوانين قد أستوعبت حاجة المرأة، حينما كانت عاجزة وضعيفة وجاهلة، أما الآن ففي وقت تعليم المرأة وعزتها، وإزدياد حاجاتها وتطلعاتها، وتبؤها أعلى المناصب، فإن هذه القوانين تعمل على هضم حقوقها. ولذلك لابد من تطويرها وفي هذا الصدد أصدر كتابه (تطوير شريعة الأحوال الشخصية)، وطرح فيه الحلول الجذرية لقضية المرأة، وقد قصد هذه الشريعة بالتطوير، لأن الأسرة هي

نقطة الإنطلاق لكل فرد في المجتمع . لذلك عمل في هذا الكتاب ، على وضع اللبنة الأولى بالوضع المتساوي بين المرأة والرجل في الزواج ، وقد كان هذا الكتاب عميقاً وعالي النسق . . . لذلك في عام 1970 أصدر كتاباً مرحلياً يعتبر خطوة نحو ذلك الكتاب أسماه (خطوه نحو الزواج في الإسلام) ، شمل هذا الكتاب بعض الحقوق المرحلية للمرأة المستندة على الشريعة ، لتكون سُلماً ترتفع به لحقوقها الأساسية الكاملة في كتاب (تطوير شريعة الأحوال الشخصية) ، الذي يقوم على أصول القرآن ففي كتاب (خطوة نحو الزواج في الإسلام) ، كل الحقوق ملك للرجل ، كما هو قائم في الشريعة ، يتنازل عن بعضها بالتفويض للمرأة مثل تفويض المرأة في العصمة ، وشرط عدم تعدد الزوجات ، وكذلك عالج الحق المتساوي في حضانة الأطفال في حالة الانفصال ، وبهذا تكون المرأة قد وضعت قدمها في بداية الطريق لنيل عزتها وكرامتها . . وكان المقصود من هذا الكتاب أن تقوم على أساسه عقودات زواج كل من يرغبون في الزواج في تلك المرحلة من الجمهوريات والجمهوريين ، ولهذا العقد مميزات واقعية ، منها أنه يعطي المرأة حق أن تحضر عقد زواجها ، وتوقع على العقد ، أسوة بالرجل ، ويتحدث عنها وكيلها ، كما يتحدث عن الزوج من يوكله . . كما ورد في الصفحات السابقة ، عقد الزواج يتم في حفل بسيط يضم الأهل والأصدقاء من الجمهوريين ، ومن أسر الزوجين ، وتحضر العروس العقد ، وتوقع على قسيمة العقد ، وهذا على غير المهود في المجتمع السوداني . يقدم في هذا الحفل البلح وعصير الليمون ، ويقدم بعده شرحٌ مبسط لمعاني وأهداف ومحتويات العقد التي تضمنها كتاب (خطوة نحو الزواج في الإسلام) وتشتمل أن يفوض الرجل زوجته في حق الطلاق ، إذا شاءت تطبيقه ، على أن يتم ذلك بضوابط ، منها حضور الحكّمين ، وكذلك لها حق أن

تشرط عليه أن لايتزوج عليها، إلا للضرورة القصوى، مثل المرض المقعد، أو عدم الإنجاب، وذلك بعد الكشف الطبي، بتدخل الحكّمين في كل الحالات، كما هو وارد في الكتاب. يقابل هذه الحقوق أن تتنازل المرأة عن بعض الأشياء التقليدية، على أن يكون المهر رمزياً جنهياً واحداً، وتأخذ باقي المهر حقوقاً معنوية وأدبية. وقد أكد الأستاذ محمود مراراً، أن هذا العقد الذي حواه هذا الكتاب، ليس للجمهوريين، وإنما لعامة الشعب وأن زواج الجمهوريين يتم على كتاب. (تطوير شريعة الأحوال الشخصية)، الذي يتم من غير ولي، ومن غير مهر مادي مع وجود الشاهدين وتكون الحقوق المتساوية فيه بالأصالة، وليست بالتفويض، وكان يقول للجمهوريين في الجلسات ما معناه يجب أن توسعوا قاعدة الوعي وتنشروا الفكر الجمهوري في أوساط الشعب، حتى تتزوجوا على تطوير شريعة الأحوال الشخصية، وقد اعد قسيمة ذلك الزواج بقلم يده . .

فقد كان كتاب (خطوة نحو الزواج في الإسلام)، خطوة حقيقية لإكرام المرأة . . وقد بدأ الزواج على أساس هذا العقد في 11 ديسمبر من عام 1970 بزواج اكبر إخوتي، وقد إستمر الزواج على أساس هذا العقد في وجود الأستاذ بتدقيق وضبط شديد، في الفترة 1970 إلى 1983، حتى بلغ المئة زيجة، وقد كان الزواج على هذا العقد، نقطة تحول فعلية في علاقات النساء بالرجال في المجتمع الجمهوري وفي المجتمع السوداني أرتفع بالمرأة الجمهورية، عن مجال السطحية والتفاخر بالثياب والمجوهرات والمهر، إلى تحقيق الحقوق والكرامة، وقد كانت الزيجات أكثر في أوساط الجمهوريات اللاتي لم يتلقين قدرأً أوفر من التعليم الأكاديمي، واللاتي لم يعملن أو كن قد دخلن مجالات العمل في مستويات

بسيطة، وكان يحفز اللائي وجدن قدراً أكبر من التعليم لتحقيق سجل أعلى ثم الزواج بعد ذلك، وبفضل هذا الترشيح بلغت بعض الجمهوريات درجات أكاديمية وعلمية عالية، لم يبلغها الكثير من الرجال، وقد حفظ الأستاذ قدراً كبيراً للمرأة بتعليمه للأخوات، تدخل ذات مرة في بعض النزاعات التنظيمية وأمام عدد من الحضور قائلاً: (نحن، لولا المجتمع لوضعنا على رأس هذا التنظيم أخت)، وكل حين يقدم الأخوات إلى مواقع حساسة في التنظيم، وكانت أكبر هذه الخطوات، المشاركة الفكرية النامية في نشر الفكرة الجمهورية، فالقيادات منهن يقدمن المحاضرات، ويدرن أركان النقاش في الجامعات، والأندية، والأماكن العامة والأسواق، وكلها ندوات طويلة أو مختصرة، تشرح الفكرة الجمهورية ويبسطن أكثر معاني الفكرة صعوبة للمواطن العادي، مثل رأي الفكرة الجمهورية في صلاة الأصالة والتقليد والاشتراكية والديمقراطية، والمساواة بين جميع البشر لمقتضى انهم بشر، بصرف النظر عن ألوانهم وألسنتهم وأديانهم، وكان منظر الأخوات الجمهوريات في تلك الفترة، وهن يحملن الكتب في الأسواق، ويلتف حولهن الناس، منظرًا مألوفًا في شوارع الخرطوم. كل هذه الحركة كانت جديدة ولها طابعها الخاص، وحيويتها ومذاقها الفريد، الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ، ولذلك وتقديرًا لهذه الكوادر كان الأستاذ دائماً يقول: (مؤلفاتي تلميذاتي وبناتي). وكانت المرأة العاملة هي أعظم كتاب أخرجه الاستاذ للناس، لذلك كانت جميع الأخوات يتحمسن للخروج في هذه الحركة لحمل الدعوة والفكر (أنظر الصور) . . . أما على الجانب الآخر فقد سببت هذه الحركة فزعاً وإنزعاجاً شديدين للمعارضة السلفية، التي أخذت تترصد بالأستاذ والحركة الجمهورية.

الفصل السادس

طابع حياة الأستاذ وبرنامجہ اليومي

أوضح ملامح حياته ، هو تطابقها التام مع فكره ، دائماً تبدو عليه مسحة حزن ، لا يظهر فيها ضيق ولا ضجر ، تنفرج بإبتسامة تبرق ، فتضي وجهه ، كلما إستقبل ضيفاً ، فتشعر الضيف بالترحاب والأمان (أنظر الملحق " مقال هنري كودري ") ، جاداً في كل شيء . . ينظر دائماً بعيداً ، وينفذ كل شيء بقوة وحزم . كان يردد دائماً عبارة (أمرنا كله جد ، من أعطى الجد ، يعطى الجد) ، يكثر من التأمل والجلوس على مصلاه خاصة في أوقات السحر . . كلما مرت الأعوام كان يظهر أن فكرته هي همه الأكبر . الفكرة الجمهورية أصبحت تمثل كل حياته ، وكل شيء في حياته مستوعب في إطارها ، يقضي يومه في تنظيم الحركة ، تنظيم حملات الكتب والدعوة ، متابعة الحركة اليومية في الميدان ، الإطلاع على التقارير والجرائد الحائطية التي تكتب للجامعات ، الذكر اليومي أمام منزله ، والجلسات الصباحية والمسائية ، ومجاملة ضيوفه من جمهوريين وعامة الناس ، والصحفين ، يضاف إلى كل هذا تأليف الكتب . .

في بداية السبعينيات ظهرت منازل الأخوان ، فأخذ يشرف عليها ويتابع نشاط الأخوان ، وتحركاتهم من المدن الأخرى إلى هذه المنازل ، ويراجع كل شيء فيها . . كلما مرت السنوات كانت حياته تأخذ طابع التجرد للفكرة الجمهورية أورد فيما يلي نموذجاً من برنامجه اليومي :-

1) بعد صلاة الصبح ننصرف نحن الأخوات من حجرته إلى الصالون حيث الجلسة الصباحية للأخوات ، ونعود بعد نصف ساعة لننقل ما دار في تلك الجلسة . .

تستمر الأخوات في مجلسه ثم ينصرفن ويعدن لتحية الصباح والشاي وفي تلك اللحظات كان يسأل كل واحدة عن صلاتها في ثلث ذلك الليل ، ثم يسألها عن رؤاها في تلك الليلة ، كان يهتم بالرؤى ، لا يرسم عن طريقها المستقبل ، بل ليتعرف من خلالها على حالة الفرد النفسية ، ويصل عن طريقها إلى المخاوف ، والآمال ، والعقد النفسية . وكان يعمل لمساعدة كل من يعرف عنه شيئاً من هذه العلل ، ويسعى لتخليصه بشتى السبل التي يراها ، مثلاً إعادة الثقة بالله وبث الطمأنينة في نفوس الخائفين كتب احد الشعراء الجمهوريين (اراك فأزدهي أمناً * أراك فينجلي حزني) ، ويحدث كل فرد بتحويل همه على الله ، ويقول له : (أجعل الله همك يكفيك ما يهمك) ، وأحياناً يناقش البعض في تفصيل رؤاه بطريقة خاصة وفردية ، ثم يسأل كل واحدة من الأخوات عن حالها من الرضا بالله ، بطريقة فيها الكثير من الود والأبوة واللفظ ، كان يقول لها : (كيف حالك مع ربك ؟ مصالحة ولا مخاصمة؟) ، يعني راضية أم غير راضية بالله . . . كان يهتم كثيراً بعلاقات أفراد المجتمع الجمهوري ببعضهم البعض ، ويعمل لإصلاح ذات بينهم ، وكانت تلك أكثر مشاكل المجتمع تعقيداً . . .

2) فيما بين الساعة السادسة والنصف والسابعة صباحاً يجتمع كل من يتيسر له الحضور من الأخوان في صالون منزل الأستاذ ويبدأ هذا الجمع ، بحضور الأخوات المقيمات بالمنزل ، ثم تبدأ جلسة الإنشاد الصباحية والقرآن ، ينصرف بعدها الأخوان إلى مواقع عملهم ، وفي جلسة صباح كل سبت تقرأ جريدة جامعة الخرطوم الحائطية ، وهي جريدة كان يخرجها الطلبة الجمهوريون في

الجامعة منذ سنوات ، كانت تصدر تحت أسم (عطارد) ، ثم أصبح إسمها لاحقاً الفكر ، كما اقترح الأستاذ . بعد إنصراف الطلبة للجامعات والموظفين إلى أعمالهم ، تستمر الجلسة مع باقي الأخوات المقيمات في المنزل ، ثم ينصرفن لإعداد وجبة الإفطار التي يتناولنها معه ، وهو يرتاح دائماً للأكل السوداني البسيط المكون من (الكسرة) وهي خبز مصنوع من الذرة السوداني (والملاح) ولا يطبق غيرها وفي إعتقادي مع بساطتها لها طعم ومذاق لا يوجد في أشهى الوجبات التي تقدم في موائد الدنيا - تفاصيل أكثر في باب التحدث عن طعامة . .

3) وقت راحته كان دائماً بين الحادية عشر والنصف إلى الواحدة ظهراً وفي كثير من الأحيان يقطع الزوار هذه الراحة وكان لا يقبل أن اصرف احد الضيوف بحجة ان الأستاذ في وقت راحته وكان يقول لي : (إن الناس يتحملون المشاق للوصول إليّ فكيف ترديهم بحجة أنني في وقت راحة) يجب أن أقابل كل قادم للزيارتي ، وأحياناً يستغرق وقت الراحة في مراجعة بعض الكتب التي يعدها الجمهوريون ، وتصدر تحت أسم (الاخوان الجمهوريون) .

4) في الواحدة والنصف ظهراً يخرج إلى الصالون لمقابلة الأخوان القادمين من جامعة الخرطوم وجامعة القاهرة فرع الخرطوم ، للإستماع لما دار في أركان النقاش التي إقيمت هناك ، وهي أركان نقاش حول الفكرة الجمهورية ، يقيمها الطلبة الجمهوريون يومياً في تلك الجامعات ما بين الحادية عشر والواحدة ظهراً ، يشترك في تقديمها الأخوات والأخوان ويشارك فيها بالنقاش عامة الطلبة .

(5) من الساعة الثالثة وحتى الرابعة بعد الظهر ، تبدأ وجبة الغداء ، وكان يجلس آخر الناس إلى السفرة ، ويشرف على إطعام الضيوف بنفسه ، حيث يجلسون في مجموعات إلى السفرة ويتأكد من أن كل فرد قد أخذ كفايته من الطعام ، وكان لا يغادر المائدة حتى يغادرها الجميع .

(6) في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر يبدأ الذكر بأسم الله المفرد (الله ، الله ، الله . .) ويستقبل مجموعات الأخوان التي تقبل على منزله في مسيرات راجلة من منازل الأخوان المجاورة ، التي ذكرت سابقاً ، رافعة الذكر ، يستقبل الأستاذ تلك المسيرات القادمة أمام المنزل ، يستمر الذكر حتى آذان المغرب حيث ينصرف الناس للصلاة ، وبعد الصلاة يطلع على تكوين (الأيام) ويراجع عدد الكتب وأسماء وأعداد المشتركين في حركة حمل الدعوة في الميدان ومواقع الحملات في المدن الثلاثة أم درمان ، الخرطوم والخرطوم بحري ، بعد ذلك يركبون البصات المتجه إلى تلك المواقع . تشترك الأخوات بأيامهن الخاصة على قدم المساواة مع الأخوان ، في حركة نشر الدعوة ، من حمل كتاب وحلقات نقاش ، وكنت أقوم بإعداد هذه (الأيام) وقياداتها (أنظر الصور ، الأستاذ يراجع الأيام مع المؤلفة) .

(7) بعد الساعة التاسعة مساءً تجتمع كل أيام الحركة الميدانية في منزل الأستاذ ، حيث تعقد جلسة كبيرة في الميدان الواقع جنوب منزله ، يستمع فيها إلى تقرير شامل عن كل ما حدث في الحركة الميدانية ، يقدم قيادي الأخوان تقريراً عن الأخوان وأقدم أنا تقريراً عن أداء الأخوات ، في هذا الاجتماع ينظم عمل الغد ويتناول الأخوات والأخوان وجبة عشاء خفيفاً ، بعدها ينصرف الأخوان إلى

منازلهم ، ويتم ترحيل الأسر التي شاركت في الحركة بعربات الأخوان إلى منازلهم ، وكانت عربتي تشارك في توصيل الأسر ، وتبقى الأخوات المقيمات في منزل الأستاذ. في ذات يوم في فصل الصيف وضع سريراً امام حجرته وهممنا ان نودعه لتنصرف للمكان المخصص للنساء ، وكنت عادة اخر من يودعه ، وقد حاولت احدى الأخوات ان تنصرف بعدي ، وقد لاحظ الأستاذ ذلك فحكى لنا قصة متنافس بريطاني في الإنتخابات البريطانية هزم جميع منافسيه وبقي له منافس واحد ، فقال :

(Mr... is the least I want to the last of) ومجارة لتلك العبارة قال الأستاذ : " Batoul is the least I want to the last of " . وقد فهمن ان الأستاذ يريد ان تكون بتول آخر من ينصرف عنه) وفعلن . .

هكذا كان برنامجي اليومي لأشياء غير الفكرة الجمهورية وهو صورة لرجل وظف كل وقته لإصلاح نفوس الناس وتقومها على النهج الإسلامي الصحيح . . كان يخرج في بعض عاصريات الجمع لزيارة بعض المرضى في المستشفيات ترافقه زوجته أمنا آمنة محمد لطفي عبد الله ، وبعض من الأخوات الأخوان . .

الأطفال في عالم الأستاذ محمود:-

يضع الأستاذ للأطفال اعتباراً خاصاً ، يؤمن إيماناً عميقاً بأن الأطفال يمثلون النقاء والبراءة التي لم يمسحها أو يغيرها النفاق الإجتماعي الذي يكتسبه الإنسان أثناء الكد والبحث عن العيش . . ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة

المطففين)، يقول الأطفال عالميون، فهم يقبلون على كل الناس ويتسمون لكل الناس فالأطفال صفحة نظيفة من البراءة، التي خلق الله الناس عليها، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يمجسانه أو ينصرانه)، الفطرة هي سلامة العقل وصفاء القلب. . قال أن الطفل يعتقد أن والده يستطيع أن يفعل كل شيء، حكى لى ذات مرة أن محمداً أبنه "الذي توفي غرقاً عام 1954" قال له: (محمود جيب لي خاتم المنى)، قال لي: (أنا منذ ذلك اليوم في رحلة لأحضر له خاتم المنى)!. .

يوفر للأطفال كل الاحترام، ويصر على أن يتناولوا طعامهم قبل الكبار، وبصورة أنسانية مثل نوع الطعام والأواني التي يقدم عليها، ثم مكان الجلوس للطعام. . . إذا أقبل على الجلوس في مقعده الخاص ووجد طفلاً جالساً عليه لا ينهضه ليجلس مكانه، وإنما يبحث عن مقعد آخر، وقد أخذ الجمهوريون عنه هذا السلوك، فهم لا يخلون أي طفل من مقعده ليجلسوا عليه، حتى صار هذا تقليداً في المجتمع الجمهوري. .

يجتمع حوله الأطفال منذ الصباح الباكر، ويأخذهم إلى جواره ثم يجلسهم على حجره ليأخذوا كوب الشاي من يديه وتراه كثيراً يحول الشاي من كوب إلى كوب آخر ليصبح بارداً للطفل، يهرع إليه الأطفال في كل وقت ليحتموا به إذا تشاجروا فيما بينهم أو ظلمهم الكبار، ويبلغونه تظلمهم حتى في أثناء الاجتماعات وكان يقطع الاجتماع، ويستمع إلى الشكوى، ويطيب خاطر الطفل (انظر الصور)، ثم يواصل الاجتماع. في ذات مرة كان يرتدي ملابسه كاملة وهي الجلباب السوداني والعمّة والشال، في طريقه إلى الخروج من المنزل، وتعلق به

طفل فحمله بين يديه وسرعان ما أعاده إلى الأرض ، فقد كان الطفل متسخا فالتفت ناحيتي وقال لي : (الجلباب النظيف فصلني عن الحياة) ، لينه مع الأطفال يذكرني بيت إدريس جماع : (هين تستخفه بسمة الطفل ، قوي يصارع الأجيال) .

إعتنى بالأطفال وشجع على قيام فصل لترشيدهم ، كنت قد بداته أنا وإجدي الأخوات وواصلت فيه أخرى بعدنا ، الفصل يهدف لتعليم الأطفال منذ الصغر ، السلوك الإنساني مثل الطريقة المثلى للتحية والإعتذار والشكر وكذلك طرق الأكل والشرب . .

أحبه الأطفال كثيرا ، وتعلقوا به ، وإفتقدوه في إعتقاله الأخير ، وقد حاول بعضهم ، وهم دون سن الدراسة ، ولم يتعلموا القراءة والكتابة بعد ، أن يكتبوا له الخطابات ، فكانوا يرسمون له خطوطا منظمة ويضعونها على الظروف ويرسلونها له ، وكان ينظر إليها مليا وهو يتسم ، فتدخل عليه الكثير من السرور . فقد كتبت له إحدى الطفلات خطابا وكان الخطاب عبارة عن خطوط هكذا (= . . = . . =) وحملت له في المعتقل ، علق الأستاذ على ذلك الخطاب بأن هذه الخطوط هي لغة القلوب ، وهي تعبير عن الشعور بالمحبة من غير المقدرة على الكتابة ، وفي إحدى زيارته للسلاح الطبي للمراجعة الطبية في فترة إعتقاله وقد كنت اصحبه ، قابلته تلك الطفلة مع والدتها فإنحنى لها الأستاذ وقبلها على خدها وقال لها : (شكرا على خطابك فقد وصلني وكان جميلا ، وقد فهمته . .) وبعد تنفيذ الحكم الجائر بإغتياله ، أخذ رجال الأمن يهجمون على منازل الجمهوريين يفتشونها بطريقة همجية ويصادرون الكتب وأشرطة المحاضرات وينزلون صور الأستاذ التي تكون دائما معلقة على الجدران في غرف المنازل ، وعندما أخذوا تلك

الصور من أحد المنازل واجهتهم طفلة قائلة لهم : (إنتوا اخذتوا صورته من الحيطان ، ولكن الصور موجودة في قلوبنا ماذا ستفعلون لها ؟) ، كانت عبارات قوية وغريبة تصدر عن طفلة وهي في عامها الخامس !! . . .

مواقيت نومه:-

كان لا ينام إلا قليلاً . . . ففي المساء وبعد نهاية الجلسة المسائية ، وإنصراف جميع الضيوف والأخوان إلى منازلهم ، كان يجلس إلى السفرة للعشاء الذي يكون غالباً في الصالون أو في غرفته ، وتتجمع الأخوات لتناول وجبة العشاء معه ، ولا يترك أياً منهن تذهب للنوم من غير تناول وجبة العشاء ، ومن لا تريد طعاماً يقدم لها كوباً من الحليب أو العصير . . . يجلس إلى المائدة ويأكل قليلاً . . قليلاً ، وكلما إكتفت مجموعة من الأخوات ، تقبل مجموعة أخرى ، وبعد إنتهاء وجبة العشاء لا يذهب إلى سريره إلا بعد أن يتأكد أن الجميع قد أخذوا مواقعهم وأنهم مرتاحون في تلك المواقع ، وأن أبواب المنزل الخارجية قد أوصدت ، وعندما يكون معه البعض في الغرفة ، وليس هناك موضوع أو عمل يعمل ، كان يقول لهم دائماً : (كان ما سوينا خير ، النوم أخير ، نوموا مبكرين ، علشان تقوموا الثلث الأخير من الليل) . وكان دائماً يذهب إلى سريره بعد الحادية عشر يفضل النوم على جانبه الأيمن ، ينام ساعة أو ساعتين وأحياناً نصف ساعة ثم يستيقظ ليجلس على مصلاه ، كان يشجع الجميع على قيام الثلث الأخير من الليل ، كلما يلاحظ أن أحداً قد أكثر من النوم كان يردد مقولة الصوفية : (فاتوني الآقوام لومي أنا النوام) ، وكانت تلك إشارة لطيفة للتنبيه لقيام الليل . يكثر من الوضوء وهو يتلو سورة يس ، ويطلب منا ذلك وكان كثيراً ما يحببنا في حفظ هذه السورة بترديد

الحديث النبوي الشريف ، (لكل شيء قلب وقلب القرآن يسن ، ويسن لها قلب
"سلام قولاً من رب رحيم").

زي ولبس الأستاذ:-

له لبسة كثيراً ما يرتديها في المنزل وفي الأيام الأخيرة ، خرج بها في المحطة
الوسطى في الخرطوم للمشاركة في حلقات الذكر وهي الثوب والسروال الطويل
والقميص البلدي (الزي القومي المعروف في مدن وسط السودان) ، (أنظر الملحق
مقال هنري كودري والصور) في فترة الخمسينيات وحتى عام 1967 ، كان يرتدي
القميص والرداء الأبيض والشرابات البيضاء الطويلة وهذا الزي الذي يذهب به
للعمل وأعتقد أنه كان يساعده على سرعة الحركة . . . إلى جانب هذا كان يلبس
القميص والبنطلون والبدلة وربطة العنق ، وهذا الزي كان يظهر به في الأعمال
المكتبية الأخرى ، كما كان يرتديه عندما كان يأخذنا كل يوم خميس وأحد من أجل
الترفيه إلى السينما أو الحدائق العامة والمسرح القومي لحضور المسرحيات والفرق
الأجنبية الزائرة . . كان حتى بداية السبعينات يستأجر مكتباً في الخرطوم في السوق
العربي ، في عمارة رجل أعمال سوداني ، أسمه أب نعوف سليمان ، وكان ذلك
المكتب بإيجار بسيط وعندما إرتفعت الإيجارات أخلى المكتب وسلمه لصاحبه ،
وقال لي عن ذلك : (أننا كنا نستأجر ذلك المكتب بسعر قليل ، وعندما إرتفعت
الإيجارات سلمناه لصاحبه ليستفيد منه) وقد حكى لي أحد أصدقاء الفكر
الجمهوري ، أنه قابل أحد أبناء صاحب تلك العمارة خارج السودان ، وقال له
أنهم منذ أن ترك الأستاذ ذلك المكتب لم يستأجروه لأحد وظل مغلقاً بأسم محمود
عليه . .

عند خروجه في الأمسيات وأيام الجمع ، كان يلبس الجلباب والعمة والشال
والمركوب السوداني (وهو حذاء بسيط محلي الصنع) . . أما في المنزل فكان يرتدي
السروال الطويل ، وفوقه القميص البلدي ، وأحياناً فوقه (فردة) ثوب محلي
مصنوع من الدمور ، أو ثوب من القطن الخفيف (أنظر الصور) . .

في عام 1967 تخلّى عن العمل الهندسي ، وأهدى كل ملابس العمل والبدل
إلى أخوتي الكبار ، وبعض معارفه . منذ ذلك التاريخ لم أره إلا في الزي السوداني
القومي الجلابية والشال والعمامة ، أو القميص والسروال الطويل ، والثوب
الأبيض ، والأخير زي قومي معروف فقط في الأرياف ، أكثر من المدن (انظر
الصور) . منذ عام 1967 إتجه نحو البساطة أكثر فأكثر . . كان لا يشتري الثياب
الجديدة إلا إذا بليت القديمة تماماً ، ودائماً يردد لنا حديث النبي صلى الله عليه
وسلم للسيدة فاطمة : (إن أردت أن تلقيني يوم القيامة فلا تغيري ثوباً حتى
ترقعيه) ، (أنظر الملحق خطابات الأستاذ من المعتقل للمؤلفة) . . كان دائماً مظهره
بسيط ووسط ، ولا يغالي في اللبس ، وفي ذات مرة أهده أحد الجمهوريين كبار
السن ، كمية من القماش يصلح لعمل قمصان فسألني : (هل أبدو مقطّعاً حتى
يهدى لي الناس ملابساً ؟) . وقد أهدى ذلك القماش لاحد زواره .

منذ عام 1974 وحين بدأت العمل ، كنت أهتم كثيراً بتجهيز ملابس ،
وكنت أفرح فرحاً شديداً عندما أراه يرتديها . . وقد كان هناك ترزي معروف من
الجمهوريين في السوق العربي في الخرطوم ، كنت أحضر له القماش ، فيقوم
بتفصيله ، وكان هو الآخر يسعد بتلك المهمة . .

كان بعض أصدقائه كثيراً ما يهدون له أقمشة ، ولكنه كان لا يستعملها بل يهديها ، ولذلك كانت هداياه للناس كثيرة ، ومتواصلة ، حتى بعض الملابس التي كنت أعدها له (مع أنه لا يهدي الملابس التي أجهزها له كثيراً) ، كان يقدمها لمن هو أكثر حاجة إليها يعطي ملابساً لكل من دخل عليه بملابس بالية ، أو طلب ملابس ، وكثيراً ما كنت أفحص حقيبة ملابسها فأجدها شبه خالية ، فأعوض الملابس التي أهداها . . وعندما كنا في الثانوية العامة كانوا يعلموننا إعداد فئائل البرد ، فكنت أعدها في مقاسه ، ولكنها لاتستمر معه حتى نهاية الشتاء ، فقد كان يهديها . . أذكر في طفولتي كنت أغضب عندما أراه يهدي تلك الفئائل ، ولكن لا أظهر له الغضب ، وفي السبعينات عندما اشتري له فئائل البرد كان أيضاً يهديها للمحتاجين .

أهدت له إحدى شقيقاته بعد عودتها من الحج في الستينيات ، مفرشاً من الحرير الجميل ، وكانت تريده أن يستعمله . . طلب منه أحد الفقراء مساعدة لزواج أخته ، فأهداه ذلك المفروش . وعندما عرفت عمتي ذلك غضبت غضباً شديداً ولامتنا بأننا قد تركنا له ذلك المفروش في متناول يده ، حين دخل عليه ذلك الرجل ، ومهدنا له ليهديه . فذهبت إليه محتجة في غرفته تسأله عن المفروش ، فقال لها : (هل ما زلت تريدينه؟) ، أتريدي أن تأخذه ؟ وأضاف ، أنتي أهديتيه لي وقد أعجبني (ولذلك أهديته) فصمتت ، وقد كان غضبها مثيراً للضحك ، فقد ألفنا نحن على مدى حياتنا معه ، أنه يهدي كل شيء .

طابع حياته :-

حياته كلها جد (أمرنا كله جد من أعطى الجد يعطى الجد) ، يفكر في كل شيء بجد وينفذ فكره بحزم شديد ، يتأمل كثيراً وينظر لكل أمر بجد حتى عندما

يمزح أو يلاطف أحداً، تشعر أنه يوصل له رأياً أو معنىً محدداً، ومع كل هذا الجد، يشرق وجهه وتبرق عيناه المضيئتان بإبتسامة حين يقابل كل إنسان، تشعر ضيفه بفرح، فيحس بحرارة الترحاب، مما يجعله سعيداً بالزيارة (أنظر الصور، ومقال هنري كودري)، كل من يقابله يتعلم منه شيئاً. أذكر أنني كنت أرافقه في أحد تحركاته، وكنا نريد أن نأخذ عربة تاكس، فوقف الأستاذ تاكسياً، وحدد له المشوار فسارع سائق التاكس قائلاً للأستاذ (خمسة جنيه) فرد عليه الأستاذ: (لماذا تتعجل بإشتراط السعر، هل طلبت مني هذا المبلغ ورفضت أن أدفعه لك؟)، وترك العربة قائلاً للسائق: (سأدفع هذا المبلغ ولكن لغيرك)، وفعلاً تركناه، وأخذنا عربة أجرة أخرى ولم يطلب سائقها شيئاً، فدفع له الأستاذ مبلغ خمسة جنيهات!! .

في ذات يوم جاء سائل إلى منزل الأستاذ يطلب مساعدة مالية، فأعطاه الأستاذ مبلغ اثنين جنيهًا، فاحتج السائل وهو خارج من المنزل يقول: (تعطيني مبلغ اثنين جنيهًا؟ هذا المبلغ ممكن للمرأة أن تعطيني إياه)، فلم يرض الأستاذ عن ذلك التعليق فقال له (اتريدني أن أغنيك) فأمر أحد الأبناء في المنزل أن يلحق بالسائل ويعيد منه الاثنين جنيهًا ويعطيها لسائل آخر.

كان الأستاذ يقرب كل إنسان منه ويفتح له قلبه، حتى قام في بال كل فرد أن الأستاذ يوفر له الحب، أكثر من الآخرين، وقد استطاع أن يخلق جنة من الحب والرحمة في قلوب جميع من عرفوه. . وهناك قصائد من الشعر العرفاني كتبها بعض الجمهوريين تعبر عن هذه الحالة.

يعمل بجهد متواصل ، لا يعرف الراحة ويحفر الآخرين للجهد ، وللعمل ، وقد لازمه هذا الجهد طوال حياته ، فمنذ أن كان طفلاً كان يساعد والده في إسفاره في التجارة ، عندما كان طالباً ، كان يعمل في الزراعة في الإجازة ويدرس في باقي العام ، وبعد التخرج عمل في الهندسة . يواصل العمل طول النهار ويمارس العمل السياسي والفكري والكتابة في الصحف ثم التأليف في المساء . . فوق ذلك كله رعاية الأسرة رعاية أطفاله وأطفال أخيه مختار والأسرة الممتدة . . كما أنه كان يمتاز بقوة جسدية هائلة فبالرغم من تقدم السن كان يعمل بجهد طول الوقت ويحمل أشياء ثقيلة لا يستطيع من في عمره حملها ، مثلاً في ذات يوم والمطر يهطل بغزارة حمل وحده جوال ذرة كان في فناء المنزل ووضع داخل المطبخ الذي كان على بعد خطوات من مكان الجوال .

في الجلسات الأخيرة أمام منزله عام 1984 ، كان يحفز الأخوان للعمل بقوله : (لا تعجزوا عن الحركة والعمل . . أنا أكبركم سنّاً وأكثركم حركة ، وأقلكم خلوداً للراحة . .)

كان لا يدخل إلى الجزء الخاص بالنساء إلا في حالة الضرورة القصوى ، المرض المفاجئ أو الوفاة وبعد أن تعلموا سلفاً بمجيئه ، وحينها كانت جميع الأخوات يكن في حالة إستعداد كأنهن يتأهبن للخروج وقد ذكرت ذلك في زيارته لمربيته ربي جود . وكان محور حياته في غرفته وحول الجزء الخاص بالرجال والصالون والفناء الملحق به ، وأمام مدخل المنزل حيث حلقات الذكر اليومية وإستقبال ووداع الوفود والمتحركين لنشر الدعوة⁽¹⁾ .

(1) أنظر الصور .

كان يوقد الند وبنحور اللبان الجاولي دائماً في غرفته ، أحياناً ينظر إلى الدخان المتصاعد ويشرح كيف أن الدخان يميل حيث إتجه به الهواء ويقول يجب على السالك ان يكون مسلماً للإرادة الإلهية مثل هذا الدخان تسيره راضياً كيئما إتجهت به .

صيامه وقيامه:-

كان يمارس رياضات روحية كثيرة ، فوق طاقة الشخص العادي . . فمثلاً قيام الثلث الأخير من الليل ، كان كثير القيام في الليلة الواحدة ، يقوم عدة مرات لاينام إلا قليلاً ، يخلد إلى سريره بعد الساعة الحادية عشر ، ثم ينام ساعة أو نصف ساعة لينهض فيجلس على مصلاته التي كانت دائماً أمام سريره ، ثم ينام مرة أخرى ، وينهض وهكذا . . من الساعة الثالثة صباحاً وحتى الخامسة يظل على مصلاته ، وفي نفس الوقت يتابع قيامنا الثلث الأخير من الليل ، فنحن كنا دائماً ، نؤدي الثلاثة ركعات (ختام الثلث الأخير) إلى جوار مصلاته . .

في فترة سجنه في الأربعينيات كان يصوم صياماً صمدياً متواصلاً ، في بعض الأحيان أسبوعاً وخمسة عشر يوماً متوالية ، وفي الأيام العادية كان يصوم كل يوم اثنين وأيام متفرقة من الشهر في كل شهور العام ، هذا إلى جانب صيامه شهر رمضان . . أخذ يكثر من الصيام في السنوات الأخيرة بين 1975 إلى 1983(هذه ملاحظاتي) كان في فترات متباعدة يتوقف عن تناول القهوة والشاي لمدة أشهر ثم يعود لتناولهم مرة أخرى ، وقد شرح لي ذلك بأنه يريد أن يتحرر من سلطان الكيف ، يريد أن يتحرر من كل شيء يمكن أن يصبح له عادة ويسترقه ، يريد أن يتحرر من رق الأشياء ، ومن سلطان العادة ، أو العمل الآلي الروتيني ، الذي

يؤدي من غير فكر . . كنت أتوقف عن تناول الشاي عندما يتركه ، وعند سفري للدراسة في إنجلترا عام 1978 كان متوقفاً عن الشاي وقد كنت كذلك فكتب لي خطاباً يقول لي ما معناه أنه الآن يتناول الشاي فعودي إلى الشاي فإن أوروباً باردة وأنت تحتاجين لشىء دافئ (أنظر الخطابات) .

طعامه والتزامه النباتية:-

من وقت مبكر في الستينيات إتجه إلى أن يكون نباتياً، إذ كان لايميل إلى الأطعمة المعدة باللحوم ويقول لنا دائماً : (أنا لا أحب اللحوم ولكني منتظركم لتكونوا في هذا الإتجاه)، إذ كان لايرغب أن يعد له طعاماً خاصاً به، وفي السبعينيات توسعت الدعوة، وأخذ يحدث الجمهوريين عن ضرورة الإقلاع عن أكل اللحوم، ولكنه يبنه دائماً أن ذلك متروك للمواقف الفردية، وميول الإنسان ومقدرته ومشهده الخاص .

وفي 1979 تحدث عن النباتية وعلاقتها بالفكر الجمهوري إذ من المطلوب أن يعيش الإنسان في سلام مع الأحياء والأشياء ، فإننا نتقاسم هذه البيئة مع الحيوانات (هم إخواننا في الحياة)، لذا يجب أن نعيش في سلام معهم، وتوضيحاً لهذا الإتجاه صدر في ذلك العام كتاب (الضحية غير واجبة!! لا على الفقراء!! ولا على الأغنياء!!)، وقد اوضح أن هناك وشيجة بين ذبح الحيوان والفداء، فقد تم الفداء، في الفهم الدقيق للآيات الكريمة عن سيدنا إبراهيم : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝١١٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝١١٣ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ

يَتَابَرِهِيهِ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُبِينُ

﴿١٠٦﴾ وَقَدَيْنَهُ بِذِيحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾

(سورة الصافات) ففدى الإنسان بالحيوان، فقد كان الفداء أولاً بذبح الإنسان، في

قوله تعالى: ﴿... فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَأَقْلُبُوا أُنْفُسَكُمْ ذَلِكَمُ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ

عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ (سورة البقرة)، والآن قد آن الوقت لترك

ذبح الحيوان وهناك الآن كثيرون لا يذبحون الحيوان وأعداد النباتيون في العالم تتزايد

كل حين (أنظر كتاب الرسالة الثانية من الإسلام الباب الثالث)، وفي عهد السلام

(الرسالة الثانية من الإسلام) تسقط الضحية بالحيوان، تبعاً للحديث

النبوي: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، والمسلم هنا تشمل الأحياء

والأشياء قال تعالى: ﴿... وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

وَالِئْتِهِ يُجْعَلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (سورة آل عمران) وآية أخرى: ﴿... وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ... ﴿٤٤﴾﴾ (سورة الإسراء)، ولذلك يكف

المسلم عن ذبح الحيوان لأي غرض من الأغراض ومنذ السبعينيات تحول طعام

منزل الأستاذ إلى نبات وقال لي أنه يتأذى ولا يرتاح إلى رائحة اللحوم خاصة عندما

يمر على أماكن بيعها أو إعدادها.

كان رفيقاً بالحيوان، فعاش في إلفة تامة مع مظاهر جميع هذا الكون كان له

عمق خاص وتعاطف إنساني مع كل الأحياء، وفي هذا السبيل ما كان يلاحظ من

رفق معاملته للقطط التي كانت تعيش معنا في المنزل، فقد كانت تألفه ولا تغادر

غرفته، تنام على الكرسي حوله وتحت سريره، وأحياناً تقفز فوق سريره فيلاطفها

ويمسح على شعرها بيده ويطعمها بنفسه ، ولا تشرب الحليب ولا تأخذ أي طعام إلا داخل غرفته ، وقد أصبح من المعروف لدينا في المنزل أن هذه القطط لا ترغب في أي طعام يقدم لها في المطبخ ، إلا في غرفة الأستاذ . . . وحين تصاب هذه القطط بأي مرض يرسلها للطبيب البيطري . أذكر أنه كانت هناك قطّة مزعجة فحملها أخوتي داخل جوال ووضعوها في مكان بعيد عن المنزل ، وبعد عودتهم وجدوها قد عادت إلى المنزل ، وذهبت على التو إلى غرفة الأستاذ وبقيت تحت سريره في حالة من الغضب ظاهر ، فقال لي : (إنها غضبانة منكم قد تكون جدّة قديمة لكم) . وعندما تموت إحدى تلك القطط يرسل إخوتي لدفنها تحت الأشجار في المنزل .

آخر هذه القطط بقيت في منزل الأستاذ أيام المحكّمة وتنفيذ الحكم بإغتياله ، وقد ظلت مصدر ذعر لرجال الأمن الذين إحتلوا المنزل وطرّدوا سكانه منه ، فقد حكى بعضهم أنها كانت تتجول في المنزل وتصيح كل الوقت بصورة مخيفة ، خاصة أثناء الليل ، لدرجة كانوا لا يستطيعون النوم مع صياحها وحركتها ، وكانت ترفض أي طعام يقدمونه لها . .

التسامح:-

ومن الأشياء الغريبة والتي يعرفها الكثيرون عنه أنه كثير التسامح والإخلاص للناس حتى أولئك الذين عقّوه وأنكروا ما قدمه لهم ، فقد عقّه بعض من بذل الكثير في تعليمهم وإدخالهم مجالات العمل التي لولاه لما تمكنوا منها ، ومع ذلك كان يكثر من التسامح والعفو ولين الجانب لهم بطريقة تصعب على الكثيرين . . . أعاد له مرة أحد هؤلاء ، بعد طول قطيعة ليعيد الصلة به ، وكان يعتذر عن الماضي فتقبله الأستاذ وقال له مبتسماً : (أن السيد المسيح قال أن الإنسان لا يفرح بزيادة القطيع ، وإنما يفرح كثيراً عندما تعود الشاة التي خرجت من القطيع) . .

وفي ذات مرة مرض أحد أقاربه المعارضين للفكرة الجمهورية، ولزم سرير المستشفى بالخرطوم، وقد كأن ذلك الرجل معارضاً مسقاً في معارضته، قرر الأستاذ زيارته ولم أرحب أنا بتلك الفكرة، وطلبت منه أن يرسلني مع من يختار من الناس لزيارة المريض نيابة عنه، ولكنه رفض إقتراحي وقال لي: (يا بتول أنا ما بزورهم ليهم هم، ولكن لله فيهم). . وقد شعرت بإرتياح لتلك العبارة، والحق أنني فرحت أكثر عندما وصلنا إلى بوابة المستشفى ورفض الخفير السماح لنا بالدخول بحجة أن وقت الزيارة قد إنتهى، وقد علق الأستاذ على ذلك الموقف بقوله: (بتول كانت ماموافقه. .).

يضاف إلى هذه المواقف في التسامح أنه في عام 1982 توفي رجل يدعى الأمين داؤد، وهو ضمن من رفعوا قضية الردة ضد الأستاذ وطالبوا بقتله. . حين بلغه خبر الوفاة، كنا وقتها في أحد الاجتماعات في صالون منزله، وقد كان الجمع كبيراً فطلب منا أن نرفع الفاتحة ترحماً على روح شيخ الأمين وأن نسأل الله له الرحمة، وقد إستجبنا لطلبه مع دهشة الكثيرين، وهناك من رفع الفاتحة على مضض أما شقيقته كلتوم فقد رفضت ذلك الترحم ببساطتها ووضوحها المعهود. .

في إحدى زيارتي للأستاذ خلال ايام إعتقاله الأخير جاء حديث ان الأخوان الجمهوريين يخشون في النهاية ان يتم العفو عن نميري، فقال الأستاذ راداً على ذلك الحديث: (الناس ما يغيب عن بالها ان اعمال جعفر نميري الجيدة ما بتضيع، وعمله يكون محفوظ، وفي النهاية معفي عنه، هو جاء ليؤدي مهمة معينة ولما تنتهي

مابكون ضده شيء . . نحن ما معتقلنا هو نحن عندنا مهمة جينا من أجلها لما تنتهى
بنطلع) . وهذا دليل على ان الأستاذ حتى في الإعتقال لم يكن حاقداً على نميري .
الوفاء:-

بعد إطلاق سراح الأستاذ عام 1948 من إعتقال المستعمر البريطاني له ،
سدد كل الديون التي كانت عليه ، وهي عبارة عن خدمات أداها له بعض الأقارب
أثناء فترة إعتقاله ، كما دفع بعض المبالغ التي صرفت على أسرته في غيابه ، وقد
حكى لي أحد ممن رافقوه في تلك الفترة ، أنه ذهب إلى الحلاق الذي حلق شعر
رأسه قبل دقائق من إلقاء القبض عليه بواسطة السلطات البريطانية ، وأعطاه ثمن
تلك الحلاقة ، وهناك أمثلة كثيرة ورد بعضها في مواقع أخرى من هذا الكتاب
وأخرى لانتصيتها هذه الصفحات . .

ومن الوصايا التي كتبها في 1951 وآخرها التي كتبها في بداية السبعينيات ،
طلب حين وفاته أن تسدد ديونه من المبالغ العائدة من كتبه ، وأن يلف في ثيابه
القديمة . . ولكن بحمد الله فقد سدد تلك الديون في نهاية السبعينات بنفسه ، وقد
كانت عبارة عن باقي حساب بينه وبين مالك المنزل الذي كان يستأجره في مدينة
كوستي والذي كان الأستاذ يؤدي له أعمال الهندسة في مشاريعه الزراعية ، لم
تكن تلك الديون حقيقة عليه لأن صاحب العمل لم يعطه حقه في العمل ، ولكنه
قرر أن يتحملها وفعل ، أما الجزء الثاني من الوصية وهو أن يلف في ثيابه القديمة ،
فقد كان له ما أراد ، فبعد تنفيذ الحكم الجائر عليه نفذت سلطات نميري من غير أن
تدري وصيته فلفته في ملابسه القديمة !! وقد ذهب عزيزاً خالصاً لم يتشرف أحد
حتى بتجهيزه مثل ما يحدث لجميع الناس .



الأستاذ يستمع إلى أحد كبار السن



الأستاذ يتشاور مع احد كبار القياديين



جلسات تداول وشرح للفكرة والمعارف الدينية في منزل
الأستاذ ويظهر في الصورة جمهوري استرالي



الأستاذ يدير جلسة وداع لمؤلفة وهي في طريقها إلى لندن للدراسة



الأستاذ وسط الذكر أمام منزله



الأستاذ إلى جواره زوجته آمنة وبتول و أسماء وسمية وبعض الأخوات



الأستاذ يصغي ويستمع إلى الأحاديث التي تدار في الجلسات في منزله



الأستاذ وسط الذكر أمام منزله



الأستاذ يودع أتيام الأخوان والأخوات لمتجهة للحركة الميدانية



الأستاذ يوضح لإيقاف الذكر



الأستاذ يتوسط بنتيه أسماء وبطول وهو خارج من منزله



الأستاذ يرعى الأطفال وهم في المهد بكل العطف



الأستاذ أمام منزله الذي صادرتة حكومة مايو
يستمع بكل إهتمام لمن يتحدث معه



الأستاذ بشر ف علم، سير الحركة وتوابع أتيام



الدراويش في حركة دائبة في الذكر



الأستاذ امام منزله يودع احد تلاميذه من الأخوان



الأيام الأخيرة ، الأستاذ محمود يتوسط حلقات الذكر ، يلتف حوله بعض الدراويش



الأخوان الجمهوريين يناقشون زوار في معرض الفكر الجمهوري



بعض الأخوان الجمهوريين في إحدى معارض الفكر الجمهوري



الأستاذ يراجع تقارير العمل الميداني



الأستاذ بجواره المؤلفة يستمع إلى شكوى احد الأطفال



الجلسات الفكرية في الفناء امام منزله



الأستاذ مع المؤلفة يراجع أتيام
حملة الكتاب



الأستاذ مع المؤلف قبل الخروج



الأيام الأخيرة ، الذكر بعد خروج الأستاذ من الاعتقال الذي اعقبه الحكم الجائر عليه، يرى في الصورة الدراويش الذين جاءوا من النيل الأبيض لزيارته



ذكر الايام الاخيرة، والدراويش الذين حضروا إلى زيارة الأستاذ، من منطقة النيل الابيض



الأستاذ محمود والأخوات والأخوان في زيارة لقبر مربيته امنا ربي جود محمود يلاحظ قبرها ربي جود محمود



الأخوان يلتفون حول الأستاذ بعد الخروج من الاعتقال



الأستاذ مع المولفة

الأستاذ متأهب للخروج امام المنزل



الأستاذ يتوسط بتول وأسماء

تأليف الكتب منذ نشأة الفكر الجمهوري 1946 والى 1984:.

بدأ التأليف منذ وقت مبكر ، وذلك بعد خروجه من فترة الخلوة التي فرضها على نفسه ، بعد خروجه من السجن الذي فرضته عليه الحكومة البريطانية في السودان 1946-1948م ، بدأ في الخلوة الاختيارية ما بين 1948 - 1951 التي استمرت مدة ثلاثة سنوات ، إذ قال أنه بعد خروجه من تلك الخلوة ، تبينت له معالم الفكرة الدينية ، فكتب منشورات كثيرة وقليلة الصفحات ينه فيها المسلمين إلى حالهم ، ثم إلى رفض الإستعمار وإلى المقاومة ، وفي نفس الوقت مبيناً معالم الفكرة الإسلامية الصحيحة ، ومن تلك المنشورات كتيب (السفر الاول 1945) ثم (قل هذه سبيلي 1946) ، بيان رئيس الحزب الجمهوري 1951 وفي عام 1955 صدر كتاب (أسس دستور السودان) وهو الكتاب الذي شمل فكرة نظام الحكم الفدرالى لبلد مترامي الأطراف (مليون ميل مربع) ومتعدد الأعراق والديانات مثل السودان ، فدعى في هذا الكتاب ورسم الطريق للحكم الفدرالى إبتداء من حكومة المركز في الخرطوم العاصمة ، إلى حكومات الولايات ، وحكومات المدن وإلى مستوى القرية ، ثم أبان وشرح القانون الدستوري ، وتحدث عن ضرورة إستقلال القضاء ، وكانت تلك أول مرة في السودان يناهض فيها حزب سياسي بالحكم الفدرالى . تبع هذا الكتاب كتاب (الإسلام) وهو كتاب مختصر وشامل ، تحدث فيه عن ضرورة الفهم الذري للإسلام في عصر الذرة حيث قال : (فالعلم التجريبي الروحي - الدين - ليس جديداً ، ولكنه سيعود جديداً ، لأن عصر الذرة يتطلب فهماً ذرياً للدين - أعني فهماً دقيقاً ، يصل إلى نواة الدين ، ويفجر تلك النواة تفجيراً يسمع له دوي أعنى من دوي تفجير النواة

المادية). وكذلك تحدث عن العلم والإيمان ، وأن العلم والدين توأمان ، وأن العلم الحقيقي والصحيح يقود إلى الإيمان وليس العكس وقد أورد بعض عبارات عن العالم إنشتاين التي تحدث فيها عن كيف أن العلم يقود إلى الإيمان . . . وفي هذه الفترة أيضاً كتب عدة مقالات في الصحف السودانية ، ناقش فيها السياسة وقضايا الفكر والدين ، وقد جمع الكثير من هذه المقالات وأصدرها في سلسلة كتب (أسئلة وأجوبة) و(رسائل ومقالات) . . .

في العام 1965 (بدأت مرحلة التأليف الجاد) كما قال في اللقاء الصحفي معه الذي جرى ذكره في هذا الكتاب ، فصدر كتاب (رسالة الصلاة) ، شرح فيه أن الصلاة صلاتان ، صلاة معراج ، وصلاة صلة ، كما جاء في الحديث النبوي : (الصلاة معراج العبد إلى ربه والصلاة صلة بين العبد وربّه) ثم شرح معنى علاقة العبد بربه (الأصالة) وترجمة العبادة لمعاملة بين الناس ، وكيف أن صلاة كل منا تقوده في النهاية إلى ملاقة ربه وفق الآية الكريمة : (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه) ، تطرق في هذا الكتاب أيضاً لمعنى آيات الفروع وآيات الأصول ، وقد أثار هذا الكتاب معارضة شديدة في أوساط السلفيين ، ومازال فهم موضوع الصلاة يشكل عقبة كبيرة أمام الكثيرين . .

في فبراير 1966 صدر كتاب (طريق محمد) وعام 1967 ، كان عاماً حافلاً بالتأليف ، فقد أصدر فيه الأستاذ كتاب (الرسالة الثانية من الإسلام) ، وكما ذكر سابقاً هو يعني أن الإسلام رسالتان ، والرسالتان موجودتان في المصحف الشريف ، ورسولهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهما بمعنى تبليغه القرآن . الرسالة الثانية قامت على أصول القرآن المكي وقد عاشها النبي صلى الله

عليه وسلم، في خاصة نفسه، وكانت أعلى من مستوي الأمة، والرسالة الأولى قامت على فروع القرآن المدني، عاشتها الأمة في ذلك الوقت، أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخطب الناس على قدر عقولهم). وكان الأستاذ يقول عن هذا الكتاب أنه الكتاب الأم للفكرة الجمهورية، وهو يشمل أساسيات الفكرة في بعث الإسلام من جديد، على أساس تطوير التشريع الإسلامي الذي يعني أن الإسلام أصول وفروع، الأصول هي الآيات المكية التي تدعو إلى الحرية والمساواة بين الناس جميعاً ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾ (سورة الحجرات). . ثم الدعوة إلى الحرية، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالْقِيَمَةِ الْحَسَنَةِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾ (سورة النحل) ثم المساواة بين النساء والرجال ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ . . . ٣٣﴾ (سورة النساء).

(سورة النساء) وهي آيات أعتبرت منسوخة، يجب أن تبعث اليوم ليقوم عليها التشريع الآن، لتفي بحاجة الإنسان المعاصر. . كما شمل بيان فروع القرآن. . فالفروع هي الآيات التي قام عليها التشريع، بعد نسخ آيات الأصول في حق الأمة، وآيات الأصول التي ظلت تنزل علي مدى 13 عاماً تدعو إلى الحرية والمساواة، والتي ثبت عملياً عدم إستعداد المجتمع لها، فإستبدلت بآيات الفروع، التي كانت في إستطاعة الإنسان في ذلك الوقت، الذي لم يتشر فيه العلم، ولم تدخله الآلة، فأيات الفروع قامت على نشر الدعوة بالإكراه، بجد السيف بنص

الآية الكريمة: ﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٥ ﴾ (سورة التوبة) كما قامت على عدم المساواة بين النساء والرجال ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْضَّرِجَةُ حَتَّى قَنْتَلَتْ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيَّ تَخَافُونَ نُشُورَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاجِعِ وَاصْرَبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ٦٤ ﴾ (سورة النساء) إلخ . . وقد خدمت تلك النصوص غرضها حتى إستنفذته، والآن حكم الوقت يوجب تطوير التشريع من آيات الفروع (آيات الوصاية، وعدم المساواة)، إلى آيات الأصول في القرآن، حيث المساواة والحرية لجميع الناس . راجع كتاب الأستاذ (الرسالة الثانية من الإسلام) .

وفي نفس العام 1967 أصدر كتاب (مشكلة الشرق الأوسط)، وهو كتاب يشتمل على إستقراء تاريخي وتحليل سياسي لمشكلة الشرق الأوسط، حلل فيه جذور المشكلة ونشأتها، وقد أوضح الحق المشترك لليهود وللعرب في المنطقة بالإستقراء التاريخي لجزور سكان وقبائل الشرق الأوسط، وطالب بالحل السلمي للمشكلة . مهد لهذا الكتاب في نفس العام بكتاب آخر هو (التحدي الذي يواجه العرب)، ومفاده كما ورد سابقاً في هذا الكتاب، هو إما أن يرتفع العرب إلى مستوى الصراع والأحداث أو أن يخرجوا عن التاريخ، وأن سيرهم في طريق الحروب وعجزهم عن إقامة حكومات ديمقراطية في بلادهم، وعجزهم عن بناء

دواخلهم على الصدق هو مشكلتهم الأساسية، فإن إستمروا في هذا الطريق فسوف يخرجون من التاريخ . .

في عام 1968 أصدر كتاب (الإسلام والفنون)، وهو عبارة عن متن محاضرة ألقى على طلبة المعهد الفني (كلية الفنون الجميلة والتطبيقية) في يوم 1968 / 9 / 24، وقد عرف الفنون بقوله: (إن الفن هو وسيلة التعبير عن ملكة التعبير . . . إن ملكة التعبير إنما هي الحياة . . والحياة تعبر عن نفسها بوسائل مختلفة، في مستويات مختلفة . . فهي تعبر عن نفسها بالحركة، وتعبر عن نفسها بالغذاء، وتعبر عن نفسها بالتناسل، كما تعبر عن نفسها بالشعر، وبالنثر، وبالغناء، وبالرقص، وبالنحت، وبالرسم، وبالتصوير، وبالتمثيل، وبالموسيقى، وبغيرها من ضروب الطاقة الفكرية والجسدية، التي تفيض، وتنبجس . .)، وقد أبرز في هذا الكتاب أيضاً جزءاً كبيراً من دعوته التي قام على أساسها تقسيم الفكر الإسلامي إلى أصول وفروع (شريعة وسنة)، وكيف أن مستوى الشريعة حرم الرسم والنحت، كما أبان الأسباب التاريخية لذلك التحريم، وكيف أن الفنون تعبر عن ملكة التعبير في الحياة، وهي ليست محرمه في أصول القرآن، كما أكد أن الفنون ليست أحسن الوسائل لمعرفة النفس البشرية، وإنما الدين في أصل أصوله هو الوسيلة لمعرفة الحقيقة المركوزة فينا . .

وأيضاً في هذا العام أصدر الأستاذ كتاب (الدستور الإسلامي؟ نعم ولا) وضح فيه أن الدستور الإسلامي إذا دعى له ليقوم على الشريعة "فلا"، أما إذا دعى له ليقوم على السنة وأصول القرآن، حيث حرية الفكر والمساواة "فنعم"،

وهو المطلوب الآن، وقد كانت الأحزاب التقليدية في ذلك الوقت، تدعو لإجازة الدستور الإسلامي القائم على الشريعة، من خلال الجمعية التأسيسية .

تبع هذا الكتاب في نفس العام كتاب (الإسلام برسالة الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين)، ومن عنوان هذا الكتاب تظهر للمطلع، فكرة الأصول والفروع التي ورد ذكرها في مجالات عدة أعلاه، وقد أثار هذا الكتاب عاصفة من الضوضاء، والشغب، في أوساط السلفيين، مما انتهى بهم إلى ما يسمى بمحكمة الردة التي ورد ذكرها في موقع سابق من هذا الكتاب، وتبعه العديد من الكتب مثل: (زعيم جبهة الميثاق الإسلامي في ميزان: 1- الثقافة الغربية 2- الإسلام، من كتابه اضواء على المشكلة الدستورية)، وكتاب (بيننا وبين محكمة الردة)، وكتاب (أسس حماية الحقوق الأساسية) .

في 25 مايو 1969م صدرت الطبعة الأولى من كتاب (لا إله إلا الله)، حدد هذا الكتاب أدق معاني التوحيد، وأهم تطبيقاته العملية في وحدة الفاعل، لا فاعل لكبير الأشياء وصغيرها إلا الله .

في عام 1970 صدر له كتاب خطوة نحو (الزواج في الإسلام)، وقد ورد مجمل هذا الكتاب في الصفحات السابقة. في هذا العام أيضاً صدرت الطبعة الأولى من كتاب: (أسئلة وأجوبة)، وهو عبارة عن أجوبة على أسئلة وردت من بعض المفكرين وأصدقاء الفكر الجمهوري . . وفي عام 1971 أصدر كتاب: (القرآن ومصطفى محمود ومحاولة لفهم عصري للقرآن). وفي هذا العام أيضاً أصدر كتاب (تطوير شريعة الأحوال الشخصية)، وهو الأصل عند الأستاذ، في تنظيم علاقات النساء بالرجال، بالتكافؤ والمساواة . . كتب هذا الكتاب في منزله بالثورة أثناء

عطلة المدارس السنوية ما بين مارس ويوليو ، وكتبت له هذا الكتاب بنفس الطريقة التي أملى علىّ بها الكتب السابقة ، وقد عالج فيه أهم القضايا حساسية ، وهي قوانين الأسرة ، وقد فتح به الطريق للمساواة بين الرجال والنساء ، على أساس لم يسبق له مثيل في الفكر الإسلامي ، وهو يعتبر ثورة وفتح جديد للحياة الإنسانية . فقد جاء في صفحة " 4 " من هذا الكتاب مايلي : (وحين جاء في شرع الله أن المرأة على النصف من الرجل ، جاء في دينه أن المرأة مساوية للرجل أمام القانون . . قال جل من قائل : ﴿ . . . وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة البقرة) . والمعروف هو ما تواضع عليه الناس ، بحسب حكم وقتهم ، بشرط أن لا يخل بغرض من أغراض الدين التي محورها تحقيق كرامة الإنسان من رجل أو إمراة . . والمعروف ، عندنا في القرن العشرين ، هو ان نعلم المرأة لأعلي الدرجات ، وقد اصبح لدينا منهن الآن الطبيبة ، والقاضية ، والمحامية ، والمهندسة ، والزراعية ، والإدارية إلخ . . وهذا العرف ، بما يحقق من كرامة الانسان ، فإنه لا يعوق اغراض الدين وانما يحققها ، ولكنه ، في نفس الوقت ، ولنفس السبب الذي ذكرنا ، يوجب تحولا جذرياً في امر الحقوق والواجبات التي قام عليها (حكم الوقت) في القرن السابع . . فجاء من هاهنا قوله تعالى : (ولهن مثل الذي عليهن) . . يعني لهن من الحقوق مثل الذي عليهن من الواجبات التي عليهن وينهضن بها ، مساوية للواجبات التي على الرجال ، وينهضون بها ، فقد أصبح لهن من الحق مثل مالهم لاوكس ولاشطط . . أحبُّ لبناتنا أن يعلمن هذا ، وأن يجودن فهمه ، وأن لا يترددن في وصف قصور شريعة القرن السابع (وبخاصة في أمر الأسرة) عن شأو القرن العشرين ، وليكن واضحاً في أذهانهن أنهن ، حين يفعلن ذلك لا ينسبن الظلم والقصور إلى الله ، تعالى الله عن

ذلك ، وإنما ينسبته إلى رجال الدين ، الذين يطيب لهم أن يتحدثوا باسم الله ، وهم لا يكادون يفهمون عنه شيئاً ، وإنما يتحدثون فيما لا يعلمون ، حين يريدون للناس أن يعتقدوا أن كلمة الإسلام الأخيرة في أمر التشريع قد قيلت في القرن السابع . .) . * (2)

في عام 1971 أصدر كتاب (الثورة الثقافية) ، وهو كتاب يدعو للتغيير عن طريق الفكر ، وفي عام 1972 أصدر كتاب (تعلموا كيف تصلون) ، وهو كتاب يعيد الروح للصلاة ، ثم يعين المصلى أن بنشرها في كل الأوقات ، ما بين الصلوات (الدين المعاملة) ، وفي عام 1973 أصدر كتابي (رسائل ومقالات الأول والثاني) ، وتبعهما في نفس العام كتيب صغير يشرح الآية (الله نور السموات والارض) ، وفي أكتوبر أصدر كتاب (الإسلام وإنسانية القرن العشرين) وشرح هذا الكتاب مضمن في كتاب الرسالة الثانية ، وكتاب الماركسية في الميزان ، وفي هذا الكتاب كان الأستاذ منصفاً للماركسية على غير نهج الدعاة الإسلاميين عموماً فقد وضح حسنات الماركسية ، كما بين سلباتها ، واما الحسنات فقد قال أن كارل ماركس قدم دراسة إقتصادية جيدة ومتميزة جعلت المسألة الإقتصادية خاضعة للتخطيط والتطبيق ، هذا في جانب الحسنات ، وأما في جانب السيئات فأشكال الماركسية الأكبر هو قطعها للصلة بالغيب وقد جاء في مقدمة كتاب الماركسية في الميزان قوله : (لقد كان كارل ماركس فيلسوفاً " عملياً " . . ولقد لجت به " عمليته " هذه حتى أصبح نبئاً ارضياً ، صلته بالسماء واهية ، وفروعه في الأعالي قريبة . . وبذلك فقد أصبحت فلسفته سطحية ، بصورة مؤسفة . . إن ماركس ، اذا ما وضع في إطاره

(2) أنظر كتابه (شريعة الاحوال الشخصية) .

الحقيقي ، والطبيعي ، كفيلسوف مرحلي ، يصبح مقبولاً ، ومحموداً ، فيما أدى من خدمة مرحلية في تطوير المجتمع البشري . . اما إذا وضع كفيلسوف لجميع الأزمنة ، كما يدعي الماركسيون ، فإنه لا ينهض ، ولا يقوم ، إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس . .) وفي عام 1974 أصدر كتاب (الدين والتنمية الاجتماعية) ، وكتاب (الدعوة الإسلامية الجديدة) ثم كتاب (من دقائق حقائق الدين) . وفي عام 1975 أصدر كتاب (الأستاذ محمود يتحدث النساء في حقوقهن) . وفي 1983 أصدر كتاب (الهوس الديني يثير الفتنة ليصل إلى السلطة) وفي عام 1984 أصدر كتاب (الموقف السياسي الراهن) . وفي 25 ديسمبر صدر 1984م أصدر منشور (هذا . . او الطوفان) .

الجلسات الصباحية:-

في منتصف السبعينيات بدأت تقام في منزل الأستاذ جلسات صباحية ، فقد كانت هناك أعداد كبيرة من الجمهوريين يقيمون في منازل الجمهوريين المسماة (أ، ب، ج، د) ، وقد كانوا يقابلونه يومياً ، وهم في طريقهم للعمل ، ونسبة لذلك ، تقرر أن تكون هناك جلسات صباحية ، تدار فيها مواضيع فكرية مثل نقاش بعض الأعمال التنظيمية للإعداد للفترة المسائية ، أو طباعة الكتب ، وتنظيم الوفود الزاهبة إلى مدن السودان المختلفة . تبدأ تلك الجلسات حوالي الساعة السادسة والنصف صباحاً ، حيث يجتمع الناس في صالونه . . يبدأ هذا التجمع بالأخوات المقيمات في المنزل ، تفتتح الجلسة بقراءة للقرآن (سورة نون) و(تبارك) و(عم) و(سورة القدر) التي تقرأ في بداية كل جلسة وختامها (قد اوصى الأستاذ بالإكثار من قرآنها وأخى بينها وبين الجمهوريين بقوله في إحدى الجلسات :

(في يوم الله هذا المبارك ، الأحد ، الحادي عشر من شهر الله هذا المبارك (رمضان) من عام الله هذا المبارك 1396هـ في آخر الثلث الأخير من الليل وقبل الفجر ، قد آخيت بين السورة - سورة القدر - وبين جميع الجمهوريين والجمهوريات . فأجعلوها في وضوئكم وأجعلوها في صلاتكم وأقرأوها في جميع اوقاتكم واكثروا من قراءتها في ليالي وأيام هذا الشهر المبارك وأقيموا بها الثلث الأخير من كل ليلة ، أنشئوا معها صلوات المحبة والعشق هيموا بها في جميع اوقاتكم تبدي لكم اسرارها إن شاء الله وما أعظم أسرارها !! وستكون إلى ذلك عودة إن شاء الله .

ام درمان الأحد 5 سبتمبر 1976 م - 11 رمضان 1396 هـ)

وتواصل الجلسة في الإنشاد الديني . فقد حفز الأستاذ أصحاب المواهب والأصوات الجميلة من الأخوات والأخوان ، ليحفظوا الشعر الصوفي القديم ، مثل ابن عربي والناقلي وابن الفارض وغيرهم ، وكانت تنتقى أجمل القصائد بألحان جميلة ، ويردد بعضها في الصباح وفي الخامسة مساء حتى سميت تلك الجلسات بجلسات الإنشاد ، وفي أثناء الانشاد وبعد نهايته تنتقى بعض أبيات من الشعر الصوفي ، وتطرح للنقاش ، حيث يدلي كل من يرغب من الحاضرين برأيه حول معنى تلك الأبيات ، وفي النقاش يجمع الأستاذ الأراء الصحيحة التي وردت ، يدعمها ويثني عليها ، ويضيف عليها عبارات تفتح الطريق لفهم أكبر ، وقد خلق هذا العمل نوعاً من الجو الفكري والسمو الروحي وزاد الإقبال من جانب الأخوات والأخوان للمشاركة في النقاش . . .

قامت مجموعة المنشدين هذه بتلاوة القرآن بطريقة ملحنة وجيلة ، وكانوا يقومون بهذه التلاوة في تلك الجلسات ، وهذه الطريقة الملحنة أشار بها الأستاذ ، وأورد الأدلة على صحتها ، في حين إستنكرها الكثيرون من المعارضين ، وقد جاء الدليل في عدة أحاديث نورد منها : (حدثنا علي ابن عبد الله ، حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ما أذن الله لشيء ، ما أذن للنبي أن يتغنى بالقرآن) ، وقد كان لها فضل تحبيب القرآن في نفوس الكثيرين خاصة الجمهوريين . . . كان الأخوان ينصرفون من هذه الجلسات لأعمالهم ، بمعنويات عالية ، وعندما كثر الإنشاد والحفظ ، ظهر من بين الأخوان الجمهوريين من يكتبون شعراً حديثاً في معاني العرفان ، كلها تتعلق بالسنة النبوية ، وبتأصيل المعرفة على الحقيقة الأحمدية ، وبالتحديد معاني وردت في الفكرة الجمهورية ، تختلف تماماً عن الشعر الشعبي الذي ، يقوم به المداحون من محبي التصوف ، كما أنه يختلف عن الشعر الصوفي القديم لحدائه عباراته ومعانيه ، وعندما تأسس الإنشاد إقترح الأستاذ أن تنشر هذه الأشعار في أوساط المثقفين ، وعامة الناس في المجتمع السوداني ، حتى تسمو بشعورهم ، وتنأى بهم عن المعاني المبتذلة ، التي يتغنى بها البعض من الناس ، إذ للشعر الصوفي ، معانيه العميقة في اللغة ، وفي رقة الشعور ، ولنشر هذا النهج وسط الجمهور بدأ تسجيل أشرطة الإنشاد في الجلسات الصباحية ، وفي بعض جلسات العصريات ، كانت هذه الأشرطة يقدم لها أحد الأخوان أو الأخوات شرحاً وافياً ، يبدأ بذكر المكان الذي غالباً ما يكون منزل الأستاذ وبحضوره ، ثم التاريخ وأسم مقدم الشريط والمنشد وعدد القصائد ، وكان يتم التقديم بالطريقة التي تشوق المستمع لسماعها ، وقد قدمت لعدد من تلك الأشرطة . . . وكانت تباع بأسعار

زهيدة لتسهل على المشتري ثم تساهم في إعداد المزيد منها كل حين ، وقد جمعت بعض تلك الأناشيد في كتب سميت (أناشيد في طريق الرجعى) .

الحوار داخل المجتمع الجمهوري:-

أسس الأستاذ محمود مبدأ للحوار والبحث العلمي داخل المجتمع الجمهوري حيث كانت تطرح للنقاش في الجلسات العديد من المواضيع الدينية ، والإجتماعية ، والثقافية ، داخل المجتمع الجمهوري ، وتسير بروح ديمقراطية عالية . تبدأ معظم هذه المواضيع دائماً بمبادرة من الأستاذ . أطول هذه النقاشات كانت تدار في جلسة كبيرة في مساء كل يوم جمعة تبدأ بعد صلاة المغرب وتنتهي في الساعة الحادية عشر ، سميت (جلسة الجمعة) ، تتطرق هذه الجلسات لنقاش أكثر المواضيع تعقيداً في الحياة ، مثل موضوع (النسب) ، وكيف أن النسب يؤثر على سلوك الفرد وسلالته ، وفقاً لحديث النبي صلى عليه وسلم ، (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) وربط النسب عنده بالدين ، فكلما أتقن الفرد تقليد النبي الكريم في العبادة والمعاملة إرتقى بنسبه . كما نوقش موضوع (المرأة في الشريعة . . ثم المرأة الإنسان) ، ثم موضوع (الغيرة) وجذورها عند الإنسان والحيوان وأسبابها . . كما نوقش على نفس النهج (موضوع الرسالة والنبوة ، ومحمد الإنسان ، والصلاة ، والآصال ، والأصيل الواحد ، والخليفة وموضوع الخواطر ، كما نوقشت بعض آراء الفلاسفة مثل بوذا وكنفسيوش وكتاب (نقد الفكر الديني) لصادق جلال العظم ، ومواضيع وقضايا حيوية أخرى عديدة ، وكانت هذه المواضيع تناقش بدقة وبتوسع شديدين ، وكل من يريد أن يدلي برأيه يستمع إليه الجميع في صبر وسعة صدر ، ولا يضيق به أحد ، ولا يتحدث شخصان في وقت واحد ، وفي النهاية يصل الحوار إلى خلاصة وتقييم محدد وفق مبادئ الفكر

الجمهوري أنظر(أنظر " مقال هنري كودري ") . . إلى جانب المواضيع الفكرية والجدلية ، كانت تناقش المواضيع التنظيمية والعرفانية .

وفاة مربيته ربي جود محمود:-

في مساء يوم الاثنين 30 / 8 / 1982 ، بدأت حالة أمانا ربي جود الصحية في هبوط مفاجيء ، وأخبر الأستاذ بذلك وجاء إليها مسرعاً ، طلبت منه ألا يتحرك من جوار رأسها وهي في أقصى حالات التعب سألته : (هل أنت جالس أم واقف؟) ، وقد علق الأستاذ مؤخراً على هذا السؤال قائلاً : (إنها دائماً مشغولة براحتة حتى وهي في أصعب حالاتها الصحية) ، وأحضروا له كرسيًا بعد سؤالها هذا ، فجلس إلى جوار رأسها ولم يمض وقت طويل حتى فاضت روحها إلى بارئها . قد كنا نحن في تلك اللحظات في حركة أركان النقاش ونشر الدعوة في الخرطوم . . وعندما عدنا قابلنا الأطفال أمام المنزل منزعجين وأبلغونا بخبر وفاتها ، وقد كان ذلك اليوم يومًا حزينًا ، قضينا معظم الليل في تجهيز جثمانها ، وقد شيع الجثمان لثواه الأخير بالذكر بأسم الله المفرد إلى مقابر الشيخ البكري غرب مدينة أمدرمان ، وورى جثمانها الثري بعد الساعة الثانية صباحاً ، وقال الأستاذ للأخوان : (صلوا من أجلها وأعفوا لها تعبكم فقد كانت مهمة دفنها صعبة فالأرض قوية في هذا المكان) ، وقد تحققت أمنيته ، فقد لاحظت أن الأستاذ قد قام بوضع رأسها في قبرها بيده ، كما كانت تتمنى " انت تحت رأسي وترجع بناسي " ، وجلس أمام قبرها لبضع دقائق . . . كانت لحظات هادئة وحزينة إشرت الأخوات في تشيعها على قدم المساواة مع الأخوان .

عندما جهز الأخوان الشاهد ليوضع على قبرها سألوه عن أسم والدها فقال لهم: (أكتبوا ربي جود محمود، فقد لاحظت عندما تذهب إلى المستشفى وتأني كانت تحمل الروشة بأسم ربي جود محمود فقد كانت تريد أن يكتب إسمها هكذا) "أنظر الصور" كان الأستاذ يقول نحن لاندفن موتانا في مقابر احمد شرفي فأحمد شرفي فقيه، ولكننا ندفن عند مقابر الصوفية مثل البكري والشيخ حمد النيل وكان يفعل ذلك . .

أضحى الأستاذ حزينا لفقدائها، وقد زارها عام 1983 وكنت معه وعدد من الأخوان والأخوات وقضى وقتا طويلا يجلس أمام قبرها، وقد كنت أنوي الوقوف إلى جانبه، ولكن أشار عليّ أن أتركه وحده فأبتعدت، وكأن هناك سرا بينهما. في نهاية الزيارة سألتني الأستاذ لماذا قبرها طويل؟ ولم أعرف السبب، فقال لي لأنها كريمة كانت يدها طويلة.



الأستاذ يتحدث في ندوات المثقفين في حي الموردة بأم درمان

صورة للأستاذ بإتسامته المعهودة وهو يحمل بعض الأوراق للإطلاع عليها



جانب من الجلسات الداخلية للأخوات والأخوان



جانب من الجلسات الداخلية



لجنة الرصد في أحد مؤتمرات الفكر الجمهوري



الأخوان يعملون ليل نهار في ماكينة الرونيو صانعة المعجزات



بعض الأخوان يراجعون احد الكتب على الشمع لطلعته



تجهيز كتب الفكرة للعمل الميداني



الإعداد للعمل الخارجي

الأخوان الجمهوريين في حملة الكتاب وشرح الفكرة على المارة



الفصل السابع

التمهيد لقوانين سبتمبر 1983

في عام 1983 بدأ جعفر نميري وأعوانه يعدون المسرح، لإعلان قوانين الشريعة الإسلامية والتي أسماها الأستاذ محمود بقوانين سبتمبر 1983 لبعدها عن الإسلام، ولذلك بدأت الجهود في تنظيم حملة، ضد الأستاذ محمود وأفكاره تمهيداً لتصفيته الجسدية، وبالتالي تصفية الفكر الجمهوري لتخلو لهم الساحة من المعارضة ويتفردون بالشعب في غياب الوعي . . وفي الجانب الآخر من تلك الحملة ظل ديدن رجالات الأزهر الذين جلبتهم حكومة نميري إلى السودان، تنظيم الحملات ضد الفكر الجمهوري، وذلك بحملة نشطة بالسباب للأستاذ محمود، وكان هؤلاء يتوافدون على جامعة أم درمان الإسلامية كأساتذة. ومنذ زمن طويل بدأوا مهاجمة الفكر الجمهوري من غير إطلاع، ولأسبق معرفة، بما يقول الأستاذ محمود متناسين قول الله تعالى: ﴿إِذَا تَلَّوْنَهُ بِالْأَنفِ تَكْفُورًا وَيَقُولُونَ مَالَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥﴾ (سورة النور). وجامعة أم درمان الإسلامية هي إحدى معادل المؤسسة السلفية في السودان. . هي جامعة خرجت من معهد أم درمان العلمي القديم، وكذلك كان إسمها السابق، قامت هذه الجامعة على النهج السلفي، بها كلية منفصلة للبنات، وذلك بناء على مبدأ رفض الاختلاط في الشريعة، ولكن الأساتذة الذين يدرسون البنات في هذه الكلية، هم رجال الفقه الإسلامي من السودان ومصر!!، والمعروف أن كل السلفيين المنبوذين في مصر، قد وجدوا في السودان مأوى ومرتباً خصباً لهم، وأخذوا يمارسون النشاط الذي كان ليس من الممكن أن يمارسونه في مصر، وأصبحت جامعة أم درمان الإسلامية وكراً لهم!! . هذه الجامعة تجدد دعماً مالياً من المملكة العربية السعودية، كما كان يفد إليها السعوديين.

بدأت الحملة ضد الأستاذ بأحد الفقهاء الوافدين على تلك الجامعة من مشايخ الأزهر ، الذي دعي خصيصاً لهذه المهمة ، يدعي (المطيعي) وهو نفس الشخص الذي أثار الفتنة الدينية في مصر ، قبل مقتل الرئيس أنور السادات ، وقد جاءوا به للسودان ليقوم الندوات والمحاضرات ضد الأستاذ ، والفكر الجمهوري ، بغية الغدر بالأستاذ ، وقد قدم الكثير من الأحاديث من منبر جامع التقوى في حي كوبر الذي يعرف بجامع عمر محمد الطيب رئيس جهاز أمن الدولة إبان حكم جعفر نميري وقد كانت كل تلك الأحاديث هجوماً غير موضوعي ، وغير أمين ، وإنما هو سيل من الإساءات والتلفيق ، وإمتد نشاطه من هذا المسجد إلى مساجد أخرى ، وقد أخذ يذاع حديثة من أجهزة الإعلام الرسمية المختلفة . . وقد أخرج الجمهوريون كتيباً ضد هذا الهجوم تحت عنوان (الهوس الديني يثير الفتنة ليصل إلى السلطة) ، وقد وضع للناس من هو المطيعي ، ثم شرح الغرض الذي يستغل به المطيعي الرجل الدخيل ، للهجوم على الأستاذ الرجل الوطني وعلى الفكرة الجمهورية ، إنتقد ذلك الكتاب كل أحاديث المطيعي ودحض الكذب الذي حوته ، والتي كانت تذاع في المساجد وأجهزة الدولة الرسمية ، وقد بدأ الجمهوريون نشاطاً كبيراً بهذا الكتاب وذلك بإقامة الندوات ، وقيمون الندوات وأركان النقاش والحوارات حوله ، في الجامعات والأماكن العامة من أجل التوعية . . . لم تحتمل السلطة هذا النشاط فبدأت حملة إعتقالات واسعة في وسط الجمهوريين ، الذين يقدمون هذه الأركان . . كل من يقدم ركناً للنقاش حول هذا الكتاب يعتقل ، وإستمرت الإعتقالات حتى وصل عدد المعتقلين إلى خمسين معتقلاً . . وقد تم إعتقاله بعد أن قدمت منبراً في كلية الطب في جامعة الخرطوم ، بعد دخول هذا العدد الكبير إلى السجون ، أوقف الأستاذ حلقات النقاش ، ثم

وجه ان يسجل نفس الموضوع فى عدد من الأشرطة توزع على الجمهور، وفعلاً سجل الأخوان والأخوات الجمهوريات، عددا من الأشرطة حتى بلغت ستة وعشرين شريطاً، سجل فيها نفس الكلام الذي كان يدور في الأركان عن الهوس الديني، وأخذت هذه الأشرطة تجد رواجاً كبيراً. وهكذا تدرجت المقاومة السلمية متغيرة في الأشكال والصور لتبصير الناس بخطر الهوس الديني، من أجل الإسلام والسودان، وانتشر هذا النشاط وتواترت أخباره في المدينة، حتى فقد نظام نميري صوابه، تجاه هذا العمل المكثف في التوعية، والهجوم على السلطة، التي أصبحت أداة من أدوات الهوس الديني، فشن جهاز الأمن حملة واسعة على منازل الأخوان التي ورد ذكرها في هذا الكتاب، فصادروا جميع نسخ ذلك الكتاب من أماكن إعدادها، كما صودرت ماكنات الطباعة وجميع الأشرطة..

في شهر رمضان الموافق يوم الخميس 9/6/1983 اعتقل الأستاذ محمود، ووضع في أحد المنازل التابعة لجهاز أمن الدولة (دار إتحاد الضباط الإداريين سابقاً، ثم نقل إلى منزل كان يسكنه الأستاذ بونا ملوال سابقاً) كما اعتقل عددٌ من الأخوان بسجن كوبر، وأعتقلت أنا وثلاثة من الأخوات بسجن أمدرمان (قسم النساء)..

إعلان قوانين سبتمبر 1983:-

بعد أن اعتقدت السلطة أنها أخذت صوت الجمهوريين في الخارج، وخلت لها الساحة من المعارضة، أعلن جعفر نميري في سبتمبر 1983 القوانين التي أسماها زوراً وبهتاناً بالقوانين الإسلامية، التي أطلق عليها الأستاذ (قوانين سبتمبر 1983) وذلك لأنها قوانين قامت على تشويه الإسلام، وتعذيب الشعب، فقد

سنت قطع اليد على السرقة من المال العام، مع أن الحكم في الشريعة تعزيراً ولا يتم القطع في حالة السرقة من الحرز، كما سنت قطع اليد والرجل من خلاف على السرقة من الطريق، والقطع من خلاف في الشريعة لا يتم إلا لقطع الطريق الخلوي وإرهاب الناس والسرقة، وليس من وسط المدينة كما حدث في نظام نميري في قضية المواطن الواثق الشهيرة، فقد نفذوا فيه القتل والصلب والتثيل بجثة المتوفي (وعلقوا جثته في بوابة السجن) وهو ما حرمه الإسلام. . . كما أوسعت هذه القوانين الشعب جلدًا لأقل المخالفات التي لم ترد حتى في الشريعة، وأباحَت التجسس الذي نهى عنه الإسلام. هذه هي قوانين سبتمبر في جملتها، وقد أصدر الأستاذ منشورًا بتاريخ 11/8/1984، واجه فيه قوانين سبتمبر، وقانون الطوارئ في هذا المجال، نجتزئ منه مايلي: (إن سلطة مايو أخذت تسير في الظلام منذ إعلانها قوانين سبتمبر 1983، وهي قوانين كما سنبين أنها مفارقة للدين، ومفارقة للشريعة. . . وقد نصحن سلطة مايو في كتابنا الأخير: (الموقف السياسي الراهن 3 مارس 1983) نصحًا صادقًا، حتى تعدل عن هذا الطريق المظلم - طريق الفتنة العمياء ولكنها لم تنتصح). . . وقد نقد المنشور قانون الطوارئ الذي أقر فيه الطاغية مبدأ التجسس في خطابه 24/5/1984 الذي قال فيه: (هذا هو الإسلام النهج الإسلامي، وكل ذلك هو الإسلام الصحيح والصحيح حقًا، ولكن الإسلام له طوارئ، فعندما نرى المجتمع قد فسد أو انحرف انحرفًا شديدًا، نعلن الطوارئ، ندخل البيوت، ونفتش الناس في كل مكان، من يشرب في الخفاء ومن يزني . . .). ورد الجمهوريون في منشورهم على الطاغية بالآتي: (إن الدين قد نهى عن التجسس نهياً قاطعاً، قال تعالى: ﴿... وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَئْسَ الْفَعْلُ﴾ (سورة الحجرات). . . وقال النبي الكريم: (ولا تحاسدوا،

ولاتباعضوا، ولا تجسسوا، ولا تناجثوا وكونوا عباد الله إخوانا) رواه مسلم - رياض الصالحين . . وقال: (إنك إن تتبع عورات المسلمين أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم) رواه أبو داؤد بإسناد صحيح - رياض الصالحين . . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من إطلع في بيت قوم بغير إذنه ففقأوا عينه فلا دية له ولا قصاص) زاد المعاد لابن القيم - جزء 3 الطبعة الأولى صفحة 275 - فليس في الإسلام (طوارئ) تبيح للمسلمين الخروج على قيم دينهم وروح شريعتهم فإن صلاح الناس لا يكون قط بمخالفة أمر الله، وأمر نبيه . . أكثر من ذلك فقد نصت قوانين سبتمبر على مخالفة أمر الله، فقد جاء في قانون الإثبات لا ترفض البينة المقبولة لمجرد أنه قد تم الحصول عليها بوسائل غير مشروعة، متى ما إطمأنت المحكمة إلى سلامة البينة من الناحية الموضوعية - الفصل السادس من المادة 11-). . هذا ما إجتريناه من منشور الجمهوريين أنف الذكر .

لم تكن فترة الاعتقال فترة جمود وصمت، أو تعطيلاً للعمل الفكري أو السلوكي كما ظن رجال النظام . . وقد ظل العمل الجمهوري جارياً بأساليب جديدة، وظلت رعاية الأستاذ للمجتمع قائمة من على البعد، بطرق متنوعة وجديدة أيضاً، وقد كان هدف النظام من حبسه منفرداً، هو إبعاده عن المجتمع الجمهوري، وإشرافه عليه . . ففي السجن أشرف الأستاذ محمود على كل التحركات وقام بإعداد منشور في نقد ومهاجمة قوانين سبتمبر في 11 أغسطس 1984م، وقد ساق ذلك المنشور أدلة قوية في معارضة تلك القوانين، وخروجها عن الشريعة، وبالتالي تشويهها للإسلام كما فصل أعلاه، وقبله أصدر في 3 مارس 1983م أصدر كتاب (الموقف السياسي الراهن) الذي جاء فيه: (أن

القوانين الأخيرة ليست إسلامية !! بل أنها ليست شرعية ، وهي عمل ضد الإسلام وبصورة محزنة !! فإنها قد شوهت الإسلام في نظر الأذكىء من شبابنا ، وفي نظر العالم ، وجردت الإسلام من حكمته ، وأظهرته بصورة قسوة تنصب على المساكين والمستضعفين لحماية الأقوياء والأغنياء) إلى أن قال : (ويكشف التطبيق العملي لهذه القوانين الجديدة ، عن مفارقات واضحة للنهج الإسلامي الصحيح ، الذي يقتضي أن يكون التطبيق للقوانين الإسلامية الصحيحة ، على أديم أرض ثابتة من إستقامة أمر الناس على جادة التربية والترشيد الإسلامي ، ومن رسوخ أقدام العدالة الإجتماعية) ، كما أوضح فيه تردي الموقف السياسي ، وضعف الموقف الإقتصادي والخطر الذي تواجهه البلاد ، في حالة عدم القيادة ، وعدم الإئزان العقلي ، الواضح في تصرفات جعفر نميري . . إنتشر هذا الكتاب في الخرطوم ، وبعض المدن الكبرى ، وإنطلقت الشائعات بين الناس بأن الأستاذ محمود قد إتهم نميري بالجنون . . أيضاً في فترة الإعتقال تلك ، كتب الأستاذ ديباجة الدستور ، وهي آخر ما كتبه ، وقد بدأها بالآية الكريمة : ﴿ . . . الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا . . . ﴾ (سورة المائدة) ، وفيما بعد إتضحت لي دلالات هذه الآية التي كانت خفية عليّ في وقتها وضع الأستاذ في الديباجة الأسس التي يقوم عليها الدستور ومدخله ، كما شرح معنى كلمة الديمقراطية ومقاصدها ، ومعناها حكم الشعب بواسطة الشعب لمصلحة الشعب ، وفي الجانب التطبيقي كان حكم الشعب عن طريق الحكم النيابي ، ومن هنا نشأت الأحزاب السياسية ، وقد توسع في شرح معنى الديمقراطية وتاريخ تطورها عبر العصور ، ثم ما إعتري تطبيقها من عقبات ، اولها عدم وعي الشعوب

بمقوقها؁ وثانقها أنانق الحكام؁ فكل الحكام حتى فف أعرق البلدان التي تدعي الديمقراطية يعملون لمصالحهم وليس لمصالح الشعوب؁ وأورد فف هؤلاء ما قاله ابو العلاء المعري :

مل المقام؁ فكم أعاشر أمة **** امرت بغير صلاحها أمارؤها

ظلموا الرقة وإستباحوا كقدها **** وعدوا مصالحها؁ وهم أأراؤها

ثم قم تجارب المعسكرقن الشرقي (روسيا) والغربي (بريطانيا وامريكا) وكيف أنهما فشلا فف تحقيق الديمقراطية والإشتراقية؁ وقد وضح تجربة المعسكر الشرقي الذي يعتبر أكثر تقدماً من المعسكر الغربي ومع ذلك فهي الأكثر فشلا فقد قال عنها : (الناس يتحدثون فف الوقت الحاضر عن العلمقة بتأثر كبير برأي كارل ماركس ولكنهم غير دقيققن فف هذه التسمية . . إشتراقية كارل ماركس علمانقة؁ وليس علمقة . . وكذلك كلما يتحدث عنه الناس الآن؁ إنما هو علماني؁ وليس علمياً . . الفرق بقن العلمقة؁ والعلمانقة؁ إن العلمانقة علم ناقص . . ونجى العبارة عنه فف القرآن : ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ. وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) يعلمون ظاهراً من لقوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غفلون ﴿٧﴾ (سورة الروم) سماه؁ ونفى عنه؁ أنه علم : قال (لا يعلمون) ثم قال (يعلمون ظاهراً . .) وهذا الظاهر إنما هو المادة كما تتبادر لحواسنا . . العلمانقة تتعلق بالحياة الدنيا - الحياة السفلى - حياة الحيوان؁ وتغفل عن الحياة الأخرى . . الحياة العليا . . وهي جياة الإنسان).

وتحدث الستاذ عن تجربة السودان التي اقعدها قلة الوعي والطائفية ، ثم اوضح حاجة الإنسان للإشترابية والديمقراطية ، ووضح المنهاج لتحقيقها ، وقد شملت الديباجة تصوراً شاملاً لعلاقة الإنسان بالكون ، وعلاقة الإنسان بالدين ، وبالبيئة حوله ، ثم علاقة بالله ، كما شملت حديثاً علمياً شاملاً عن الكون الخارجي ، والكواكب ، والمجرات ، والنجوم ، وعلاقة كل هذا بالنفس البشرية ، ومن هنا جاء ليربط بين التصور التام للكون وبين دستور الامة الذى يمكن ، أن يقوم على النظام الإشترابي الديمقراطي ، الذى يحرر الإنسان من الخوف ، ويمهد له سبيل العودة إلى الله (راجع ديباجة الدستور) وتعتبر الديباجة إنجاز جديد إضافة إلى إنجازات الفكرة الجمهورية ، وبهذا المعنى ، كماقال : (فإن الإعتقال قد كان على موعد مع عمل عظيم . .) .

تم إطلاق سراح الأخوات الجمهوريات من سجن ام درمان في يوم 1984 / 2 / 28 وبعد فترة وجيزة تمكنت من تنظيم زيارات للأستاذ في معتقله عن طريق الرجل المسئول عن القسم (السياسي العقائدي) كما يسمونه في جهاز امن الدولة ، وكان قد سمح لزوجته امنا آمنة محمد لطفي بزيارته أيضاً . وفي تلك الفترة التي بدأت فيها زيارتي كان مشغولاً بكتابة ديباجة الدستور ، وكان في كل زيارة له ، يعطيني صفحات من الديباجة ، على فترات ، وفي دفعات ، كان يرسلها معي ليطلع عليها الأخوان ، والأخوات ، في الجلسات الصباحية ، وكان يوصيني بالتحفظ عليها ، وكذلك أن يتحفظ عليها الأخوان والأخوات ، وذلك لأنها تحتاج لبعض الوقت حتي يتمكن الناس من الإطلاع على كتب الفكر الجمهوري وعلى

فهمها ، ليمكنوا من فهم الديباجة . . لأن فهم كتب الفكرة الجمهورية يساعد على فهم الديباجة .

صلة الأستاذ بالمجتمع الجمهوري أثناء فترة الاعتقال:..

كان في فترة الاعتقال على صلة تامة بأفراد المجتمع الجمهوري ، وبالمعتقلين ، كان يوصي الأخوان الذين يحملون له ولنا وجبات الطعام ، بكل ما يريد أن يقوله لنا ، كان يعرف أحوالنا بدقة ونحن في السجون ، ويتابع حالاتنا الصحية ، كانت عنايته شاملة بكل المعتقلين وأسرههم ، فقد أمر بجمع جميع زوجات المعتقلين وأبنائهم المقيمين في الخرطوم في منزله بمدينة الثورة ، حيث كن يتابعن أخبار أزواجهن وأخبار باقي المعتقلين من منزل الأستاذ ، ويتم الإشراف على علاج أطفالهن وتنظيم زيارات الأسر للسجون ، من منزله أيضاً كان يحمل إلينا القادمون من زيارته ، وصاياه مكتوبة على قصاصات من الورق ، كانوا يكتبونها بعد أن يوصيهم بها ويبدأ هذه الأوراق ب(بتول وأسماء و. . إلخ) ، أو بتول وأخواتها ، كان تركيزه كبيراً في فترة الاعتقال هذه ، أن يكون الجميع في داخل السجون وخارجها ، في حالة حضور تام ، يوصي بالإهتمام بالصلاة ، وخاصة قيام الثلث الأخير من الليل ، ثم يرسل لنا ، مقترحاً لبعض الموضوعات ، لنكتب فيها ثم نرسلها له ، ليطلع عليها ويرسل لنا تعليقاته عليها ، كان يحفزنا على الكتابة وتجويدها بإرسال الهدايا لنا في السجن ، أرسل لنا جميعاً هدايا أذكر بعد ان كتبت موضوعاً نال إعجابه ، علق أنه ممتاز ، أرسل لي مصلاته الخاصة التي كان يستعملها في المعتقل وما زلت أحتفظ بها كأعز ما أملك في هذه الدنيا . .

كنا جميعاً من داخل السجون، نتابع بضيق شديد تطبيق العقوبات (غير الإسلامية) على المواطنين من حدود مشوهة، مثل قطع اليد، والقطع من خلاف، والقتل والصلب والجلد، وقد كانت تلك أياماً سوداء في تاريخ الأمة السودانية، وعمل شبيه بالجنون، خاصة يوم أن أعلنوا عن صب الخمر في نهر النيل، فقد أعلن جعفر نميري وجماعته، عن إبادة جميع الخمر، وجمعت كميات كبيرة منها، ووسط جمع غفير من المسؤولين، والجيش، والبوليس، وجموع المواطنين ألقى الخمر في النهر . . . ومن المتناقضات أن حضر إلينا عدد كبير من عساكر السجون ممن شاركوا في مهمة إلقاء الخمر في النهر، أتوا جميعاً مغمورين فقد تناولوا كميات من تلك الخمر التي كان يجب أن تباد!!

إطلاق سراح الأخوات الجمهوريات..

في يوم 1984/2/28 تم إطلاق سراحنا(الأخوات الجمهوريات الأربعة) من سجن أمدرمان، من غير قيد ولا شرط، ومن غير أي سبب واضح، وقد سمعنا بعض الشائعات تقول أن بعض المواطنين السودانيين قد أعابوا على عمر محمد الطيب، رئيس جهاز أمن دولة نميري، إعتقال البنات!!، إذ أنه يعتبر عملاً منافياً للأعراف السودانية، ولكن بعد فترة تأكد لنا أن تلك كانت مساعي منظمة حقوق الإنسان . . في تلك الفترة أيضاً تقرر إطلاق سراح الأستاذ وحده، من غير إطلاق سراح الإخوان الجمهوريين الموجودين في سجن كوبر وبقيّة السجون، وقد رفض الأستاذ الخروج بقوله (أن أبنائي الجمهوريين في السجون، قد دخلوا جميعاً بسبب الفكر الجمهوري وهو مسؤوليتي أنا ولا يمكن أن أخرج وهم في السجون) نسبة لهذا الموقف صرفت الحكومة النظر عن إطلاق سراح الأستاذ، وبقي في السجن حتى 19 ديسمبر 1984، حيث أطلق سراحه مع جميع الإخوان

الجمهوريين، في حين أن بعض زعماء الأحزاب قد قبلوا الخروج من السجن قبل خروج أعضاء أحزابهم وقد خرجوا فعلاً.

في أثناء فترة تواجده في السجن ظللت أتردد عليه منتهزة كل الفرص وكل الأسباب التي تمكنني من ذلك، فقد كنت أنا رسمياً الشخص الذي يحمل له وجبات الطعام بعربتي، ولم يكن من المسموح لي أن أذهب له في مكان معتقله، وكان من المفروض عليّ أن أقف أمام رئاسة جهاز أمن الدولة، ثم يأتي أحد العساكر يأخذ مني الطعام ويعطيني الإناء الفارغ، الذي أحضرت فيه الطعام في اليوم السابق، وفي ذات يوم أحضرت الغداء، فوجدت الفطور الذي أحضرته في الثامنة صباح أمس موجوداً في مكانه، لم يحمل إليه بعد، وأنه لم يتناول طعاماً منذ أمس وحتى الساعة الثالثة. . وقد أثار ذلك غضبي وصحت في العساكر (أنكم إذاً تريدون قتله جوعاً)، وهنا ثارت حفيظة العسكري وإنفجر يتهمني، ودارت بيننا معركة كلامية، كدت أن أعتقل فيها مرة أخرى، ثم قررت الإتصال تلفونياً برئيس (القسم العقائدي)، لمقابلته، وقد تمت المقابلة، لم يكن عدوانياً في تلك المقابلة، أخبرته بما حدث في أمر الطعام، وطلبت منه أن أزور الأستاذ، وأن أحمل إليه الطعام بنفسني فوافق. . في الفترات السابقة كنت عندما أسلم الطعام لرئاسة الجهاز، كنت أمر أمام مكان إعتقال الأستاذ في منزل بونا ملوال في شارع البلدية، لأنظر إليه من النافذة، وعندما سمح لي بالزيارة وقابلته قال لي: (إنني كنت أخاف عليك عندما تمرين أمام نافذتي، وأحسب دائماً أنهم قد أخذوك إلى أحد محاكمهم، وقاموا بجلدك، ولذلك كنت أريد فعلاً أن تطلبي زيارتي، بهذه الطريقة. .)، بعد السماح لي بالزيارة تمكنت من إستخراج إذنًا بالزيارة لشقيقتيه

كلتوم وبتول ، وعند وصولهن ساد الفرح ، وقد كان لقاء حاراً ، ومنذ ذلك اليوم بدأت عمتي كلتوم أكثر تماسكاً من ذي قبل فقد اطمأنت عليه . .

في ذلك اليوم ظهر لي أن مع الأستاذ في المنزل معتقلاً آخر ، هو رجل الأعمال السوداني الدكتور خليل عثمان . . كانت الغرفة التي يسكن فيها الأستاذ في منزل حكومي في شارع البلدية ، كنا نقول عنه دائماً منزل (بونا ملوال) فقد كان هذا المنزل مخصصاً للسيد بونا ملوال . . كان المكان متسخاً بصورة غريبة . . كان للإستاذ في الغرفة سرير ، ومصلاة بجوار السرير ، وجرة صغيرة للماء ، وتريزة ، عليها حقيبة ملابسه . . حز في نفسي كثيراً إتساخ الغرفة بتلك الصورة ، فذهبت لرئيس القسم العقائدي في جهاز أمن الدولة ، وطلبت منه أن أذهب لتنظافة الغرفة بنفسي ، فرد عليّ أن هناك من سيذهب للتنظافة ، ولكنني أصررت أن أقوم بالتنظافة بنفسي ، فوافق وذهبت في صباح اليوم التالي ، وقمت بالتنظافة كاملة ، ومنذ ذلك اليوم أصبحت أستغل تصديق النظافة لزيارته ، مرتين ، أو ثلاثة ، في الأسبوع ، كما أنني وقبل ذهابي إلى مكتبي أحمل له الشاي في الصباح الباكر ، كل ذلك كان للإطمئنان على صحته ، فلم يكن يحرص على الشاي ، كنت في كل زيارة أقوم بتنظافة الغرفة ، كان يمنعي من النظافة بقوله ، أن زمن الزيارة قصير ولا يصح أن تضيعه في النظافة ، كنت أقول له أن زمن الزيارة ساعتين ، فكان يقول لي مهما كان الزمن طويلاً فإنه ضيق ، ولا تضيعه في النظافة تحدّثني معي⁽¹⁾ . .

أذكر في أحد المرات ، نظفت الأرضية ، وبقيت أثار قدمي مرسومة على الأرض وجفت على ذلك ، وعندما عدت في المرة القادمة مسحت الأثر فقال

(1) كل هذه الزيارات مسجلة على أشرطة كاسيت ودونت بالقلم في حينها وحفظت .

لي: (لا تمسحيهما فقد أناستني في الأسبوع الماضي . . وأضاف، اليدين بمثلان صفحة العقل ، والقدمين بمثلان صفحة القلب ، وأنت لما تركتي أثار قدميك في المرة السابقة ، كأنك تركتي قلبك مع أبوك)، من هذه العبارات أدركت كيف أن السجن المنفرد يكون موحشاً للإنسان . . علق على إتساخ الغرفة بقوله (إن هذا المكان الغير نظيف، يشعرني بالإنكسار والتواضع ، ففي خارج السجن كنتم تخدموني ، وقد كنت مقدساً عندكم . . .) وقد كان هذا الحديث يثير في نفسي الكثير من الحزن ، فالمعاملة داخل المعتقل بهذا الشكل ، كانت دون مستوى أي رجل في مكانة وعمره ، بدون أي سبب فقط لأنه اختلف في رأي ديني ، مع من يدعون الإسلام في بلاده وهم في عمر أبنائه والإسلام منهم براء !! .

المواضيع التي كان يتحدث عنها الأساخذ وهو في السجن (1984):..

كان يحادثني في تلك الزيارات أحاديثاً عميقة ، وحزينة ، في نفس الوقت ، كانت بعض الكلمات تمر عابرة ، ولا يعيدها مرة أخرى ، لا أتبينها تماماً ، ويظل صداها حزيناً عالقاً في ذهني . . قال لي مرة أنه يجد متعة طيبة في السجن ، ثم أردف (ولكنني أقول أحياناً ، لو كنت خارج السجن لقدمت أكثر للناس) .

أغتيبت أنديراً غاندي وهو في السجن ، وفي إحدى زياراتي له ، وجدت عنده مجلة (نيوز ويك) الأمريكية تحمل الخبر ، وصور أنديراً وهي قتيلة ملقاة على الأرض ، وقد كان حزيناً لإغتيالها ، وقد علق بأنها (إمرأة عظيمة ، وماتت ميتة عظيمة وقال هي أول امرأة تغتال في التاريخ ، حياتها كانت عظيمة ، فقد كانت حريصة على وحدة الهند التي منذ أن جاءت إلى السلطة وجدتها موزعة ، وكان السيخ يطالبون بالإنفصال لإقليمهم ، فإذا سمحت لهم بذلك فكل الأقاليم

ستطالب بالإنفصال ، وما فعله السيخ مستهجنًا وليس هناك قضية تنتصر بهذا الأسلوب والإغتيال كان فيه خسة وغدر فقد قتلها حرسها الذي كانت تطمئن إليه وإغتيالها كان شبيه بإغتيال السادات . . وقد أعجب بتعليق وزير الخارجية الأمريكي الذي قال : (أنه حزين عليها وأن فقدما لا يعوض) ولكن الأستاذ قال أن إنديرا استعوض بمن هن أقيم وأفضل منها وذلك في مستقبل الجمهوريات وقد تحدث أيضاً عمن إغتيالها من السيخ وعن قوى الشر في العالم) ، وإنتهزت هذه الفرصة وسألته بتعليقي : (ولكن الشر دائماً منتصر) ، رد على قائلاً : (ينتصر لنهايته) . .

في نفس تلك الأيام ترشحت السيدة فرارو لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ، كان سعيداً جداً بترشيح تلك السيدة لمنصب الرئاسة الأمريكية ، وكان في سلسلة من زياراتي له في تلك الفترة ، يتحدث عن ذلك الحدث ، وظل يتابع أخبار الانتخابات في (التايمز ، ونيوزويك) ، وكل المجلات والصحف التي ترد فيها أخبار الانتخابات الأمريكية ، كان دائماً يبدو سعيداً بتقدم تلك السيدة ، قال لي في إحدى الزيارات أنه يحب تقدم المرأة ، ويفرح له وأضاف هناك عقدة عدااء للمرأة ، وعقدة محبتها ، وقال أنه لا يعاني من أي من العقدين . بعد إغتيال أنديرا كان يتحدث أحاديث كثيرة حزينة عن الإغتيالات ، مثل إغتيال عمر ابن الخطاب وإغتيال عثمان بن عفان ، ويردد بعض أبيات الشعر العربي عن صبر الإبن بعد فقد الوالد ، وكيف أن صبر الإبن يعين الآخرين على الصبر وتلى الأبيات التي قالها أحد شعراء العرب يعزي عبد الله بن عباس في والده :

(أصبر نكن بك صابرين فإنما *** صبر الرعية بعد صبر الرأس)

خير من العباس أجرك بعده *** والله خير منك للعباس)

لم أكن أفهم حقيقة مرامي تلك الأحاديث ، في ذلك الوقت ، ولكن بعد إغتياله بدأت أفهم أنه كان يلمح ليعدني لذلك الحدث . . وتحديث عن وصف ابو العلاء المعري لوقار والده في بيت الشعر :

(ألا ليت شعري هل يخف وقاره إذا صار أحد في القيامة كالعهن

وهل يرد الحوض الروي مزاحماً أم يأبا الزحام فيستأني).

أحياناً كانت تحدث بعض الأشياء الغريبة أثناء زياراتي له ، أذكر أنه في ذات مرة كنت أجلس على طرف سريره ، كان ينظر من الغرفة إلى بلكونة مواجهة إلى باب الغرفة ، وقد لاحظت أنه فوق زاوية جدار تلك البلكونة ، كان يقف صقر ضخيم الجسم ، فجأة قطع الأستاذ حديثه معي ، وقال لي في دهشة : (أنظري لقد جاء ، إنني أحب ذلك الصقر ، فعندما يجلس في ذلك المكان أرتاح له . . الصقر طائر هادئ وقليل الحركة ، إنه لا يحرك رأسه كثيراً ، مثل السمير) ، (والسمير طائر معروف في السودان) كثير حركة الرأس ، وأخذ يتطلع للصقر ، وتبرق عيناه بريقاً شديداً ، وقد ظل الصقر واقفاً بلا حراك طوال فترة حديث الأستاذ عنه . . لم أفهم شيئاً ولكنني كرهت ذلك الصقر في تلك اللحظات ، ففي الثقافة السودانية الصوفية ، أن الصقر يرمز للأولياء والصالحين الأقوياء ، ولكن العامة يتشائمون منه ، وقد إنتابني شعور العامة ! .

في أحد الأيام قمت بنظافة غرفته ووجدت جردلاً (إناء ماء) مخروماً ، فألقيت به في ركن قصي في صالة مهجورة ، في مكان سكنه ، وفي زيارة قادمة ،

وجدته قد أعاد الجردل إلى مكانه، داخل الحمام، ثم أخرجته، وأعاده، وفي المرة الأخيرة طلب مني أن لا أخرج ذلك الجردل من الحمام مرة أخرى، قائلاً: (لأن ذلك الجردل قد خدمني في أيامي الأولى، عندما لم يكن معي جردل جديد) ثم قال لي: (نعم إن ذلك الجردل قديم، ولكنه قدم لي خدمة، وأريده أن يكون محفوظاً في مكان جيد نسبه لما أداه لي من جميل)، ومثل هذا الوفاء غريب فهو ليس للناس فقط، وإنما للأشياء أيضاً، وهو تحقيق لفكرته التي يقول فيها أن يعيش الإنسان في سلام مع الأحياء والأشياء).

في إحدى زيارتي وجدت عنده قطعة من التفاح، كانت ضمن الطعام الذي أحضره بالأمس، فقدمها لي قائلاً (كنت فكرت أن أعطيها لحارسي، من رجال الأمن، ولكن تذكرت أن اليوم يوم زيارتك، فاحتفظت بها لك، يقولون أن الولد مجبنة مبخلة) . .

في كثير من الزيارات الأخيرة كان يحدثني عن ضرورة (قراءة الأيام)، وهو أن يحاول كل شخص أن يرجع إلى ماضي حياته، ويسترجع جميع الحوادث، والمواقف، التي إتخذها فإن كل شخص سيجد أن ماضي حياته لم يكن ليحدث أحسن مما حدث، وأن كل المواقف لم يكن هناك بديل لها، أفضل من الذي إتخذه وهي تدل على تسيير الله الحكيم والدقيق، لكل إنسان في حياته، وكان من هذا المنطلق يطلب مني أن أجلس مرة لقراءة أيام حياتي، كما حكى لي قرأته لأيام حياته يجدها القارئ في الفصل الأول من هذا الكتاب (تاريخ الاسرة).

في ثاني زيارة لي ، رافقني أحد رجال الأمن إلى حجرة الأستاذ ، فخاطبه الأستاذ قائلاً (بتول إبتنى وكانت غير موجودة ، والأن ستكون هي الشخص الذي يأخذني إلى طبيب الأسنان) ، وقد تمكنت من إعداد تلك الزيارات ، وكان طبيب أسنانه هو المرحوم دكتور حسن حسين ملاسي ، كان رجلاً طيباً وكرماً ، وكان يكن للأستاذ تقديرًا واحترامًا كبيرين ، وكان يصبر أن لا يأخذ أجرًا على علاج الأستاذ ، وعند إصرارنا كان أحيانًا يأخذ مبلغًا زهيداً ورمزيًا فقط ، وبعد فترات متباعدة . . بعد فترة من الزمن سعت لإستخراج إذن لزيارة احد الأطباء الجمهوريين للأستاذ كل يوم (أثنين) ، وبذلك إرتفع عدد زيارتي له وكان يسعد كثيرًا برؤية واحدًا من أبنائه الأطباء . (أنظر خطابات الأستاذ من المعتقل) .

19 ديسمبر 1984 إطلاق السراح الأستاذ والتأمر على حياته..

في أثناء فترة وجود الأستاذ في المعتقل ، وبعد صدور قوانين سبتمبر 1983 ، كانت حكومة نميري في حيرة ماذا تفعل بالمعتقلين ؟ أو لعلها كانت تبحث عن المداخل التي تصل بها لإغتيال الأستاذ محمود وإلباس ذلك التأمر ثوب القانون ، فإنطلقت بعض الشائعات تقول أن خليل عثمان ، ومحمود محمد طه ، سوف يقدمان للمحاكمة بسبب معارضتهما الشريعة الإسلامية ، يعنون قوانين نميري ، وفعلاً صدر خطاب يتضمن اسماءهم للمحاكمة ، وبعد ذلك عدل هذا القرار ليعود في شكل جديد ، فقد صدر خطاب يقول : (سيقدم للمحاكمة خليل عثمان ومحمود محمد طه والصادق المهدي للمحاكمة) ، وقد ألغي الخطاب ، وظهر قرار آخر بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، حيث أبرم أمر في الخفاء ، هو أن يطلق سراح الجميع ، ثم يقدم للمحاكمة تحت تلك القوانين ، كل من يقوم بمعارضتها .

ففى حوالى يوم 15 / 12 / 84 أطلق سراح رجل الأعمال الدكتور خليل عثمان ، والذي كان معتقلاً مع الأستاذ لمدة تسعة أشهر وعشرة أيام ، وقد كان أنيساً ممتعاً للأستاذ بحسن خلقه وطيب شمائله . وفى زيارتي للأستاذ فى ذلك اليوم ، أخبرني نبأ إطلاق سراح خليل عثمان ، وقال لي يبدو أنهم سوف يطلقون سراحنا أيضاً ، ولكننا لا نريد أن يجيء يوم إطلاق سراحنا بغتة ، فإننا نريد أن نعد له ، ليكون فيه إعلان كبير ، وسنقوم فيه بحركة كبيرة ، وطلب منى فى طريقي إلى إمدرمان أن أمر على خليل عثمان ، لأبارك له إطلاق سراحه . . . وفعلاً ذهب وكان فرحاً بمقابلتي كما هو حاله دائماً ، وأخبرني بإطلاق سراح جماعة الأنصار . . . وعندما عدت للأستاذ عرفت أنهم قد عرضوا عليه أمر إطلاق السراح ، فوافق بشرط أن يطلق سراح الجمهوريين ، ويحضروا له فى مكانه ليتأكد من إطلاق سراحهم ، لأنهم كما قال لرجل الأمن أنهم اعتقلوا بسببه ولا يمكن ان يخرج ويتركهم فى السجون ، وتمت الموافقة على الشرط الذى عرضه عليهم ، وأمرني أن أنقل الخبر للأخوان وأن يقوموا بالإستعداد لإطلاق السراح ، وهم بدورهم قاموا بتجهيز الميدان المجاور لمنزله . . ثم أمرني أن أذهب لإستخراج إذن مرور عبر الكباري ، للبصات التي تحمل الأخوان ، فى موكب يرفع فيه أسم الله المفرد فى الطريق من المعتقل فى الخرطوم حتي منزله فى مدينة المهديّة فى أمدرمان ، وقد فعلت . ثم ذهبت فى نفس اليوم وقابلت الرجل المسؤول عن القسم العقائدي فى جهاز أمن الدولة ، وقال لي أن الأمر بإطلاق سراح الأستاذ سوف يجيء اليوم ، وقد كان يقول لي بطريقة معمرة وغير مباشرة ، أن لا يقوم الجمهوريين بأي حركة بعد إطلاق السراح وارجو ان تكونوا متعاونين ، وكأنه يعلم أن مكروها قد يحدث ، وهو لا يريد أن يفصح

عنه . . بعدها رجعت للأستاذ وأخبرته بما دار بيني وبين المسؤول في جهاز الأمن ولم يعلق .

في صباح ذلك اليوم 1985 / 12 / 19 وصل الأمر بإطلاق سراح الأستاذ والأخوان . . وإنصرفنا للإستعداد لخروجه ، حيث نصبت الصيوانات أمام منزل الأستاذ ، ووضعت الكراسي ، وأعد عصير الليمون ، والكركي ، والبلح . .

كنت مع الأستاذ في المعتقل حيث حضر أحد الموظفين من جهاز أمن الدولة ومعه عربية ييجو حكومية 405 تابعة للجهاز ، وقال للأستاذ : (لقد أمرت أن أحضر بهذه العربية لأوصلك إلى منزلك) ، وقد لاحظت أن الموظف كان مهذباً في مخاطبته للأستاذ وهذا على غبر المعهود ، شكره الأستاذ على عرضه وقال له : (أنا لا أريد أن أذهب بعربة ، ولو كنت أريد ذلك لركبت عربة بنتي بتول ، فهي معي الآن ، ولكن أريد أن أصل بالبص مع أبنائي الجمهوريين) . بعد أن أطلق سراح الأخوان المعتقلين بسجن كوبر ، وكان عددهم كبيراً ، ذهبت البصات وأحضرتهم إلى مكان إعتقال الأستاذ ، وقابلهم أمام معتقله ، وقد كان يوم فرح كبير ، ممزوج بالحزن نسبة للشعور بالظلم ، وهضم الحقوق ، الذي كان يحسه كل سجين ، أطلق سراحه في ذلك اليوم ، إذ لم يكن ما يدعو للإعتقال ابتداءً ، ولا يمكن أن يسجن مواطن لأنه كتب كتاباً ، راداً على دخلاء على بلادنا ، إستغلوا أجهزة الإعلام الرسمية في الدولة ، والمساجد ، ليسيئوا إليه ويشوهوا سمعته وأفكاره ، وهو ابن هذ البلد الوطني المعروف !! .

خرج الأستاذ بجلبابه الأبيض، والشال، والعمامة البيضاء، وكان وجهه مضيئاً، ومفرحاً، كعادته بإبتسامته المعهودة، يشع منها نور الوضوء والصلاة. . فأقبل عليه الأخوان يحيونه، وركب البص مع الجميع، وقد رجع أحد الأخوان بعربتي إلى امدرمان. . أخذ الأستاذ مجلسه في أحد المقاعد الأمامية في البص، أنا على يمينه، وزوجته أمنا أمنة على يساره، وبالقرب منا عدد من الأخوات القياديات، وتحركت البصات والذكر عالياً، وطابع الفرحة ظاهراً في أصوات الأخوان والأخوات. . مرت البصات بكل الطرق الرئيسية في الخرطوم دخلنا أمدرمان عن طريق كبري شمبات الذي يربط بين أمدرمان والخرطوم بحري، وصوت الذكر بأسم الله المفرد يدوي ويتردد صدهاء في أرجاء المدينة، وجدنا أعداداً كبيرة من الأخوات والأخوان من غير المعتقلين، ينتظرون امام منزل الأستاذ، بعضهم من أنحاء العاصمة المختلفة، وبعضهم من الأقاليم. . وأقبل الجميع يتدافعون نحو الأستاذ، يحيونه، ويقبلون على بعضهم البعض، مهنئين بالخروج. . ولا يعلمون ما تخبئه الأقدار. .

أخذ الأستاذ مجلسه، في الصيوان المعد للإستقبال مع الأخوان، وتقرر في نفس الوقت أن يعقد إجتماع كبير في المساء لتحديد صورة النشاط الجديد. . من الجانب الآخر كان رجال الأمن دائماً يتابعون ويراقبون الحركة، بحضور الإجماعات، وتسجيل وقائعها، وكنا نلاحظ ونعلم ذلك ولم يأبه الأستاذ بهم، كان دائماً واضحاً ومحددًا، وكل عمله واضح للعيان وليس هناك عمل في الخفاء. . وعندما تصله أنباء متابعة رجال الأمن، كان دائماً يقول: (ليس لدينا ما نخفيه). .

المؤامرة (الأيام الأخيرة 19 ديسمبر 1984 - 18 يناير 1985) :-

في يوم 19 ديسمبر 1984 ، بعد خروج الأستاذ محمود من الاعتقال ، عقدت العديد من الجلسات ، سُمعت فيها إنطباعات الأخوان المعتقلين ، الذين خرجوا من السجون ، وسمع شعور كل فرد من الأخوات والأخوان كان يريد أن يدلي برأيه ، أبان فترة الاعتقال ومدى الفائدة التي جناها من الإختلاء بنفسه ، وبعده عن الحياة العامة ، وقد ختم الأستاذ إحدى تلك الجلسات بما معناه أننا قد خرجنا من السجن الأصغر إلى السجن الأكبر ، وهو يعني الوضع العام الذي يعيشه الناس في السودان . . الناس خارج السجون يعانون من عنت الحياة ومن العقوبات التي فرضت عليهم . وفي نفس تلك الجلسات سُمعت إنطباعات الذين كانوا خارج السجون ، من الأخوات والأخوان ، فقد كانوا يشغلون جل وقتهم في متابعة أحوال المعتقلين ، وتلبية طلباتهم ، وقد كان الأستاذ يبدو راضياً بما تم في المجتمع الجمهوري من عمل في تلك الفترة ، ووجه الحديث للجمهوريين في تلك الأيام بقوله : (العناية الإلهية إختارتكم إختيار أولي ، وكل الدلائل تشير إلى أنكم أنتم أصحاب هذا الأمر ، فجدودوا العمل ، وجدو فيه ، لأن الله ما مقيد ، وتلى الآية : ﴿... وَلَئِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (سورة محمد) فإنني أرجو من الله لكم ، البیدلو منكم یبدلو من داخلو ، ما یلفطوا ویجئ واحد غیره) .

بعد خروج الأستاذ من السجن ، لاحظت عدم إنشغاله الواضح بمظاهر الحياة اليومية ، مثل التنبيه بالأخطاء ، أو التحدث إلى الأخوان في سلوكهم ، كما لم يكن يتحدث معي في الأمور التي تخص المنزل ، كما عهدته ، بل كان كثير التفكير ، والجلوس في مصلاه وكأن إهتمامه قد ذهب بعيداً .

في هذه الأيام كانت تدور بعض الأحاديث في غرفته ، عن أخطاء نظام نميري وبطشه ، وتعذيبه ، للشعب ، ففي ذات يوم من تلك الأيام ، حين كان الأستاذ يجلس على مصلاه ، قالت إحدى الأخوات أنه قد نقل عن نميري أنه قال : (لم يقابله سوداني ما خواف) ، فرد عليها الأستاذ وهو ينهض من مصلاه ليجلس على سريره بقوله : (كذاب!) .

كان في بعض الجلسات في منزل الأستاذ يدور الحديث كثيراً عن قرب نهاية نظام مايو ، وفي واحدة منها قال الأستاذ (أن لنميري مهمة سوف لا يذهب قبل أن ينجزها) وقد قالها قبل ذلك اليوم عندما كان يدور الحديث عن البديل لمايو ، في ذلك الوقت ، لم أكن أعرف تلك المهمة ، لكن بعد تنفيذ الحكم عليه وزوال نظام نميري عرفت ما كان يعني .

أصيب الأستاذ بمرض السكر ، أثناء فترة إعتقاله ، بسبب التجويع الذي تعرض له لعدم تقديم الوجبات بانتظام ، ونقل إلى المستشفى العسكري وقد أخفي عنا الخبر وجاءت بعض الشائعات أنه كانت هنالك محاولة لتسميمه حتي يموت في المعتقل . . وعند خروجه من المعتقل ألمحت له بعزمي على تغيير طريقة الطعام في المنزل ليكون مناسباً لمرض السكر فهو لا يجب ان يكون له طعام خاص ، فرد عليّ قائلاً: (مين قال ليك أنك ح تغيريه ؟) ، وقد فهمت في حينها أنه لن يسمح لي بتغيره ، ولكن بعد تنفيذ الحكم ، فهمت أنه كان يعني أنني لن أجد متسعاً من الوقت لأغير طريقة الطعام . .

صدر المنشور (هذا... أو الطوفان) :-

بعد إطلاق سراح الأستاذ من المعتقل عُقدت عدة إجتماعات وقد تقرر في أحد هذه الإجتماعات إصدار منشور في أعياد الميلاد يتحدث للناس عن الموقف السياسي الراهن ويُعلن المعارضة لقوانين سبتمبر، التي سميت بالقوانين الإسلامية، ويشرح المنشور المخاطر التي تهدد وحدة وإستقرار البلاد بسبب تلك القوانين وفعلاً أعد لإجتماع في منزل الأخوان الجمهوريين المجاور لمنزل الأستاذ في الثورة، عين له عدد من القياديين من الأخوات والأخوان، لإعداد ذلك المنشور وفي طريقي للإجتماع دعاني الأستاذ وحدد لي النقاط الأساسية التي يجب أن يشتمل عليها ذلك المنشور كما قال يكون أسمه: (هذا... أو الطوفان)، (ويقرر أن قوانين سبتمبر ليست قوانيناً إسلامية، وأنها شوهت الإسلام وهددت وحدة البلاد. وأن يطالب بإلغائها، وبالحل السلمي لمشكلة الجنوب) وبعد كتابة المسودة إطلع عليها الأستاذ، ووضع المنشور في صورته النهائية، وقد صدر المنشور في 1984/12/25، شاملاً لكل تلك النقاط... تقرر في أحد الإجتماعات أيضاً أن تواصل الحركة نشاطها بحلقة ذكر كبيرة في المحطة الوسطى في الخرطوم، ثم تقام حركة ميدانية بمجموعات (أتيام) من المدربين والمتمرسين من الأخوات والأخوان على إدارة الحوار في الفكرة الجمهورية... كان يراعي في تلك الأيام القوة الفكرية للأخوات، المشتركات في الحركة ويراجع معي الأتيام بعد أن أكونها، في نفس الوقت تقام في منزله جلسة للمرضى، وكبار السن الذين لا يمكنهم المشاركة في الحركة الميدانية.

بعد خروج الأستاذ من السجن ، أخذ يخرج معنا إلى حلقات الذكر في الخرطوم مرتدياً السروال الطويل ، والقميص البلدي ، والعمامة ، والركوب الأبيض ، وهذا هو الزي القومي الأصيل ، الذي يرتديه أهل السودان في الريف السوداني ، ولا يلبسه سكان المدن إلا نادراً . . كان أحياناً يقف في وسط الحلقة ، وأحياناً يلف حولها ، وكان هذا المظهر يمثل معارضة صامتة للنظام ، فمنذ سنوات لم يخرج الأستاذ للمنابر العامة ، وإنما كان تلاميذه هم الذين يقومون بذلك العمل ، وقد لفت خروجه إنتباه عامة المواطنين ، وأصبح الناس في حيرة ، فهذا حزب سياسي يخرج بقيادة زعيمه الذي أطلق سراحه حديثاً ، إلى الميادين العامة . . وقد بدأت الأخبار تنتشر في المدينة ، بأن الأستاذ بعد أن خرج من السجن أصبح يخرج مع تلاميذه إلى العمل الميداني ، وأخذ الناس يتدافعون لرؤيته ، ويشيرون إليه بأصابعهم ، ويطل البعض من نوافذ مكاتبهم فى منطقة المحطة الوسطى فى الخرطوم ، وقد لاحظ أحد المارة وعلق قائلاً : (طلع ليهم بره عديل) ، يعني للحكومة ولمعاضيه ، وبدأ شعور عام بأن هناك شيئاً غريباً سوف يحدث ، والكل يذكر صلابه موقفه في معارضة الإستعمار ، كما أنهم كانوا يتعجبون ، كيف يتجرد للمعارضة وقد صمت جميع زعماء الأحزاب الذين أطلق سراحهم معه . .

في أحد تلك الأيام وجدته يستعد للخروج معنا إلى حلقة الذكر في المحطة الوسطى في الخرطوم ، فإستجديته ألا يخرج معنا ، وأنا سنقوم بكل ما يريد فعله ، فرد عليّ قائلاً : (نعم يا بتول كنتم تخرجون لوحكم وكنتم تؤدون كل العمل المطلوب ، لكن هذه الأيام غير عادية ، هذه أيام مواجهة ، ولا يمكن أن أبقى أنا في المنزل ، وأترككم تخرجون لوحكم ، يجب أن أكون معكم) . . . كان يسيطر على ذهني هاجس أنه سوف يقتل في الميدان ، بواسطة أحد المتطرفين الدينيين ، ولذلك

كنت دائماً في حلقة الذكر أتبعه وأحياناً أراقبه ، ولا يهدأ خاطري حتى تنتهي حلقة الذكر ، ونعود إلى المنزل . وأعتقد أن هذا الهاجس كان يراود الكثيرين .

1984/12/21 إعلان الأستاذ عن المؤامرة التي تحاك ضده:-

في عصر ذلك اليوم ، كنا نقف في حلقة الذكر في الميدان ، الذي يقع غرب منزله إتصل أحد الأخوان الجمهوريين من بريطانيا ، يسأل الأستاذ عن موضوع إطلاق السراح ، ويستفسر عن ماذا سيحدث بعد ذلك . . بعد إنتهاء المحادثة عاد الأستاذ وقال لنا : (هذا فلان) ذاكراً أسمه (وقد رديت عليه بأنه نعم قد تم إطلاق سراحنا ولكننا نظن أن إطلاق السراح قد تم بمؤامرة . . فهم يدبرون لنا أمراً) إنتهى حديث الأستاذ . . فقد كان يعلم جيداً أن سراحه قد أطلق ليعارض تلك القوانين ، ثم يقدم لحكم جاهز ينتظره ، ولكنه كان لا ييالي ، وواصل عمله في المعارضة . .

صدور المنشور هذا.. أو الطوفان:-

في هذا اليوم 25 ديسمبر 1984م خرج على الناس المنشور (هذا . . . او الطوفان) .

اورده فيما يلي :-

(بسم الله الرحمن الرحيم

" هذا . . . أو الطوفان!! "

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٥٥﴾﴾ صدق الله العظيم . .

(سورة الأنفال) . .

غابتان شريفتان وقفنا، نحن الجمهوريين، حياتنا، حرصاً عليهما، وصوناً
لهما، وهما الإسلام والسودان . . فقدما الإسلام في المستوى العلمي الذي يظفر
بحل مشكلات الحياة المعاصرة، وسعينا لنرعى محافظ الله تعالى على هذا
الشعب، من كرائم الأخلاق، وأصايل الطباع، ما يجعله وعاءً صالحاً، يحمل
الإسلام إلى كافة البشرية المعاصرة، التي لا مفازة لها، ولا عزة، إلا في هذا الدين
العظيم . .

وجاءت قوانين سبتمبر 1983، فشوهت الإسلام في نظر الأذكياء من
شعبنا، وفي نظر العالم، وأساءت إلى سمعة البلاد . . فهذه القوانين مخالفة
للشريعة، ومخالفة للدين، ومن ذلك أنها أباحت قطع يد السارق من المال العام،
مع أنه، في الشريعة، يعزر ولا يحد، لقيام شبهة مشاركته في هذا المال . . بل إن هذه
القوانين الجائرة، أضافت إلى الحد عقوبة السجن، وعقوبة الغرامة، مما يخالف
حكمة هذه الشريعة ونصوصها . . هذه القوانين قد أذلت هذا الشعب، وأهانته،
فلم يجد على يديها سوى السيف، والسوط، وهو شعب حقيق بكل صور
الإكرام، والإعزاز . . ثم إن تشاريع الحدود والقصاص، لاتقوم إلا على أرضية
من التربية الفردية ومن العدالة الاجتماعية، وهي أرضية غير محققة اليوم . .

إن هذه القوانين، قد هددت وحدة البلاد، وقسمت هذا الشعب في الشمال والجنوب، وذلك بما أثارته من حساسية دينية، كانت من العوامل الأساسية التي أدت إلى تفاقم مشكلة الجنوب . . إن من خطئ الرأي أن يزعم أحد أن المسيحي لا يضار بتطبيق الشريعة . . ذلك بأن المسلم في هذه الشريعة وصي على غير المسلم، بموجب آية السيف، وآية الجزية . . فحقوقهما غير متساوية . . أما المواطن، اليوم، فلا يكفي أن تكون له حرية العبادة وحدها، وإنما من حقه أن يتمتع بسائر حقوق المواطنة، وعلي قدم المساواة، مع كافة المواطنين الآخرين . . إن للمواطنين في الجنوب حقاً في بلادهم لا تكفله لهم الشريعة، وإنما يكفله لهم الإسلام في مستوى أصول القرآن (السنة) . . لذلك فنحن نطالب بما يلي :-

(1) نطالب بإلغاء قوانين سبتمبر 1983، لتسوية الإسلام، ولإذلالها الشعب، ولتهديدها الوحدة الوطنية .

(2) نطالب بمحقن الدماء في الجنوب، واللجوء إلى الحل السياسي والسلمي، بدل الحل العسكري . ذلك واجب وطني يتوجب على السلطة، كما يتوجب على الجنوبيين من حاملي السلاح . . فلا بد من الاعتراف الشجاع بأن للجنوب مشكلة، ثم لابد من السعي الجاد لحلها . .

(3) نطالب بإتاحة كل فرص التوعية، والتربية، لهذا الشعب، حتى ينبعث فيه الإسلام في مستوى السنة (أصول القرآن)، فإن الوقت هو وقت السنة، لا الشريعة (فروع القرآن) . . قال النبي الكريم، صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً، كما بدأ، فطوبى للغرباء!! قالوا: من الغرباء يارسول الله؟؟ قال: الذين يحبون سنتي بعد إندثارها!!) بهذا المستوى من

البعث الإسلامي ، تتحقق لهذا الشعب عزته ، وكرامته ، ثم أن في هذا البعث يكمن الحل الحضاري لمشكلة الجنوب ، ومشكلة الشمال ، معاً... أما الهوس الديني ، والتفكير الديني المتخلف ، فهما لا يورثان هذا الشعب إلا الفتنة الدينية ، والحرب الأهلية . . . هذه نصيحتنا خالصة ، مبرأة ، نسديها ، في عيد الميلاد ، وعيد الإستقلال ، ونرجو أن يوطئ لها الله أكناف القبول ، وأن يجنب البلاد الفتنة ، ويحفظ إستقلالها ووحدتها وأمنها . .

وعلي الله قصد السبيل .

الأخوان الجمهوريون - أم درمان 25 ديسمبر 1984م - 2 ربيع الثاني 1405م .

منذ يوم 1984 / 12 / 25 وحتى يناير 1985 ، إستمر الأخوان الجمهوريون في توزيع المنشور ، وقد بدأت السلطات في إعتقال أعداد منهم . . في فترة إستمرار الإعتقالات هذه ، كنت وبعض الأخوات نجلس مع الأستاذ في غرفته ، فقالت إحداهن : (بعد هذا سيجئوا لإعتقال الأستاذ) ، فتأصقت من تلك العبارة كثيراً ، وكنت أجلس إلى جوار الأستاذ . فقلت لها : (أبدأ هم يعتقلون من يحملون المنشورات ، وليس هناك سبب لإعتقال الأستاذ) ، فإلتفت ناحيتي وقال لي : (غريبة يابتول تفهمي مثل هذا الفهم ، لازم تعرفي أنهم قاصدين أبوكم وح يجوني) . وقد أحزنني ذلك القول كثيراً فقد كانت رؤيته واضحة وكان يدرك تماماً حقيقة ما سيحدث . .

إجتماع مساء الجمعة 1/4 /1985:-

في يوم الجمعة 1/4 /1985 ، إنعقد إجتماع الجمعة المسائي المعهد (جلسة الجمعة) ، وتحدث فيه الأستاذ حديثاً غريباً عن الفداء ، قال فيه أن الفداء معروف عند الدينيين ، وغير معروف عند العلمانيين ، وأنه من المعروف عند الصوفية ، وهم أسلافنا ، أنه كلما ألم بلاء ، أو وباء ، أو مرض خطير في البلد ، لا يرفع ذلك المرض إلا بوفاة أحد كبار العارفين من الرجال الصالحين ، وقد حكى قصصاً من التراث ، قال فيها أن بعض الأوبئة والأمراض الفتاكة ، لم ترفع عن الناس إلا بعد أن ذهب أحد الصوفية الكبار ، فداء لهم ، وقال أنتم ستفدون الشعب السوداني وبعضكم يفدي بعض .

وفيما يلي إختصار لحديث الفداء الذي قاله الأستاذ في الجلسة المشهودة :-

(حديث الأستاذ في ختام المؤتمر الذي أقيم بمناسبة عيد الإستقلال ، في يوم الجمعة الموافق 1/4 /1985 . .

قال الأستاذ : الزمن إضطرنا لنوقف الحديث ، ولكن كثير من الأخوات والأخوان عندهم إنطباعات ليقولوها ، الحديث القيل ، طيب جداً . . أفكر مؤتمرنا لا بد يؤرخ تحول عملي ، في موقف الجمهوريين زي ماقلنا قبل كده . . الناس سمعوا منا كثير . . الكلمة المقرؤة والمكتوبة . . نحن عشنا زمن طويل في مجالات عاطفية (الإنشاد ، والقرآن ، والألحان الطيبة) . . جاء الوقت لتجسيد معارفنا ، وأن نضع أنفسنا في المحك ، ونسمو في مدارج العبودية سمو جديد . . الصوفية سلفنا ونحن خلفهم ، وورثتهم كانوا ينفذوا الناس ، الوباء يقع يأخذ

الشيخ الكبير، الصوفي الكبير، وينتهي الوباء . . دي صورة غيركم مايعقلها كثير . . (الجدري في قرية التيبب تذكروه؟ كان في كرتينه في القرية لا دخول ولا خروج . . الشيخ الرفيع ود الشيخ البشير أخو الشيخ السماني مات بالجدري في قرية التيبب . . في شيخ مصطفى (هو صديقنا ويزورنا كثير . . قال حصلت وفية، ومشيت أعزي . . مر على الشيخ الرفيع قال ليهو بمشي معاك . . قال مشينا سواء، إيدو في إيدي، كان فيها سخانة شديدة، وصلنا محل الفاتحة، واحد قال ليهو(الشيخ، المرض دا ما كمل الناس، الشيخ الرفيع قال: المرض بنتهي، لكنو بشيل ليهو زولا طيب). قمنا من المجلس وصلناه البيت والسخانة كانت الجدري . . مات الشيخ الرفيع ووقف الجدري . . السيد الحسن مات بوباء وإنتهى الوباء . . وفي سنة 15 الشيخ طه مات في رفاة بالسحائي . . كان مستطير بصورة كبيرة، ماعنده علاج وماينجي منو زول . . المايموت بتركه بعاهة، مات الشيخ طه، والمرض إنتهى . . الحكاية دي عند الصوفية مضطردة ومتواترة، العلمانيين تصعب عليهم . . إنتوا هسع لابد تفدوا الشعب السوداني، والذل والمهانة الواقعة عليهم والجلد . . واحد من الأخوان لاحظ قال، القيمة من المسيرة أن تشاهدوا الجلد الوقع، واحدة من الأخوات قالت، العسكري شاب والمجلود شيخ كبير والقاضي واقف يستمتع . هي مسألة أضغان وضغائن، ونفوس ملتوية، تتولي أمور الناس . .

قد تجلدوا، ما تنتظروا تسيروا في المسيرة تحصل معجزه تنجيكم . . وهي بتحصل لكن ما تنتظروها . . خلوا الله يجربكم ما تجربوه . . تعملوا الواجب عليكم . . تنجلدوا . . ترضوا بالمهانة . . من هنا المحك البيهو بتكونو قادة

للشعب العملاق . . يكون في ذهنكم قول الله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ
 اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة آل عمران)، وآية ثانية : ﴿ أَمْ
 حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَقًّا
 يَقُولُ الرُّسُلُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (سورة البقرة) . . ما
 أحب أن تصابوا بخيبة أمل من العقبات المتلاحقة في الطريق . . يكون مؤكد الأمر
 النحن بنواجهو، بنحتاج ليهو في الداخل . . كل أذى يساق ليكم يقويكم، هو
 عناية من الله ببيكم وملطف . . لكن الناس يسوقوا أمرهم بالجد، وكل واحد
 يدخل في مصالحة ورضا بالله . . تواجهوا أمركم دال لتفدوا شعبكم وبعضكم يفدي
 بعض، لترتقوا درجات في واجبك وعبادتكم . . أمركم قريب ومعنى به، أنتم
 محفوظون . . لكن ما تفتكروا الطريق أمامكم مفروش بالورد . .

إستعدوا في قيامكم، والواجب المباشر تكونوا دايمن النعمة، وموضع نظر
 الله وعنايتو . . أقبلوا عنايته . . ثقوا به . . وأرضوا به . . إن شاء الله أمركم قريب
 والله إدخركم للأمر دا . . وأنتم اليوم الغرباء بصورة كبيرة . . كل المجتمع
 السوداني في كفه والجمهوريين في كفه . . والجمهوريين مطلوبين . . الناس
 الطالبينكم فداية ليكم . . ظلماتكم نور . . أنتم موضع عنايته . . تقبلوا عنايته . .
 سيروا راضين بالله . . بالصورة دي يكون ختام مؤتمرا . .) إنتهى حديث الأستاذ .

منذ تلك اللحظة شعر البعض أن الأستاذ سيقدم نفسه فداء للشعب، ليرفع
 عنه قوانين سبتمبر ولكنهم لم يعلنوا ذاك الخاطر، كما ظن البعض أن الأخوان
 سيتعرضون للجلد، منذ ذلك اليوم بدأ الأسى، والجو المليء بالحزن، وعدم
 وضوح الرؤيا يخيم على الأخوات والأخوان . .

قبل يوم 5 / 1 / 1985 اعلن عن محاكمة بعض الأخوان الذين إعتقلوا وهم يوزعون المنشور، وقد تقرر أن تكون المحكمة داخل مبنى بالقرب من دار الإذاعة، في حي الملازمين بأمدردمان، وقد تقرر أن نذهب إلى مقر المحكمة في مسيرة راجلة، نردد أسم الله المفرد، وذهب معنا الأستاذ، قد كان موكباً مهيباً. . . سار خلف المسيرة موكب من العربات، كان يحمل المرضى وكبار السن. . . في لحظة إقترحت على الأستاذ، أن يستغل إحدى تلك العربات، فقد كنت قلقة عليه، فقال وهو ينحنى ناحيتي (لاتكوني مثل الأم الأثينية، كوني مثل الأم الإسبانية ترسل ولدها لميدان الحرب. . .)، ثم صمت. . . إجتمعنا في ميدان المحكمة، كنت أتابعه في كل تحركاته. . . أقدم عليه أحد كبار السن من المارة، وأخذ ينادي بأسم الأستاذ من على بعد، وكان يهلل فرحاً بالموكب ويقول: (يا محمود نصرت الإسلام، نصرك الله)، وتقدم الأستاذ نحوه، ولحقت به فقال لي: (إنتي ما دايرة تنفطمي لسه ؟)، يعنى بفطامي أن لا أتبعه. . . !

بعد لحظات جلس على الأرض، وجلسنا حوله على النجيلة ومعنا عدد من الأخوات وكانت إحداهن تتحدث إليه وهي تقطع النجيلة بيدها فقال لها: (لاتقطعيها فإنها تتألم حين قطعها!).

في أثناء مجلسنا في فناء المحكمة، تم الحكم بالجلد على أحد الرجال المتقدمين في السن، تم جلده على مسطبة مجاورة لنا، وأمام مكتب القاضي، والقاضي واقف يشاهد ذلك الجلد، وكنا نتابع ذلك المنظر المحزن، وقد علقنا إحدى الأخوات، بأن المحكوم عليه رجل كبير، وأن العسكري الذي قام بجلده شاب صغير، كما أن القاضي أيضاً شاب صغير، ظل الأستاذ ينظر إلى ذلك الحدث من

مكان مجلسه ، في إمتعاض شديد ، ثم علق قائلاً : (هذا العمل لن يستمر) ، وكان يبدو على محياه الحزن والإستياء . . لم تتم المحاكمة في ذلك اليوم وأجلت الجلسة إلى أجل غير مسمى ، ورجعنا إلى منزل الأستاذ في مدينة الثورة بأمدردمان ، ولم تعاد المحاكمة إلا في يوم 7 / 1 / 1985 . ونحن في فناء محكمة العدالة الناجزة رقم (4) في إنتظار جلسة محاكمة الأخوان الأربعة ، علمنا من قاعة المحاكمة بأن الجلسة قد أوجلّت إلى أجل غير مسمى . . تحركنا مع الأستاذ إلى منزله بمدينة الثورة في امدرمان ولم تعاد تلك المحاكمة إلا في يوم 7 / 1 / 1985م بعد أن أضيف الأستاذ إلى البلاغ .

تدرجت الحكومة في الوصول إلى الأستاذ ، فقد بدأت الصحف الحكومية تنشر أسماء الأخوان الأربعة الذين سوف يقدمون إلى المحاكمة ، وبعد ايام تمت إضافة أسم الأستاذ ليكون الخامس ثم وصلت إلى هدفها أخيراً ، بأن وضع الأستاذ أول المتهمين وأخذت الصحف تنشر (محمود محمد طه وآخرون) ، وكان واضحاً كما قال الأستاذ من قبل (أنهم يقصدونه) .

السبت 5/ 1 / 1985 الإعتقال الثاني بعد إطلاق سراحه في 19 ديسمبر 1984:-

بعد جلسة الجمعة التي ألقى فيها الأستاذ حديث الفداء ، طلب من الأخوان الذين أطلق سراحهم أن يذهبوا لزيارة أسرهم ، لتقضية بعض الوقت بعد غيابهم لفترة في المعتقلات .

في يوم السبت 5 / 1 / 1985 وقبل عودتي من الجامعة ، تم إعتقال الأستاذ الثاني . . قالت لي إحدى الأخوات أنهن كن معه في الصالون ، سألهن عن

الساعة، عرف أنها الثانية عشر ظهراً وكأنه كان ينتظر أمراً، في تلك اللحظة سمع طرق على الباب الخارجي . . دخل بعض رجال الأمن ومعهم ضابط قال لمن قابله امام الباب : (أنا الرائد سيف أمرت بإعتقال الأستاذ، وجئنا لتنفيذ الأمر . .) وقابل الأستاذ وقال له نفس الكلام رد عليه الأستاذ بقوله : (طيب) ودخل إلى غرفته ، وإرتدى زيه القومي ، حاول هذا الضابط الدخول لقسم الأسرة في المنزل فقال له الاستاذ : (انت جئت لإعتقالي وأنا ذاهب معك ولاداعي أن تدخل إلى مكان الأسر) ، فعدل الضابط عن الدخول وخرج الأستاذ معهم ، وهم أحد الأخوان بإحضار فرشة ليأخذها معه فقال له الأستاذ لا أحتاج لها فأنا مرتاد سجون ، يعني الإعتقالات السياسية الكثيرة ، وعندما رأي الحزن بادياً على وجوههم أمرهم بالصبر بحزم ، وطلب من الأخوات ألا يخبروا عمى كلتوم ، إلا بعد ذهابه وكلتوم هي شقيقته الكبرى ، التي كانت تسكن معنا في أمدردمان ، منذ وفاة زوجها في الستينيات ، وكانت تحبه حباً كثيراً . .

ودعته الأخوات بالذكر ، من أمام المنزل وإنصرفت العربية ، والحزن ، والصمت خيما على المنزل . . أحست شقيقته كلثوم بالحركة غير العادية فى المنزل ، ثم سألت ، عما يجري وأخبروها بإعتقاله ، فأخذت تبكي بكاءً مرّاً ، وتجزم بأنها سوف لاتجد فرصة لرؤيته بعد ذلك اليوم ، وأنهم أخذوه ليقتلوه ، وكانت تأكد وهي تبكي ، أنهم لن يتركوه ليعود إلى منزله بعد اليوم ، الكل كان حزيناً ، وخاصة أفراد الأسرة ، ولكن روح النضال والصبر ، اللذان أنشأ عليهما الجميع ، عصمتهم من إبداء أي ضعف . .

بعد عودتي من الجامعة كما قلت صدمت بالجو الغريب المخيم على المنزل وأخبروني قبل دخولي بأن الأستاذ قد أعتقل ، وفي نفس اللحظة ذهبت ، وعدد

من الأخوان والأخوات ، إلى القسم الأوسط بأمدرمان ، ووجدنا الأستاذ ، قد وضع بإحدى الحراسات المزدحمة بالمتهمين ، من مرتكبي الجرائم الجنائية . . . سعي بعض الجمهوريون بواسطة بعض الضباط ، لإيجاد ركن مناسب له ، كما تم إحضار بعض الأشياء الضرورية العاجلة له ، من منازل الجمهوريين المجاورة للقسم ، ثم رجعت إلى المنزل وأحضرت له بعض الأشياء التي تجعل المكان مناسباً ، مثل مرتبة ، ومخدة ، وفردة الدمور التي إعتاد على إستعمالها إلخ . . .

بعد لحظات من دخوله الحراسة . أسرع نحوه العديدون من التجار من أعمار مختلفة ، والذين أعتقلوا بسبب القوانين الجائرة ، وتعسف الإجراءات ، وظلم المحاكم . . . إستقبله هؤلاء إستقبالا حاراً ، فرحوا بوجوده بينهم ، وقد قابلوا دوره بإحترام كبير ، كانوا يحسون بأنه نصيرهم الوحيد ، تجاه القوانين الظالمة التي سميت جوراً وبهتاناً بالإسلامية ، وألقت بهم في قاع السجون ، حيث يسامون مر العذاب ، إلتف حوله هؤلاء ، وكانوا يتدافعون لخدمته ، طيلة أيام وجوده بينهم ، كانوا يطمئنونا عليه ويقولون لنا : (نحن أبنائه مثلكم وسوف نقوم بخدمته وبرعايته ولا تكثروا الحضور إلى هنا) . .

كنت وعدد من الأخوات والأخوان قد تمكنا من زيارته عدة مرات . . مثلاً كنت أزوره كل يوم في الصباح الباكر ، ترافقني في هذه الزيارات ، أمنا أمنة ، نحضر له الشاي ونطمئن على صحته ، ثم بعدها نحمل له وجبة الإفطار ، وكذلك وجبة الغداء ونزوره في المساء . ولم تيسر هذه المقابلات التي كانت تتم فقط بخروجه لنا من خلف أسوار الحراسة ، إلا بعد أن تمكنت بواسطة أحد زملائي ، وبواسطة أحد أصدقائه من رجال البوليس ، من إستخراج إذن بالمقابلة لتوصيل

الوجبات . . كان معظم رجال البوليس متعاطفين معه ، منهم من يسدي هذا العطف ، ومنهم من يخفيه خوفاً على وظيفته . كان الجميع في حالة ذهول وحيرة ، لما قد يحدث بأسم الدين والقانون في تلك الأيام الحالكة السواد ، في تاريخ الأمة السودانية . .

الأوضاع داخل الحراسة:..

الحراسة التي وضع فيها الأستاذ ، كانت تعج بالمتهمين بالقتل العمد ، والسرقه ، والكسر ، والإحتيال ، وكان الإزعاج فيها ليلاً ، أكثر من ساعات النهار ، حيث يعلو الصراخ والهياج ، فقد كان هؤلاء يلاقون أقسى المعامله من رجال البوليس ، مثل الضرب ، والركل ، والتوبيخ ، وكان الأستاذ في وسط هذا الضوضاء ، يتألم لحالهم ويتأذى من تعذيبهم . وعندما يزوره المحامون من وقت لآخر ، كان يقول لهم : (أتركوني أنا ، وأنظروا في أمر هؤلاء ، الذين يعذبون في الحراسات . من غير محاكمة ، ومن غير ذنب إرتكبه) . .

بقى الأستاذ في هذه الحراسة يومي 5- 6 / 1 / 1985 وفي يوم 7 / 1 / 1985 بدأت المحاكمة . . تحرك الأخوان والأخوات ، من أمام منزل الأستاذ ، إلى مقر المحكمة ، في مسيرة راجلة رافعة الذكر بأسم الله المفرد . كان من المفترض أن تقام المحاكمة في محكمة العدالة الناجزة بالقرب من الإذاعة ثم تم تحويلها إلى القسم الأوسط بأمدرمان ، وأخذ في عربة بوليس النحدة وتبعناه بالذكر وقبل تحرك العربة وقفنا نشهد سيرها ، كان ينظر إلينا مبتسماً ثم لحقنا به في مكان المحكمة الجديدة دخل عدد كبير من الأخوان والأخوات ، إلى قاعة المحكمة ، وأخذوا أماكنهم ، لم يكن من الممكن دخول كل الجمهوريين ، فقاعة المحكمة متوسطة الحجم ، كما

كان هناك سباق وإزدحام على الدخول من الإخوان المسلمين ، يظهر فيه الغرض ، وعدم الوقار . . بقي عدد كبير من الإخوان والأخوات في فناء المحكمة يجلسون على ميدان نجيلة ، في نظام وهدو تام . .

حضر الأستاذ إلى قاعة المحكمة ومعه أربعة من الإخوان . .

كان شكل المحكمة غريباً للغاية ، فقد حشد لها الإخوان المسلمون ، والمتطرفون الدينيون ، حشوداً كبيرة ، ممن هم على شاكلتهم ، ولذلك فقد عانينا عناء كبيراً في الدخول لقاعة المحكمة ، ومع ذلك فقد تمكنا وعدد من أصدقاء الجمهوريين من الدخول . .

كان قاضي المحكمة شاباً في الثامنة والعشرين من العمر ، يدعي حسن إبراهيم المهلاوي ، حديث التخرج من جامعة أمدرمان الإسلامية (معهد أمدرمان العلمي سابقاً) . . والأستاذ محمود ، شيخ ، في السادسة والسبعين من عمره!! . كان الأستاذ ومن معه يرتدون الزي القومي السوداني أبيض اللون (الجلباب والعمة) يبدو عليهم الثبات وخاصة الأستاذ .

يرتدي القاضي بدله (أفريقية)!*(²) ، له لحية طويلة ، وعينان خائفتان ، في ملامح وجهه كان مضطرباً لدرجة الفزع ، ويخطئ كثيراً ، في القراءة وفي تلاوة الآيات القرآنية . . بدأ القاضي في إجراءات المحكمة التي كانت غريبة أيضاً . . تلى على الحضور موضوع البلاغ ، والمادة التي إتهم الأستاذ تحتها ، ومن معه وقد

(2) في جلسة الاستتابة التي اقامها المهلاوي للأربعة الذين قدموا للمحاكمة مع الأستاذ كان يرتدي قبة مثل الكابويات .

سألهم جميعاً من أسمائهم ، أعمارهم ووظائفهم ، وكان حقه الشديـد على الأستاذ الممزوج بالخوف ، واضحاً في مجرد الأسئلة . ثم أعطى الفرصة للمتـحري ، الذي تحدث عن المنشور (هذا . . . أو الطوفان!!) ، وتلاه على المحكمة ، لم يكن هناك شاكي في البلاغ ؟! سرد المتـحري التهمة ومعرضات المحكمة ، التي لم تكن سوى ذلك المنشور المذكور أعلاه! . المنشور الذي هو عمل سياسي ، وضع تحت المادة ك ط 97 والمادة 105 كراهية الدولة ، والمادة 127 إزعاج السلام العام ، كما إعتبر المنشور خروج عن الإسلام أيضاً!! ، يلاحظ أن المادة 105 ، قد حوكم بها الأستاذ إبان فترة حكم الإنجليز ، حين كان يقاوم الإستعمار!!

كان الكيد السياسي ، والغدر المبيت ، قد ألبس ثوب هذه المحكمة ، لتتم التصفية الجسدية للأستاذ . لم تكن السلطة ولا الأخوان المسلمون في حاجة إلى محكمة ، ليصلوا إلى غرضهم هذا ، وإنما فقط لإلباس الباطل ثوب الحق ، ولتضليل الشعب الذي يجهل سواده الأعظم ، القانون وتفاصيل الشرع . .

كان القاضي خصماً بيتاً للأستاذ محمود في المحكمة ، وقد كان يوجه إليه نظرات حائقة من حين لآخر ، حتى عندما كان يتحدث إلى المتـحري وباقي الأخوان . .

طلب أحد المحامين من القاضي ، وكان من الحضور في جلسة المحكمة ، إذا كان من الممكن أن يجلس الأستاذ (لأنه رجل كبير في السن) ، إلتفت القاضي إلى الأستاذ متتهراً بجده (أقعد ، عايز تقعد؟) ، رفض الأستاذ في تلك الجلسة مبدأ

الجلوس وظل واقفاً . بعد أن إنتهى التحري والقاضي من الإتهام ، وجه القاضي الحديث للأستاذ للدفاع عن نفسه ، أعلن الأستاذ رفضه التعامل مع تلك المحكمة ، بكلمات خالداً جاءت كما يلي :-

(أنا أعلنت رأي مراراً ، في قوانين سبتمبر 1983م ، من أنها مخالفة للشرعية ، وللإسلام . . أكثر من ذلك ، فإنها شوهت الشريعة ، وشوهت الإسلام ، ونفرت عنه . . يضاف إلى ذلك أنها وضعت ، وأستغلت ، لإرهاب الشعب ، وسوقه إلى الإستكانة ، عن طريق إذلاله . . ثم إنها هددت وحدة البلاد . هذا من حيث التنظير . .

و أما من حيث التطبيق ، فإن القضاة الذين يتولون المحاكمة تحتها ، غير مؤهلين فنياً ، وضعفوا أخلاقياً ، عن أن يمتنعوا ، عن أن يضعوا أنفسهم ، تحت سيطرة السلطة التنفيذية ، تستغلهم لإضاعة الحقوق وإذلال الشعب ، وتشويه الإسلام ، وإهانة الفكر والمفكرين ، وإذلال المعارضين السياسيين . . ومن أجل ذلك ، فإنني غير مستعد للتعاون ، مع أي محكمة تنكرت لحرمة القضاء المستقل ، ورضيت ان تكون أداة ، من ادوات إذلال الشعب وإهانة الفكر الحر ، والتنكيل بالمعارضين السياسيين . .) . في أثناء هذا الحديث كان القاضي منزعجاً وعندما قال الأستاذ : (إن القضاة الذين يتولون المحاكمة تحتها . .) ، قبل أن يكمل الأستاذ الجملة قاطعه القاضي بقوله : (أها مالن؟) فواصل الأستاذ : (غير مؤهلين فنياً وضعفوا أخلاقياً . . إلخ) .

في نهاية الجلسة طلب أحد المحامين أن يتولى الدفاع عن الأستاذ ، فرفض الأستاذ مبدأ الدفاع عنه ، وشكره قائلاً بأنه سيتولى القضية بنفسه ، ولا يحتاج إلى

محامين . . وقد كان هذا ديدنه منذ عام 1946 ، حين قدمته حكومة المستعمر إلى المحاكمه وقدم وفد من المحامين وقتها إلى مدينة مدني للدفاع عنه فشكرهم ، وقال لهم : (إن القضية سياسية ، وسيتولاها بنفسه ، ولا يحتاج إلى محامين . .) . وفي هذه المرة 1985 فالقضية فكرية تخص إجتهاده الديني ، وفكره السياسي الخاص ، فهي قضية رأي وخلاف فكري ، والخلاف الفكري ليس مكانه المحاكم ، وإنما الحوار والمنابر الحرة ، فالنية من هذه المحكمة إذأ هي تصفية الجسدية .

بعد أن رفض الأستاذ فكرة المحامين ، ختم القاضي المهلاوي الجلسة بقوله : (بعد الإستماع إلى الإتهام والدفاع ، ترفع الجلسة لسماع الحكم غداً) !! وهذا ليس صحيح فلم يكن هناك دفاع فقد قاطع الأستاذ المحكمة ولم يتعاون معها .

في صباح اليوم التالي 1985 / 1 / 8 ، موعد الجلسة ، تحركنا إلى المحكمة من أمام منزل الأستاذ ، في موكب كبير أيضاً يردد إسم الله المفرد ، مثل ماكان في موكب الأمس ، وقد أوصى الأستاذ أن يتوجه الموكب إلى المحكمة ، وإذا إعترضه البوليس ، يجلس الجميع على الأرض ، وفعلاً بعد أن قطع الموكب أكثر من نصف الطريق إلى المحكمة ، وفي منطقه في أمدرمان تسمى (الشهداء) ، إعترض البوليس الموكب برئاسة قاضي من الإخوان المسلمين ، من خريجي جامعة أمدرمان الإسلامية (معهد امدرمان العلمي سابقاً) ، ووفقاً لتوصية الأستاذ ، جلس الأخوات والأخوان على الأرض ، أخذ القاضي يصيح بمكب الصوت يأمر الموكب بالتفرق ، ويبدو أنه كانت هناك نية للعنف بالجمهوريين ، ولكن حدث تغيير مفاجيء إذ بعد دقائق من تكرار ذلك النداء انسحب القاضي ، وبقي البوليس

يحمل السلاح والعصى الكبيرة، في مواجهة الجمهوريين العزل . . بعدها وصلتنا رسالة من الأستاذ، أن نحضر إلى المحكمة بالعربات (لا أدري كيف وصلت تلك الرسالة) . . بدأنا التحرك مسريعين بالعربات، حتى لاتفوتنا الجلسة . كانت هناك سحابة من الحزن والحيرة، تخيم على الجميع . .

أسرعت ومعى أحد الأخوان الجمهوريين المحامين، إلى مكتب الإستقبال في القسم الأوسط، وطلبنا مقابلة الأستاذ قبل الدخول للمحكمة، وقد كان يستعد للخروج إلى القاعة، عندما وقفنا أمام رجل البوليس، والذي كان يعرفني لكثرة ترددي لزيارة الأستاذ، أسرع بالسماح للأستاذ لمقابلتنا، وطلب مني أن تنتظر في أحد زوايا الإستقبال . . أقبل نحونا الأستاذ في نشاط وحيوية . . أخبرته كيف أننا تحركنا في موكب صامت من أمام المنزل، ونقلت له كل الذي حدث، حتى وصولنا إلى قاعة المحكمة قال لي: (عملتوا طيب) ثم مال ناحيتي وهو يضع يديه في جيوب جلبابه: (لاتخافوا)، رديت عليه بسرعه لسنا خائفين، فهمت (لاتخافوا) فهماً مختلفاً، كنت أعتقد أن لاناخاف من مواجهة البوليس، في تلك اللحظة، وقد كان يقصد أن لاناخاف من نوع الحكم الذي سيصدر، وقد فهمت ذلك مؤخراً . . أوصاني قبل دخوله المحكمة أن أبلغ أحد القياديين الكبار، أن يرجع الجمهوريين من المحكمة إلى منزل الأستاذ بمدينة الثورة في مسيرة راجلة، تردد إسم الله المفرد، وقد بلغت الوصية، التي كان الأستاذ يريد بها، أن تكون المقاومة في مستوى وقفته . .

قبل بداية الجلسة، كان هناك إزدحام شديد، من قبل المتشدددين الدينيين والأخوان المسلمين، وبصعوبة في هذه الجلسة، تمكن عدد من الجمهوريين،

وأصدقاء الفكر الجمهوري من الدخول للمحكمة . بدأت الجلسة الثانية في يوم 1985 / 1 / 8 ، في الموعد المحدد ، بدأ القاضي الجلسة بعد أن علا صوته بكلمة (محكمة) ، لم يقف الأستاذ والذين معه ، ، كما لم يقف الجمهوريون الموجودون في القاعة ، لكن وقف الحضور من غير الجمهوريين ، وأخذ القاضي ينادي بأسم الأستاذ ومن معه من الأخوان واحداً تلو الآخر ولم يقف أحد . إنزعج بوليس المحكمة لموقفهم هذا وطالبهم بالوقوف ولم يستجب أحد ، ثم حاول أن ينهض أحدهم بالعنف (كما يظهر في شريط التوثيق بالفيديو الخاص بالمحكمة) ، وقد منعه القاضي ولسان حاله يقول : (دعهم سنقتلهم) ، ثم بدأ الجلسة بتلاوة بعض ما ورد بالأمس ، في هذه اللحظة سقطت صفيحة حديد كانت في آخر القاعة وقد أحدثت ضجيجاً قوياً إنزعج له القاضي ، إتسعت عيناه ، وخطف أوراقه ، وكان يستعد للجري إلى خارج المحكمة ، ولكنه تدارك موقفه سريعاً ، حين ظهر له أنه المنزعج الوحيد ، وليس هناك خطر عليه ، ولعله كان يتوقع أنه سوف يقتل في القاعة ، وفي مجمل الأمر فإن (محكمة نميري - المهلاوي) الأخيرة ، هي كيد كسابقتها محكمة الردة 1968 .

ومنذ أن نهض الأستاذ لمعارضة قوانين سبتمبر عام 1983 ، التي شوهت الشريعة ونفرت عن الإسلام كان يعلم إن هنالك مؤامرة تدبر له من قبل حكومة نميري ، التي يدعمها المهوسون الدينيون وأعداء الفكر ، ومنذ أن أطلق سراحه في يوم 1983 / 12 / 19 قال لنا : (أن هنالك مؤامرة تدبر لنا) ، وكانت المحكمة في 1985 / 1 / 7 ، هي تنفيذ لتلك المؤامرة فلم يستغرق الإعتقال والمحاكمة والنطق بالحكم سوى 72 ساعة ، فقد كان كل شيء معداً وجاهزاً . في تلك الجلسة كان

القاضي يقفز قفزاً ليصل إلى النتيجة المعدة، فلم يستعرض في حيثياته عناصر الجريمة، ليدلل على إنطباقها مع الوقائع الثابتة أمام المحكمة، وإنما قفز إلى الإدانة من غير تسبيب قانوني، وقد علق الدكتور منصور خالد على تلك المحاكم، بأنها (كالكنقارو) تقفز قفزاً للتأنيج المذهلة، فقد جاء في حيثيات القاضي قوله: (المتهمون جميعاً يعترفون إقراراً واضحاً بمسئوليتهم عن المنشور الصادر، وتوزيعه، وهم بذلك يخالفون المادة 69 (ط) من قانون العقوبات لسنة 1983، ومضى يقول: كذلك أنهم يخالفون المادة 96 (ك) وتلى تفاصيل تلك المواد، ثم في إضطراب نطق بالحكم فقال: لكل ذلك تقرر المحكمة إدانة جميع المتهمين تحت المادة 96 عقوبات، بفقرتيها المتقدمتين، وإدانتهم أيضاً تحت المواد 105 عقوبات 20(أ) من قانون أمن الدولة، وبناء على المستند المقدم أمام المحكمة، وبناء على إقرار المتهمين، وحتى يتعظ غيرهم من أصحاب الدعاوي الهدامة، فإن المحكمة تحكم عليهم جميعاً بالإعدام شتقاً حتى الموت وأن يكون لهم الحق في التوبة والرجوع عن دعوتهم إلى ما قبل تنفيذ الحكم... إنتهى. نقف عند هذا الحد ونترك فرصة التعليق، والتقييم، لرجل الشارع العادي والمثقفين ورجال القانون.

منذ بداية الجلسة كانت هناك أعداد من الإخوان المسلمين، يعتلون المنصة ويقفون إلى جوار القاضي، وبعد إعلان الحكم أخذوا يصيحون (يحيا العدل)، وملأوا القاعة صخباً وضجيجاً وهم فرحون...!! من بين هؤلاء صحفيون ورؤساء تحرير صحف. كان بعض الجمهوريين يحاولون الذكر بأسم الله المفرد وفعلاً بدأوا، لكن هرج الإخوان المسلمين كان قوياً... في هذه اللحظات كان

الأستاذ يقف مبتسماً داخل قفص الإتهام، ويتفحص بنظراته وجوه الأخوان والأخوات الجمهوريين فرداً فرداً، وتدافعت عليه الأخوات وهو داخل القفص، لمصافحته، وكان يقول لأمناء (أبشري بالخير) . . خرج الجميع من المحكمة، وفي نفس الوقت خرج العدد الكبير والحشود من الأخوان المسلمين، يهللون ويصيحون في الطرقات بصورة مخزية . . جموع غفيرة من عامة الشعب، كانوا مذوهلين يتساءلون: (الإعدام لأربعة أشخاص بسبب منشور؟؟!!) .

أخذ الأستاذ إلى أحد مكاتب الضباط، في إنتظار العربية الحكومية التي سوف تقله إلى سجن كوبر بالخرطوم بحري . . كانت جموع الأخوات والأخوان خارج المحكمة يستعدون للعودة إلى مدينة الثورة . بدأ شكل النظام يضطرب من الصورة التي جثنا بها . . بعض قريبات الأسرة من غير الجمهوريات أخذن يجھشن بالبكاء، والبعض يطلب منهن الصبر، وإلتزام الهدوء الجمهوري . . لاحظت أن البصات قد بدأت تستعد لنقل الأخوات والأخوان إلى مدينة الثورة، ذهبت إلى الأخ القيادي في الحركة وذكرته أن الأستاذ أوصى أن يرجع الأخوات والأخوان في مسيرة راجلة ترفع الذكر . . قال لي أن (الظرف لا يسمح)!! فقد كان له رأي آخر . وطلب منهم الركوب داخل البصات، وكانوا صامتين من غير ذكر، فطلبت من الأخوات أن يرفعوا الذكر ففعلوا، وقد ظللت ومعى بعض الجمهوريين في فناء المحكمة نتابع ما سيحدث ونتوقع مقابلة الأستاذ، وفعلاً أخرجوه في إحدى عربات البوليس (نحلة) التي أقلتة إلى سجن كوبر، كان يلوح بيده يودعنا بإبتسامة عريضة، وقد رددنا عليه بنفس طريقته وبالذكر ورفع الأيدي . . الكل في حالة حزن ووجوم شديد . . ركبنا أنا وأمي أمانة عربية أحد

الأخوان الجمهوريين ، ولحقنا به في سجن كوبر ، وعند وصولنا تمكنا من الدخول إلى مكتب الضباط ، وطلبنا مقابلته ، قالوا لنا أنه دخل قبل دقائق ، ومقابلته غير ممكنة الآن ، وعدونا أن نحضر في صبيحة الغد . . كانت الدهشة هناك ، أيضاً ، واضحة على الوجوه . .

عدنا جميعاً إلى أمدرمان ، كان الحزن دفيناً ، وروح الثبات أعلى ، وهو بعض مما تعلمناه منه . . في صبيحة اليوم التالي 9 / 1 / 1985 ، تمكنت من زيارته في كوبر ، ومعني اثنين من الأخوان . . كان صباحاً حزيناً فقد أقبل نحونا من داخل السجن وهو يرتدي قميصاً ، وسروالاً ، من قماش (الدمورية) وهي مادة خشنة ، بنية اللون ، مصنوعة محلياً ، وهو الزي الذي يرتديه المساجين ، كما علمنا أنه قد وضع في زنازين منتظري الإعدام كان مظهره عادي كما هو ، هدؤ وترحاب بالزوار كأنه في منزله ، لكن كان ذلك منظرًا مثيرًا للحزن ومجسداً للظلم . . جلست بينه وبين أحد الأخوان وفي أثناء الحديث إلتفت نحوي وقال لي : (أنت متماسكة ولكن كثيبة) قلت له إنني لم أستطع الإحتمال (ألمني كثيراً الزي الذي ألبسوه أياه) ، وإنفجرت باكية ، تركني وتحول بالحديث إلى الأخوين في مواضيع أخرى ، بعد دقائق إلتفت ناحيتي مرة أخرى قائلاً : (كيف حال عمته ؟) قلت : (كويسة) ثم أضاف (أنت في العقاب رسي أهلك) ، شعرت من هذه العبارات أنه لن يعود إلينا مرة أخرى ، وقد كنت أمامه أغالب الدمع . . طلب مني إحضار سراويل طويلة له وللأخوان ، (لأن سراويل السجن قصيرة لاتغطي الركبة ، ولا تصلح للصلاة) . أعددنا السراويل وأدخلت لهم ، إعتزضت سلطات السجن علي أربطة السراويل (التكة) ، وعلى أدوات الحلاقة بحجة أنهم محكوم

عليهم بالإعدام ، (وقد يقتلوا أنفسهم بها !) عجبت لهذا المنطق فإذا كان القتل هو المؤامرة التي تنتظرهم ، فلماذا ترفض هذه السلطات أن يقتلوا أنفسهم ، إذا افترضنا أن مثلهم يمكن أن يقتلوا أنفسهم ، أتريد أن تستمتع هي بقتلهم ؟؟ ، ورجل كالأستاذ محمود ، قاوم الإستعمار ، ولم يوقع حتى على التعهد بوقف المقاومة ، ورفض التوبة ، والتنازل عن أفكاره ، لقضاة نميري ، هل يمكن أن يُظن في رجل مثل هذا أن ينتحر خوف تنفيذ الحكم عليه؟ ، إن نميري وأعوانه ، لم يعرفوا الرجال قبل الأستاذ . . وهنا مثل من عدم الإحترام والمعاملة السيئة التي لقيها الأستاذ محمود في المعتقل ضمنتها في مقال (السجون وسجناء الضمير!) الذي تم نشر أجزاء منه في (سودانيز أون لاين) ، (أنظر المقال في آخر الكتاب) .

كما ذكرت آنفا لم يكن للمحكمة أي علاقة بالعمل القانوني وإنما هي جريمة تنفذ بخطوات مجهزة ومرسومة سلفاً وهذا تؤكدته واقعة حدثت في يوم 9 / 1 / 1985 اليوم تلى صدور الحكم تقدم أحد المحامين الجمهوريين الأستاذ طه إسماعيل أبو قرجة بطلب مكتوب للقاضي حسن إبراهيم المهلاوي للإطلاع على محضر القضية ، رفض القاضي الطلب وهذا الطلب يعتبر من الناحية القانونية غير قابل للرفض فهو حق ثم طلب المحامي من القاضي أن يعطيه رد الرفض كتابة فرفض المهلاوي فجاء المحامي طه إسماعيل ، بعدد من المحامين معه كشهود وطلب مرة ثانية من القاضي المهلاوي أن يعطيه الرد على الطلب كتابة فكتب المهلاوي إن الأوراق ذهبت إلى محكمة الإستئناف وذهب طه إسماعيل والمحامون إلى محكمة الإستئناف حيث إطلعوا على المحضر وكانت المفاجأة أن وجدوا في المحضر ضمن أوراق القضية ورقتين مختلفتين تماماً وهما مكتوبتان بخط واضح

الإختلاف عن خط القاضي كما هو بالمحضر وبقلم مختلف وغير مرقمتين يظهر عليهما أنهما كانتا مطويتين أما محتوى الورقتين فهو يتضمن محاولة لتأسيس الإدانة على مواد الإتهام 127 (أ) 105 و 96 (ط) و(ك). وقد شهد على هذه الواقعة المحامون الذين قاموا بالإطلاع على المحضر وأبلغوا بذلك السيد نقيب المحامين وسكرتير عام نقابة المحامين.

في يوم الثلاثاء 15 يناير والأستاذ في سجن كوبر أعلنت محكمة الإستئناف الجنائية، حكمها في القضية، فقد تحولت هنا القضية من قضية جنائية إلى قضية ردة!!؟؟، وهذا يوضح أن الهدف ليس الإسلام، وإنما الحق الذي يعاني منه قضاة الشرع، نتيجة لتخلفهم الفكري، وعدم التأهيل الفني، ثم ضعفهم الأخلاقي، الذي طالما نعه عليهم الأستاذ، وهذا هو الذي دفعهم لتستغلهم السلطات العاجزة على مدى التاريخ، ليخلصوها من خصومها السياسين، بإذلالهم بإسم الدين، والتنكيل بهم. . والتاريخ الإسلامي حافل بالتكفير، ولا أحتاج هنا لذكر النماذج.

قاضي محكمة إستئناف نميري هو المكاشفي طه الكباشي، إتجه هذا الرجل إتجاه الكذب، والبت، والنقل المخل من كتب الأستاذ ليرميه بتهمة الكفر، التي جهزوها وخططوا لها، فمثلاً نقل المكاشفي من كتاب الرسالة الثانية من الاسلام، من حديث الأستاذ عن حقوق المرأة ما يلي: (والأصل في الإسلام إن المرأة كفاءة للرجل في الزواج، فالرجل كله للمرأة كلها، بلا مهر يدفعه، ولا طلاق يقع بينهما) إنتهي و تكملة النص الذي بتره المكاشفي يقول: (والأصل في الإسلام ان المرأة كفاءة للرجل في الزواج فالرجل كله للمرأة كلها بلا مهر يدفعه

ولاطلاق يقع بينهما، ويلتمس منع التعدد في قوله تعالى: ﴿... فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً...﴾ (سورة النساء)، وفي قوله تعالى: ﴿... وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ...﴾ (سورة النساء)، ويلتمس منع الطلاق في قول المعصوم " ابغض الحلال إلى الله الطلاق " والإشارة اللطيفة إن ما يبغضه الله لا بد مانعه حين يصير المنع ممكناً، وعملياً، فإن الله بالغ أمره⁽³⁾، أولاً لم يواصل المكاشفي في نقل هذا النص من الكتاب، كما جاء تعليقه على ما نقله هكذا: (فمحمود بهذا ينفي أن المهر والطلاق أصلان في الإسلام)، إن المكاشفي يفهم كلمة أصلاً بطريقة عامة، لتعني غير موجود، وكلمة أصل وفرع في اللغة وكما إستعملها الأستاذ محمود، تعني أن هناك شيئاً أساسياً وشيئاً فرعياً، بمعنى مأخوذ من الأصل، فديمومة الحياة الزوجية، هي الأصل، والطلاق فرع لأنه تشريع ضرورة، ولا يحدث إلا في حالة إستحالة إستمرار الحياة الزوجية، وقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز له عرش الرحمن) . . فهل يمكن أن يقول رجل عاقل أن الطلاق هو الأصل في العلاقة الزوجية؟، وأن الناس يتزوجون ليطلقوا؟؟ . . إن الكيد الرخيص والغرض المبيت، قد أطفأ كل بصيص عقل، كان يمكن أن يساعد ذلك القاضي، على الفهم الصحيح، هذا نموذج واحد من أمثلة سوء الفهم، والتنقل، المخل، لهذا القاضي غير المؤهل، كما قال الأستاذ، والذي يجرد المرأة على الله، وعلى الخلق، ليقضي في رقاب الناس!! . . أضف إلى هذا، فقد كان يخطئ كثيراً في اللغة وفي قراءة نصوص القرآن . .

(3) كتاب الرسالة الثانية من الأسلام ص 127 .

عصر يوم الخميس 17/1/1985:

في هذا اليوم أقام الأخوان ركن النقاش المعتاد في الجامعة ، وقد ذهبت بوجبة الإفطار إلى الأستاذ في السجن . . كانت الأحوال سيئة ، وعند وصولي للسجن لاحظت أن هناك عربية مرسيدس سوداء تقف داخل فناء السجن ، عرفت أن هناك أحد الوزراء أرسله نميري لمقابلة الأستاذ ليقنعه بالتوبة وعندما حاوره مبعوث نميري قال له الأستاذ : (قل لنميري مايرثني أنا مايجرم ، قل له يلغي الحكم) هذه بعض العبارات التي قالها الأستاذ بعد رفض مبدأ التوبة ، رجع الوزير خائباً إلى نميري . . ومنعوني من زيارة الأستاذ ، وأخذوا مني الطعام ، ورجعت إلى الجامعة وكتبت ورقة بما حدث للأخ الجمهوري الذي كان يدير ركن النقاش في الجامعة . . كانت الحيرة مطبقة ، ذهبت ومعى أحد الأخوان القانونيين لرئاسة السجون في المقرن ، لمقابلة مدير السجون أحمد وادي عسانا نعرف شيئاً عن مستجدات الأمور ، بعد إنتظار طويل تمكنا من مقابلة المدير ، كان حاداً ومضطرباً في مقابلتنا(أنظر مقال السجون وسجناء الضمير) .

مسيرات الأخوات والأخوان تتجه إلى المحكمة المحلية التي أعدتها حكومة نيمى للاستاذ



حانب من مسيرات الأخوات والأخوان تتوجه إلى المحكمة المهزلة



المسيرات في طريقها إلى الخكمة





الأخوات والأخوان الجمهوريون يجلسون في فناء المحكمة



الأخوات والأخوان الجمهوريون يجلسون في فناء المحكمة في إنتظار المحاكمة





جانب من أركان النقاش العام عن الفكر الجمهوري

بعد العصر رجعت مع أحد الأخوان إلى منزل الأستاذ في الثورة، وجدنا عدداً من الأقارب قد توافدوا على المنزل، المكان مكتظ بالناس، صوت نميري ينبعث من التلفزيون، يقرأ على الشعب أوراقاً، يوضح فيها تأييده للحكم الذي صدر ضد الأستاذ. . بعد دقائق وقفت عربة أمن الدولة أمام المنزل، ودخل عدد كبير من رجال الامن يحملون السلاح يثيرون الفزع في المنزل وطلبوا مني أن أذهب معهم، وخرجت، كان صوت عمتي كلثوم يتبعني (لاتذهبي معهم)، وكذلك طلبت بعض قريباتي، وسألني رجل الأمن بشدة (أين أسيا؟) يعني أسماء، رديت عليه ليس هنا من تسمى أسيا وأخذوني إلى القسم الشمالي، والجدير بالذكر أن الحاجة كلثوم بعد تنفيذ الحكم على الأستاذ وعندما كنت انا معتقلة في حراسة القسم الشمالي في امدرمان، أصرت على البوليس ان تلحق بي وأن لاتبقى في المنزل، وكانت تقول لرجال البوليس: (إن كنتم تريدون ان تقتلوا بتول فأقتلوني معها)، وقد بقيت معي في الحراسة حتى خروجي .

قبل مغادرتي طلبت من الأخوات أن يذهبوا إلى كلية التربية، التي تقع بالقرب من المنزل، عسى أن يتمكن الأخوان غير المعتقلين من القيام بأي نوع من الحركة، بعدها أخذوني إلى قسم البوليس الشمالي في مدينة أمدرمان، أحضر رجال الأمن أعداداً كبيرة من الأخوات والأخوان، إلى القسم وأيضاً تم اعتقال أعداد كبيرة من منزل الأستاذ والمنازل المجاورة بينهم أطفال، أحضروهم بالعربات الكبيرة (كوامر) إلى أقسام البوليس من أنحاء العاصمة المختلفة. . قضى الجميع ليلاً حزيناً في تلك الحراسات وقضوا الليل، يصلون كما هو نهج الجمهوريين قيام الثلث الأخير من الليل. . في هذه الحال كان بعض رجال البوليس يسخرون منا

يسألون بعضهم البعض (لماذا يصلون كثيراً هكذا؟) فيجيب أحدهم: (لأنهم يريدون أن يطير لهم غداً من حبل المشنقة) يقصدون الأستاذ، عبارات مثل هذه!! .

إستمر رجال البوليس في تلك الليلة وحتى صباح 18 يناير 1985، يلقون القبض على الجمهوريين من منازلهم، ومن الطرقات العامة، حتى لا يكون هناك جمهوري واحد طليقاً في لحظات الإغتيال، وكانوا يسألون كل من يقابلهم ويظنون أنه جمهوري، يسألونه هل أنت جمهوري؟ فيجيب بنعم، كانوا يستغربون أن الجمهوريين في تلك اللحظات الصعبة لا ينكرون أنهم جمهوريون . .

قبل الساعة العاشرة من صباح يوم 18 يناير 1985، بدأ الذكر بأسم الله المفرد في كل الحراسات، وقد كانت كل الأخوات والأطفال في القسم الشمالي، كما كان أيضاً هناك بعض الأخوان، كان الذكر قوياً وعالياً في القسم الشمالي نسبة لوجود الأخوات فيه، كذلك كان حال الأخوان المعتقلين في أقسام البوليس الأخرى . .

بعد الساعة العاشرة بدأت بعض مجموعات الأخوان تصل إلينا في الحراسة، أخبرونا أن تنفيذ الحكم قد تم على الأستاذ، وسط جمع من المواطنين، يزيد على الخمسين ألف مواطن، وقد حشد الأخوان المسلمون جوعاً غفيرة من جماعاتهم، كانوا يحملون المصاحف، ويهللون ويكبرون، فرحين في حين كان ذلك يوماً أسوداً، على الأمة السودانية، وعلى الشعوب المحبة للحرية والسلام وعلى الإسلام . .

أما من ناحية الحكومة ، فقد إحتشد عدد من الوزراء والمسؤولين في الصفوف الأمامية يرتعدون في المقاعد الوثيرة ، وينظرون في هلع إلى المنصة وقد وجه إليهم الأستاذ ، تلك الإبتسامة التي مازالت تقض مضاجعهم ، وتعذب ضمير كل من له ضمير منهم . .

أقامت السلطات حراسة مشددة على السجن منذ ليل 17 / 1 / 1985 ، وحتى لحظات التنفيذ ، مما جعل أحدهم يصف تلك الحراسة ، (بأن بين كل عسكريين هناك آخر) ، وجميعهم مسلحون ، وكأنهم في ذلك اليوم يحاربون جيشاً ، ذا عدة وعتاد لا يحصى ، كل هذا لرجل أعزل ، تخطى السبعين من العمر ، موثق اليدين والقدمين ، مسالم طوال حياته لم يحمل عصاً يوماً ليتوكأ عليها !! .

ولعل خير من وصف ذلك المشهد هو أستاذ مرحلة الأساس برفاعة يوسف بابكر أحمد ، الذي حضر تنفيذ الحكم على الأستاذ محمود وصور المشهد تحت عنوان (شاهد عيان) في جريدة الصحافة (صفحة 4) الصادرة يوم السبت الموافق 22 / 6 / 1985م حيث قال : (في صبيحة الجمعة ، واليوم الموعود ، وفي الساعة الخامسة صباحاً ، تحركت من المنزل متوجهاً صوب كوبر ، ووصلتها في الساعة السابعة ، وقف بنا البص بعيداً عن ساحة العدالة ، بتوجيهات الحركة والأمن ، فيا للمشهد العجيب ، الذي رأيته أمامي ، لقد رأيت جمعاً من البشر ، يقفون في صف طويل ، يتزاحمون بالأكتاف ، بدايتهم ، بوابة الساحة وآخرهم ، في منتصف كبري بري ، حاولت الوقوف بالقرب من البوابة ، فلم أتمكن لمراقبة أجهزة الأمن ، التي حالت دون ذلك ، تحailت أخيراً حتى وجدت لنفسني مكاناً من بين الواقفين ، فكان لي جواز مرور للدخول .

طال بنا الوقوف والصف يتزايد من كثرة الوافدين من العاصمة ،
وخارجها ، وهنالك من أتى مبكراً ، ومنذ الرابعة صباحاً حتى يتمكن من
الدخول .

بدأت طلائع الأمن بعملية التفتيش ، كانت بصورة إستفزازية ، أخذت
تسلب كل ممتلكات الواقفين من أقلام وجرائد وخلافهما . في هذه اللحظات
إمتلأت الشوارع المؤدية إلى كوبر بعربات الأمن والجيش ورجال البوليس وهم
على أتم إستعداد ، ولازال تدفق آلاف المواطنين مستمراً صوب الساحة . في تمام
الساعة السابعة ، صدرت التعليمات ، بتحرك الصف ، فإبتدأ بطريقة سلحفائية
وكثيراً ماتصدر التعليمات بالوقوف ، من وقت لآخر ، وكلما تحرك الصف قليلاً
إلى الأمام ، كلما إزدادت حدة وكثرة مضايقة جهاز الأمن ، في هذه الأثناء أتت
طائرة هيلكوبتر حلقة فوق روؤسنا لنزداد إرهاباً ، فإتجهت شرقاً ، دون أن تنزل
بهذا المكان ، وهذا يدحض ما أشيع بأن هذه الطائرة نزلت داخل السجن ، لأخذ
محمود بعد إعدامه .) ، وإستمر شاهد عيان يحكي عن الألوف المتدفقة على
السجن وحشود الجيوش والعساكر ورجال الأمن إلى أن قال : (وجهاز أمن الدولة
يجول ويصول ، وسط هذا الحشد من الناس ، يقفون بالمرصاد ، ويرصدون كل
كبيرة وصغيرة ، والصمت نحيم ، والأعصاب متوترة ، والعيون مشدودة إلى حجرة
الإنتظار تلك ، كما لايفوتني أن أذكر تلك الكراسي الوثيرة التي صفت في جانب
المشقة ، والتي يجلس عليها بعض علماء وفقهاء نظام مايو ، في إنتظار عرض تلك
المسرحية الدامية ، لقد كنت أشاهد كل ذلك ، وأنا على بعد مترات من المشقة ،
لقد كنا جلوساً على الأرض ، حسب التعليمات ، في إنتظار ساعة الصفر ، المحدد

لها العاشرة صباحاً، وما أن قاربت ودنت عقارب الساعة، مشيرة إلى العاشرة إلا ربغاً، حتى أعلن المكرفون، تقديم قاضي محكمة الإستئناف في كلمة قصيرة، قبل تنفيذ الحكم، في هذه اللحظة سمعنا هتافاً داوياً من داخل السجن ضد الطاغية، وضد العملاء فكان يردد السجناء: (لن ترتاح ياسفاح) (المشانق للعملاء)، كما صدر هتاف مضاد من الحاقدين على الأستاذ، داخل الساحة، يصيحون بأعلى أصواتهم (لا إله إلا الله)، في تلك اللحظة أحضر الجمهوريون الأربعة، والمحكوم عليهم بالإعدام، فأوقفوهم صفّاً وراء المشنقة على بُعد خطوات، وبعدها فُتحت حجرة الإنتظار، أخرج منها الأستاذ محمود، يقتاده إثنان من الحرس، مرتدياً قميصاً من السجن وسرواله الخاص، به ومستعملاً حذائه الأبيض، واضعاً على رأسه غطاءً أحمر اللون، يخفي كل رأسه حتى رقبته، ويدها مشدودتان إلى الخلف، ومربوطتان في ثلاثة مواضع، من أعلى بسير جلد عريض، وفي الوسط بحبل تيل، وجنب المفصلين كلبشات يتدل منها جنزير يتصل بقيد الأرجل، والتي ربطتا بحبل تيل آخر في منتصف الساقين، كل هذه الأشياء ربطت بطريقة قاسية، تنم عن الحقد والكرامية، مما جعله لا يقدر على المشي عند الإقتياد للمشنقة، لازال الهتاف مستمراً من داخل السجن، وخارجة بطريقة تصم الأذان.

أوصلوا الأستاذ إلى سلم المشنقة فأخلع نعلاه، وبدأ الذين يقتادوه في الصعود به إلى خشبة المشنقة، والجمهوريين المحكوم عليهم ينظرون هذا المشهد عن كثب، لزوم تخويفهم وإرهابهم والجالسون على الكراسي الوثيرة منتشون.

وقف الأستاذ على الخشبة، وحوله عدد من الحرس، نُزع منه غطاء الرأس فأنحسر الغطاء عن رأس أشيب، يدل على وقاره، ويشير إلى السنوات التي قاربت

الثمانين من عمره، أدار رأسه ببطء، ناظراً إلينا بنظرتة المعهودة، التي تعبر عن مكنون نفسه، أقول حقيقة إنني لم أر إنساناً قط في رباطة جأش وثبات الأستاذ محمود، ومقابلته لهذا الموقف الحرج، بكل شجاعة وصبر، فكان في قمة الثبات، ولم يظهر عليه أي إنفعال غير صمته، الذي يعبر عن مدى سخطة نحو هذا الظلم الذي لحق به، وقف في تلك اللحظة ليثبت للجماهير تلك العظمة والشجاعة ورباطة الجأش، الذي عرف به، إعتلى قاضي محكمة الاستئناف منصة بالقرب من المشنقة، وألقى كلمته، بادياً عليه القلق والإنفعال، مما جعله يتكلم بسرعة البرق، ذاكرًا تنفيذ الإعدام، كما أشار إلى الجمهوريين الأربعة المحكوم عليهم والذين يقفون وراء المشنقة، بأنهم سوف يستتابون بعد أن يقدموا الكوكبة من العلماء لمناصحتهم، وبعدها نزل من المنصة مهزولاً، أخذاً مكانه بين جلسائه، لمتابعة عملية الشنق لإشفاء الغليل.

دنت ساعة الصفر وألبس الأستاذ القناع الأحمر، وأوتي بالجبل، ووضع على رقبته، وهو ساكن لا يبيدي أي حركة تنم على إنفعاله، وفي هذه اللحظة الخاطفة فتحت الخشبة التي يقف عليها بسحب ترباسها، الذي كان يقف إلى جانب أحد السفاحين، وكلمح البصر كان الأستاذ معلقاً في الهواء، ومصلوباً لمدة عشرة دقائق، لا حراك به، والحناجر ملتهبه بالهتاف، في هذه اللحظة إقتاد جهاز الأمن رجلان داخل السجن، كانا يهتفان للأستاذ مردداً أحدهما: (فداء للإسلام فداء للسودان) والآخر كان مردداً (ماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم).

بعد إنتهاء الفترة المحددة لخروج الروح، وصعودها لبارئها، صعد شخص يحمل نقالة إلى الخشبة وبصحبه طبيب، لزوم الكشف وتحديد النهاية، قاموا

بسحب المشنوق إلى أعلى ، عن طريق الحبل الذي شتق به ، وتم إخراجه من تحت الخشبة مسنوداً على أيديهم ، لإزالة الحبل من عنقه ، وما أن نزع الغطاء عن الرأس ، حتى طالعنا الأستاذ بعين مغمضتين ، وفم مقفول ، كأنما هو في ثبات عميق ، إنه مشهد عجيب ينفطر له القلب ، ويهز المشاعر الإنسانية ، لقد كان ضحية الغدر ، والخيانة ، والظلم .

طرح الجسد على النقالة ، وأزيل عنه وثاق يديه ، غير أن الأرجل لازالت ترزح تحت القيد ، أجري عليه الكشف ، فأشار الطبيب بنهايته ، ومفارقته للحياة ، ووضعوا عليه بطانية قديمة ، وممزقة ، من مخلفات السجن ، ومما زادني أشمزازاً ، تلك الفعلة التي قام بها السجنان تجاه هذه الجثة ، لقد كانت يد الأستاذ متدلّية خارج النقالة ، أثناء عملية الكشف ، فأخذها هذا السجنان وقذف بها بكل قسوة إلى داخل الغطاء ، غير أنه بحرمة الميت ، ولا بشعور الحاضرين ، ممثلاً بكل وقاحة بالجثة ، أنزلت النقالة من على المشنقة ، كما أقتيد الجمهوريون الأربعة ، بعد مشاهدتهم لتلك المأساة ، كما تفرق جمع الطاغية الذي كان يجلس على تلك الكراسي الوثيرة ، والتي إنقلبت وبالأعلى عليهم أخيراً . (انتهى حديث شاهد عيان . كان الأستاذ عادياً وهو يعلم إلى أين هو ذاهب ، فقد حكى الطبيب الذي أجرى عليه الكشف الطبي قبل العاشرة بدقائق ، أنه كان هادئاً وعادياً وأن ضغطه كان مثاليًا وهو 80 / 120 .

وقد حكى أحد الصحفيين (فيلب عزيز) الذي شهد ذلك المشهد في مجلة جون أفريك (Jeune Afrique) تحت عنوان الشيخ والجريمة بقوله :-

(في 18 يناير، في الساعات الأولى من الصباح، أخذت جموع تقدر بعدة آلاف، تتدفق نحو السجن المركزي بكوبر، المحروس بأعداد كبيرة من القوات المسلحة، لتحضر التنفيذ. وفي الساعة التاسعة والنصف، وقد أمتلات ساحة السجن، أخرج إثنان من الحراس محمود طه من زنزانه، وقاده نحو المشنقة المطلوبة باللون الأحمر. اليدان مكتوفتان من الخلف، والرأس مغطى بقناع أحمر، والقدمان مقيدتان بحبل غليظ. . وكان الرجل الشيخ يتعثر بين أيدي حراسه، وهو يصعد على السلم من أسفل المشنقة. وأمام الجمهور الذي كان يردد هتافات دينية، نزع الحراس الغطاء عن المحكوم عليه، فرفع محمود طه، لدهشة الجميع، وجهًا مطمئنًا ومبتسمًا، وكان الرفقاء الأربعة الذين حكم عليهم مثله بالإعدام، والذين سيقوا مقيدين وحيء بهم إلى القرب من المشنقة، يرددون بعض الصلوات. . وإقترب مدير السجن من محمود طه، وقرأ الحكم من المايكروفون، وفي الساعة العاشرة تمامًا لف الجلاد الحبل حول عنق المحكوم عليه، ثم دفع بضربة واحدة من قدمه المقعد. . وظل جسد محمود طه لمدة عشر دقائق يتأرجح في الفضاء، وبعد نهاية هذه الفترة من الزمن كشف عليه الطبيب الشرعي، وقرر الوفاة. ثم حل الحراس الجسد، وحملوه إلى طائرة هليكوبتر كانت تنتظر في ميدان السجن، وفي اللحظة التي بدأ فيها الجمهور ينصب نحو الخروج، تحركت الطائرة حاملة الجثمان إلى جهة غير معلومة) إنتهى حديث فيليب عزيز.

وهذه الصورة من العنف والإرهاب، هي ما يقدمها دعاة الإسلام السلفيون ورجال الشريعة، في كل بقاع الأرض وليس لهم منها من فكاك، هي أيضًا الصورة التي توضح أن الإسلام الذي يُقدم على فروع القرآن اليوم، وليس على

أصوله التي تقوم على حرية العقيدة والرأي، ليس له من فرصة في عصرنا الحاضر، وكما قال السيد المسيح فقد (وُضعت الفأس على أصل الشجرة). وليس للفكر السلفي والسلفيين أي موقف من الأفكار وكل الأديان غير هذا الموقف البشع.

بعد الإنتفاضة التي أطاحت بنظام نميري، وسدنته، إتضح الكيد الذي كان مدبراً، والذي ألبسوه ثوب القانون والدين، فقد وجدت بعض المكاتبات التي تمت بين نميري وأعوانه، لتصفية الأستاذ محمود. فقد كان إغتياله إغتيالاً سياسياً سافراً، فالتأمر والقصد السيئ، كانا أساس تلك المحاكمة الصورية، وحقيقة الأمر أنهم قد إحتموا بنصوص من الشريعة إستغلوها للتنفيس عن حقدهم، وتنفيذ جريمتهم، وهنا مكمّن الخطر على كل من يحمل رأياً معارضاً، ولكن سلاح من إغتالوه إنشاء الله سوف يرتد عليهم إن شاء الله. . وقد تنبأ الأستاذ بذلك في إحدى الجلسات، بعد المصالحة الوطنية عام 1977 في مقولته الشهيرة التي عرفت بالسوفات السبعة حيث قال :

(من الأفضل للشعب السوداني أن يمر بتجربة جماعة الهوس الديني،

وسوف تكون تجربة مفيدة للغاية، إنها بلا شك سوف تكشف مدى زيف شعارات هذه الجماعة .

وسوف تسيطر هذه الجماعة على السودان سياسياً وإقتصادياً حتى ولو بالوسائل العسكرية .

وسوف تزيق الشعب الأمرين .

وسوف يدخلون البلاد في فتنة تحيل نهارها إلى ليل .

وسوف تنتهي بهم فيما بينهم .

وسوف يقتلعون من أرض السودان إقتلاعاً) .

الوثائق الوارد ذكرها أدناه، تكشف ذلك التآمر الرخيص، فكل الذين إشتراكوا في تلك المؤامرة، كان لهم خصومات فكرية وعداء للأستاذ، بعد أن عجزوا عن منازلته في ميدان الفكر، فقد واجه الأستاذ حكومة مايو حين مالت نحو الهوس الديني، ودبرت القوانين التي أسمتها شرعية، لتصفية كل من يعارض ذلك الإتجاه، وقد سعى في ذلك التآمر الأخوان المسلمون وقد ثبت ذلك التآمر بالوثائق .

فبعد إعتقال الأستاذ لمدة عام ونصف، أطلق نميري سراحه بصورة مفاجئة، مما يشير إلى إن هناك شيئاً ما يدبر في الظلام . إستغل الأخوان المسلمون حالة عدم التوازن العقلي التي دخل فيها نميري بعد بداية إنهيار النظام، وحقده على المعارضة، التي ساعدت في تفكك النظام وإنهياره، وأخذ نميري يصرح في عديد الإجتماعات الخاصة بالحكومة، والإتحاد الإشتراكي، عن حقده على الأستاذ بكلمات مثل أدعياء الألوهية، أو إن جماعة الأستاذ (يطيعونه ولو قال لهم أنسفوا هذه القاعة سوف ينسفونها .)

فالأخوان المسلمون وعلى رأسهم زعيمهم الترابي كانوا يعلمون أن الأستاذ لن يصمت بعد إطلاق سراحه وسوف يواصل المعارضة لقوانين سبتمبر 1983 فرأوا أن الفرصة قد واثتهم للتخلص من الأستاذ محمود، فأحاطوا بنميري وعزلوه

عن مجموعته المعتدلة فقد حدث أن قابلت ومعي بعض الجمهوريين إحدى قيادات المرأة في الاتحاد الاشتراكي في منزلها الحكومي في الخرطوم في يناير 1985 وتحدثت معها عن ما يحاك ضد الأستاذ، فكشفت عن موقف ضعف ظاهر، وقالت لنا بالنص إنهم في هذه الأيام لا يستطيعون مقابلة نميري (فقد أحاط به الأخوان المسلمون ومنعونا حتى عن مقابلته) كما قالت إنهم أحكموا الحصار حوله بإحتلالهم كل المواقع الرسمية فقد كان الترابي مساعداً لرئيس الجمهورية للشئون السياسية كما تولى الأخوان المسلمون وزارة الداخلية والنائب العام ومجلس الشعب، وكان أحمد محبوب حاج نور رئيس محكمة الإستئناف الجنائية، جميعهم بايعوا نميري خليفة للمسلمين في بيعة ابي قرون الشهيرة (جريدة الأيام 16/5/1984) والكل يعلم ان البيعة لانتم لرجل وهو في الحكم، ناهيك عن طاغية مثل نميري، ينقصه العلم والدين والورع، قد دافعوا عنه جميعاً ووصفوه بأنه (مجدد ديني) وأثنوا على قانون الطوارئ الذي إعتقل وعذب الشعب، بأنه جهاد في سبيل الله وإعلان لحرب سياسية، فبهذا الوضع إكتملت خيوط المؤامرة، فأعدوا العدة بتجهيز قانون العقوبات الجديد الذي وضع أي معارض، في درجة الخيانة العظمى، والمساس بأمن البلاد، وعقوبته الإعدام، وقد وضع نميري على رأس المحاكم التي أنشئت بتلك القوانين، قضاة ينفذون مخططة الإجرامي لإذلال الشعب، فالكاشفي، وحاج نور، وعوض الجييد، ومحمد آدم عيسى (وزير الدولة بديوان النائب العام)، وموجه الإتهام، هو أخو مسلم، وجميعهم أخوان مسلمون، يخدمون أغراض تنظيم الأخوان المسلمين العدواني الحاقده على الأستاذ، وذلك لما بلوا به من هزائم أمام أدلة الأستاذ بأن مايقدمونه ليس الإسلام، وإنما جهلهم بالإسلام، وأغراضهم الشخصية، وإستغلالهم للدين ليصلوا به إلى

السلطة ، وكرد فعل أخذ هؤلاء يصدرّون الأحكام ويرفعونها للقصر للتأييد ،
فقد كتب نميري لسدنته من الإخوان المسلمين ليعدوا له المؤامرة ، وقد حُكم على
الاستاذ بالردة قبل المحكمة ، فيما يلي نورد خطاب نميري لسدنته :-
الوثيقة الأولى:-

نميري يحكم بالردة قبل المحاكمة!!

((الأخ عوض ، النيل ، والأخت بدرية

سلام الله عليكم ، ،

آخر هوس الإخوان الجمهوريين ، هذا المكتوب الذي أرى بين سطوره
الردة بعينها) أرجو الإطلاع ، ومعكم الأخ بابكر ، سأجتمع بكم في الأمر إنشاء
الله ، بعد أن تكونوا على إستعداد .

أخوكم في الله

جعفر محمد نميري

8 جمادي الأولى سنة 1404 هـ))

الوثيقة الثانية:-

((الأخ الرئيس القائد - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المنشور المرفق وزعه الجمهوريون ، وقد قبض على ستة منهم ، وتم التحقيق
معهم وسوف يقدمون إلى المحاكمة . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ،

ولاشك أنها بداية لمسيرة ظافرة بأذن الله ، يتساقط دون هدفها كل مندرس بأسم الدين ، وكل خوان كفور ، والله الأمر من قبل ومن بعد: وفقكم الله لقيادة المسيرة الظافرة ، وأقام نهج الله على آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ومن سار بسيرهم ومنهجهم أنه سميع يجيب الدعاء .

النيل عبد القادر أبوقرون

6 ربيع ثاني 1405 هـ

الحمد والشكر لله ولصفيه ورسوله محمد رسول الله والله أكبر على المنافقين .

6 ربيع ثاني 1405 نميري) . . (أنظر صورة المستندين)

خطاب نميري لسدنته ، كان من تاريخه قد صدر قبل ظهور المنشور هذا . . أوالطوفان . . وهذا يعني أن الحكم بالإغتيال والردة ، كانا مدبرين قبل المحاكمة . كما وجدت ورقة في ملف القضية ليست من أصل الأوراق (ورد ذكرها سابقاً) ، تحوي حكم الردة ، أضيفت لقاضي محكمة العدالة الناجزة رقم أربعة ، حسن ابراهيم المهلاوي ، ليقرأها ضمن الحكم!! .

خلاصة حوادث الأيام الأخيرة:

مضت الأيام الأخيرة مسرعة ، ففي يوم 19/12/1984 أطلق سراح الأستاذ وفي يوم 25 من نفس الشهر أخرج الأستاذ المنشور المعروف (هذا . . . أو الطوفان) . وفي يوم السبت 5 يناير 1985 أعيد اعتقال الأستاذ . وفي يوم 7 يناير 1985 قدم للمحاكمة . وفي يوم 8 يناير 1985 صدر الحكم ضده بالإعدام . وفي يوم الثلاثاء 15 يناير 1985 ، أعلنت محكمة الإستئناف الجنائية حكمها في القضية ، وحولت القضية من جنائية إلى قضية ردة . وفي يوم الخميس 17 يناير

1985 ، أيد الطاغية ، نميري ، الحكم الصادر بالإعدام من محكمة المهلاوى . وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة 18 يناير 1985 نفذ عليه الحكم الجائر .

وبعد تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود في الوقت الذي بدأت فيه الانتقادات والاشتمزاز ، أخذ بعض ضعاف النفوس من داخل السودان يهتئون جعفر نميري ، لإغتياله الأستاذ (لعل من بعض الأسباب خوفهم منه على أنفسهم) أورد فيما يلي بعض من هذه البرقيات والتي تم نشرها في الصحف اليومية :-

فقد ورد في جريدة الأيام ، أن السيد محمد عبد القادر عمر ، الأمين العام للإتحاد الاشتراكي السوداني ، يشيد فيها بقرار نميري بتأييد الحكم ، هذا نصها :-

(بنفس القناعة التي أملت علينا أن نهتكم ، ونعلن تأييدنا لكم ، وأنتم تصدرون قراركم بالعفو عن فيلب عباس غبوش وجماعته ، لأنكم بذلك عبرتم عن سماحة الإسلام ، وعن رحابة صدركم وعظيم نبلكم ، فإننا نهتكم ، وأنتم تصدرون قراركم العادل ، بتأييد حكم المحكمة الحدي بالإعدام ، على محمود محمد طه ، وأربعة آخرين حماية للمجتمع ، من فتنهم وإحيازاً لكلمة الله ، وإنتصاراً للعدل وبسط لوائه بين الناس ، نؤيدكم ونقف خلفكم صفاً واحداً وإرادة صلبة ، وعزيمة لاتضعف ، ولاتتهز . سيروا على طريق العدل ، والله معكم يسدد على طريق الخير خطاكم ، وإن ينصركم الله فلا غالب لكم .)

والسلام عليكم ورحمة الله

محمد عبد القادر عمر

جريدة الأيام الصفحة الأولى .) إنتهى

هكذا يباركون قتل المسلم الذي يدعو إلى الله على بصيرة ويهنتون بالعفو عن المسيحي ، وتلك عندهم نصره الإسلام؟؟!! كما وردت تهاني كثيرة لنميري من خلال المذيع ، كما خصصت الإذاعة وقتاً لإذاعة التهاني التي قيل أنها وردت من مواطنين . . وأخذ بعض الذين يتقدمون بطلبات لأغراض من الحكومة (مثلاً الأراضى) يبدؤونها بأنهم يؤيدون حكم الإعدام على الأستاذ .

ردود الفعل العالمية بعد تنفيذ الحكم على الأستاذ:

المملكة العربية السعودية ، من الدول التي قد حرضت على إعدام الأستاذ محمود ، وقد كتبت لحكومة السودان بذلك ، فقد قابلت صحفها بلا إستثناء خبر الإعدام ، بالرضا بإعتبار أنه طابق الإتجاه الديني المتخلف للدولة ، التي تقف موقفاً عدائياً واضحاً من الأستاذ محمود ، وإتجاهاته في الفكر ، لنظامها الملكي المنافي للمبادئ الإسلامية ، كل العالم أدان ذلك الأعتيال ، ماعدا المملكة العربية السعودية التي سبق ان اوصت حكومة نظام نميري بإعتيال الأستاذ .

إدانات العالم الغربي:

أما العالم الغربي ، فقد إستنكر جميعه تلك الجريمة البشعة ، وكان لصحيفة القارديان البريطانية الصادرة بالتواريخ 1985 / 1 / 19 — 1985 / 1 / 21 — 1985 / 1 / 29 ، إدانات قوية ، ومتتالية ، لتلك الجريمة ، وكان واضحاً أن نظام نميري الذي بدأ ينهار كان بعيداً عن الإسلام ومعزولاً عن العالم وروح العصر . وقد كان أقوى صدى لمعارضة العالم الغربي للأعتيال ، من مجلس العموم البريطاني ، فقد نظمت الأحزاب البريطانية في يوم 1985 / 1 / 30 ، إجتماعاً للتنديد بالجريمة ، التي إرتكبها نظام نميري ضد الشهيد

محمود، ترأس الإجتماع السير جراهام توماس، أحد كبار الموظفين السابقين بحكومة السودان وقد لخص أهداف الإجتماع في كلمات ثلاث (الحزن والإسى والتقدير) قائلاً: (الشعور بالحزن أمام هذه الفاجعة والشعور بالأسى للذين إرتكبوا هذه الجريمة، والشعور بالإجلال والإحترام أمام محمود، وشجاعة الذين ضحوا بالغالي والنفيس، لإعلاء كلمة الحق، والذين كان المرحوم محمود محمد طه ينتمي إلى صفوفهم...).

ردود الفعل العالمية بعد تنفيذ الحكم على الأستاذ:-

وقد تبعه في الحديث السيد سيرك تاوسند، النائب البرلماني الممثل لحزب المحافظين فقال: (والجريمة التي تمثلت في شنق هذا الرجل المسن، بهذه الطريقة البشعة، ودون أن يحظى بمحاكمة عادلة، هي جريمة تقلص من قيمتنا نحن المجتمعين، في هذه القاعة، ومن قيمة كل إنسان يوجد على وجه البسيطة).

صورة من الوثيقة الأولى

1920-21-22



شیخ محمد بن یونس و الشیخ محمد بن یونس

7 4 7

هذا هو الكتاب الذي كتبه
الشيخ الفاضل السيد محمد باقر
ميرزا في تاريخ طبرستان

۱۲۳۴۵۶۷۸۹۱۰۱۱۱۲

王

(Signature)

أصدق الوثائق التي يقدم بها الأستاذ عبد الوهاب محمد
عبد الوهاب مع هويته ليوم إجازة التحرير التي كانت
تقاسم التحرير لخاصة التحرير

صورة من الوثيقة الثانية

الحمد لله الذي
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 المستور الرفق والرحمة المحمدية وقد قبض
 على سنة منكم وتم الحفنة حرم من
 يقدره منكم . و هو . وقد آتاهوا الفرصة
 تاريخية على منكم . بسم الله الرحمن الرحيم
 ولا تشكوا في الجلالة المسيرة ظفارة
 بأذن الله . يتساقط دون حد فلا كل
 منكم باسم الرب . في خوان كغور
 ولقد الأمر من تن ومن نعيم
 رفقكم الله بقيادة المسيرة الظفارة
 وانما طبع الله على كثر الصلوات منكم
 وأما به ورحمة الله وبركاته . بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي

والصلاة والسلام

الحمد لله الذي

والصلاة والسلام

والصلاة والسلام

والصلاة والسلام

والصلاة والسلام

أيضاً كان للكاتب السوداني الدكتور منصور خالد إدانته لتلك الجريمة نورد
جزءاً من نص المقال الذي كتبه في جريدة السياسة الكويتية الصادرة في يناير
1985م والذي بدأه ب :

(وقد كان فوت الموت عليه سهلاً فردّه إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر

فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمسك الحشر

غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا إشتهت أنها قبر)

وما كان لمحمود أن يرد عنه غائلة الموت بالجزع، فما جزع من المصائب
إلا من إتهم ربه . . وما كان ليدفع عنه البلوى بالإنخزال أمام المهووسين، وبدع
الدجاجلة، واضطغان الذين ما استطاعوا عبر ما يقارب نصف قرن من
الزمان، أن يجابهوا الرأي برأي أوثق . . فإن فعل خان ماضيه، وتنكر لتعاليمه،
وقد عرف الناس الراحل الكريم، على لين عريكته، رجل أصمعي الفؤاد،
صلب القناة . . إن الذي يأبى على نفسه من الدنيا الفضول - ولا بطلع غيره
على ما لا يعلمه عنه إلا الله، لا ينكسر أمام الموت، كما يفعل (إمام) آخر
الزمان، الذي أكده السعي وراء الحياة، فراراً في كل معركة، ولو أذاً عند كل
لقاء، ونهالكاً أمام كل مجابهة، فأين مروءة محمود من مرأته، وأين حلم
محمود من غلوائه، وأين تواضع محمود من خيلائه، وأين جرأة محمود من
إنخزاله وإنزوائه . .

إن إغتيال محمود محمد طه شهيد الفكر، لرزة أكبر من أن توفيه الدموع السواجم. وما إغتيال محموداً دهر خثون، وإنما إنتاشته سهام صدئه، أطلقتها قضاة تالفون، ودعاة عاطبون، وحاكم فاجر، معتل العقل، آن له أن يلجم..

لقد ذهب محمود إلى رحاب سنية، وجناب حان، وهوراض، وكيف لا يرضى بذلك الرجل الذي يودع فلذة كبده، وعينه لاتدمع، وهو يقول لمن جاء لعزائه ' لقد ذهب إبني إلى أب أرحم، نعم!! ذهب محمود إلى ذلك الأب الأرحم، وبقينا نحن في خلف شعور، وزمان عقيم عقم الخصي الأوكع، الذي قتل أباً شجاعاً فتاكاً - نعم! بقينا نحن في زمان كزمان الصوفي المتبتل أبوبكر الواصلي، زمان ليس فيه آداب الإسلام، ولا أخلاق الجاهلية، ولا أحلام ذوي المروءة، فما أشد أهل السودان اليوم حاجة، وقد إستبدت بهم الدواهي العظام، والكروب العضال، إلى ذوي الرأي السديد، والعزم الحديد.. أو غبن في الرأي وخور في العزيمة؟! معاذ الله!) إلى أن قال (ولعل مثقفي السودان، قد رأوا ما يمكن أن يقود إليه الهوس الديني، وشهدوا ما يمكن أن يؤدي إليه صمت الشياطين الخرس عن الحق، وباليث أهلي! بالبتهم يعلمون أن الطاغية الذي لا يقتصد في محاسبة رجل مسالم، هو أول الناس إجحافاً عندما يلوح له بالعصا، فما سل الإمام سيفه إلا أمام أعزل، ومطالب الطعن والنزال إلا في ساحة خلاء، ودون الناس توسله، وتضرعه للصنديد جون قرنق، في أدغال الجنوب، ودون الناس إنكساره، أمام الأب فيليب عباس غبوش!!) إلى أن قال (لقد إغتال النميري والعصبة التالفة من خلفه من كل

مشعوذ ومنافق ومتاجر بالدين ، لقد إغتال كل هؤلاء بأسم الإسلام والمسلمين
مفكراً حراً ، اعزل من كل سلاح ، إلا القلم ، ومع هذا ، فما تركوا هؤلاء
المسلمين فرصة الإبتهاج بهذا الذبح السمين بل هربوا جثمانه خشية مالاتحمد
عقباه) إنتهى . ذلك كان جزء من مقال الدكتور منصور خالد .

وفي جانب آخر حرك هذا الفعل الشنيع البروفسير عبد الله الطيب فنظم
قصيدة مديناً ومصوراً ذلك الجرم الكبير الذي أساء إلى الإسلام والسودان ، نحتزي
منها أجزاء متفرقة ، بدأها بقوله :

(قد شجاني مصابه محمود مارق قيل ، وهو عندي شهيد)

إلى أن قال :

(كان حكم الإعدام تنفيذه سراً	فهذا الإشهار شيء جديد
ليت إذ أجمعوا على الإثم أخفوه	كما إغتال خمسة عبود
أي شيء جناه حتى يرى الإعدام	فيه هو الجزاء الوحيد
لم يجرّد سيفاً وأصدر منشوراً	وهذا أسلوبه المعهود
وهو نهج من النضال حضاري	بأمثاله السراة تسود
ولقد رام أن يجدد محمود	فصار جرمه التجديد
والذي قاله فقد قيل من قبل	وفي الكتب مثله موجود
ولقد يعلمون ان قضايا الدين	فيها الخلاف وهو تليد

إلى أن قال :

(علناً علقوه يشنق للجمهور
ذاك المفكر الصنديد)

إلى أن قال :

(وأراهم من ثغره بسمه الساخر
وعلى وجهه صفاء وإشراق
امام الردى وديع جليل)
والجل فوقه ممدود

إلى أن قال :

(فيما هذا الطغيان ماهذه
الأحقاد ماهذه القلوب السود
ما الذي جد ما الذي جلب القسوة
من أين ذا العتم الشديد
قد أسأنا إلى الشريعة والإسلام
ما هكذا تقام الحدود
ما كذا سنة النبي ولا الوحي
الذي أنزل الحكيم الحميد)

في هذه الفترة كتبت المؤلفة العديد من المقالات في الصحف المحلية نذكر منها : (الأستاذ محمود الذي أغتيل غدراً وخيانة) (الأسلوب الذي إنتهجه الأستاذ للدعوة للدين) (الأصول والفروع) ومقالات أخرى ، كما كتب بعض الجمهوريين العديد من المقالات التي تشجب المؤامرة ، وبعد الإنتفاضة الشعبية في 6 أبريل 1985 التي أطاحت بحكم نميري ، تكونت لجنة قومية من بعض أساتذة جامعة الخرطوم وآخرين للإحتفال بالذكرى الأولى لإستشهاد الأستاذ محمود ، وإنبثقت من تلك اللجنة فكرة رفع قضية دستورية لإبطال الحكم الجائر ضد الأستاذ محمود ، ترفع نيابة عن أسماء محمود وشملت العريضة بعض المثقفين (على

أساس أنها قضية قومية) وبعد إعداد العريضة وقبل تقديمها، إنسحب البعض . وفي 25 فبراير تقدم لفيف من المحامين (هيئة إدعاء) بعريضة تطالب ببطلان الحكم الصادر من محكمة الموضوع ومحكمة الاستئناف، الذي ترتب عليه تنفيذ حكم الإعدام، وبعد فحص وتنفيذ لإجراءات محكمتي الموضوع والاستئناف قررت المحكمة العليا إعلان بطلان الحكم على الأستاذ محمود .

وجلية الأمر ليس هناك دستور في الأرض، يقول بإعدام المواطنين لأفكارهم، وقضية الأستاذ محمود هي قضية الفكر والدين، وليس في الدين ردة (راجع كتاب بيننا وبين محكمة الردة للأستاذ محمود) لأن الدين هو علاقة الإنسان بربه، التي لم يجعل الله عليها رقيباً ولا أنبياء، وقمة تحقيق هذه العلاقة ما جاء في الآية الكريمة: ﴿... قُلِ اللَّهُ تَعَزَّزَهُمْ فِي حَوَاضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝﴾ (سورة الأنعام)، وقد حقق الأستاذ محمود من هذه الصلة ما ليس له مثيل على الأرض الآن، وإنطلاقاً من هذا الفهم ليس هناك من هو موقن، عالم بالله، أكثر منه، يصلح أن يكون حكماً عليه ليبرأه أو يدينه، وهذا الموقف الفريد الذي كرم الله به الأستاذ محمود، تم إختياره له لأمر جليل له مابعده . .

وإن كان هناك ثمة واجب يقوم به رجال القانون هو إلغاء تلك القوانين التي نهض الأستاذ لمقاومتها، وقد دلهم على ذلك الواجب عندما زاره بعضهم في حراسات القسم الجنوبي، حيث قال لهم ما معناه: (أتركوني أنا وإهتماموا بأمر هؤلاء المظالم الذين يسامون العذاب دون ذنب جنوه، في السجون والحراسات)، وفي المحكمة رفض أن يقف دونه المحامون، شكرهم، وواجه القضاء الجائر بنفسه . كان واجب رجال القانون ومازال هو إلغاء تلك القوانين، كما كان يجب

ان تكون تلك القضية جنائية ، يلقي فيها القبض على الجناة ويعاملون كقتلة ، لينالوا جزائهم بالقصاص والعدل لما إرتكبوه في حق الدين وحق الشعب الذي لازال يعاني من وطأتها ولا يمكن تحقيق أي عدالة وتلك القوانين قائمة (لايستقيم الظل والعود أعوج) .

قضية الأستاذ محمود ليست قضية بالمعنى المعروف في تاريخ القضاء ولا في الأعراف الإنسانية ، فهي جريمة قتل وتصفية لأفكاره دبّرت وحبكت من جماعة الأخوان المسلمين مع الطاغية نميري ، والذي كان في حالة خوف من إنهيار نظامه ، ولعله كان يعتقد ان نهاية النظام سوف ترتبط بنهاية حياته ، فدبر تلك الجريمة (راجع وثائق القصر) ، والجريمة تظهر في تأييده للحكم وفي اقوال محكمة الإستئناف ، وفي اقوال قاضي محكمة الاستئناف فقد خرجا عن إطار المنشور وعن المادة المعروضة في المحكمة بغرض التصفية . فمهما كانت نتيجة الحكم فإن الموقف الذي وقفه الأستاذ فوق تصور الدستور والقانون المعروف .

ومن عجب ، بعد مضي وقت من تنفيذ الحكم على الأستاذ أخذ بعض أعدائه والذين تأمروا على تصفيته الجسدية ، يتبنون وينشرون أفكاره التي إغتالوه من أجلها والتي تقوم على تطوير التشريع الإسلامي (الدعوة بالإسماع وليس الجهاد بالسيف ، والإسلام ديمقراطي إشتراعي ، ومساواة الرجال والنساء ، ومساواة المسيحي بالمسلم)!! من غير فهم ولا تأسيس ولا تجربة تطبيقية في التصوف ، وعلى رأس هؤلاء الشيخ حسن عبد الله الترابي زعيم جماعة الأخوان المسلمين في السودان حسن عبد الله الترابي ، حيث أصدر مجموعة فتاوي في جملتها مسخ لأفكار الأستاذ محمود ، منها على سبيل المثال الدعوة بالإسماع ومساواة

النساء بالرجال - إمامة المرأة - مساواة المسيحي بالمسلم . . وقد ردت المؤلفة على تلك الفتاوي في جريدة الأيام في عددها رقم 8508 الصادرة بتاريخ 24 مايو 2006م أجتزي منها مايلي : (. . . وبعد كل تلك السنوات وفكر الأستاذ محمود تتقد جزوته تحت الرماد جاء حسن الترابي ليشوه بعض تلك الأفكار ويخرجها من محتواها ويعرضها على الناس ، ثم ينكر تورطه في الجريمة . . وتواصل الكاتبة المقال في نقض إدعاءات الترابي في حقوق المرأة فتقول : (. . . أما دفاعه عن حقوق المرأة فهو لايملك فكراً يعرف للمرأة أقل قدر من الكرامة ، والتاريخ القريب يكشف ذلك فبعد منتصف السبعينات قدم جماعة الأخوان المسلمين حسن الترابي في ندوة في قاعة الإمتحانات بجامعة الخرطوم ووقف وقتها مدافعاً عن الشريعة وعن قوامة الرجال على النساء وقد ناقشته الأستاذة أسماء محمود في موضوع القوامة وكيف أنها مرحلية وأن الإسلام قد درج المرأة إلى أن يجيء وقت نضج البشرية لتصبح المرأة والرجل على السواء تحت القانون الدستوري ، فرد عليها حسن الترابي بقوله : (إن الإسلام فيه القوامة والماعيزة القوامة ما تزوج) !! ؟ . . ويواصل مقال المؤلفة في الرد على الترابي : (. . . وقد صدق الدكتور مختار عجوبة حين قال : (إن مشكلة الترابي مع محمود هي مشكلة نفسية وأن الترابي شارك في إغتيال محمود ليكون هو المجدد ، ومن يقارن بين أفكار الترابي التجديدية وأفكار محمود التجديدية ، يتضح له بجلاء أن الترابي ماهو إلا تلميذ غير وفي لأستاذه) . . وختمت المؤلفة مقالها بما يلي : (أخيراً أين قضاة محاكم الشريعة الذين قالوا أن كل من أنكر ماعرف من الدين بالضرورة فهو كافر ومرتد ويقتل حداً . نريد أن نسمع منهم وقد تلطخت أيديهم بدماء الأبرياء ، ألم يصدق فيهم قول سيد الشهداء أنهم غير مؤهلين فنياً وضعفوا أخلاقياً عن أن يمتنعوا عن أن تستغلهم السلطة التنفيذية لإضاعة الحقوق والتنكيل بالمعارضين السياسين ؟؟) د . بتول مختار محمد طه .

الخاتمة

تلك كانت لمحات مجيدة من حياة الأستاذ محمود، تلك الحياة العامرة المليئة بالإخلاص والحب لله، وللناس، عشت جزءاً كبيراً منها معه، نشاطاً وحيوية فكرية . . أما الطرف الآخر منها فقرأته من كتاباته القديمة، وأخر أخذته من القصص، التي كان يقصها عليّ، وكنت أشعر بقوة صداها في نفسه . .

حياته كلها جد أقرب إلى الحزن، ومع ذلك له إبتسامة مشرقة، يتسم حين يقابل كل إنسان، وتبرق عيناه بصورة تشعر ضيفه بحرارة الترحاب، مما يجعله فرحاً وسعيداً بزيارته، يقرب كل إنسان منه، ويفتح له قلبه، حتى قام في بال كل فرد أن الأستاذ يوفر له الحب أكثر من الآخرين . فقد إستطاع أن ينشئ جنة من الحب في بال كل من إتبعه .

حياته حركة لاتعرف السكون، ولا الراحة، كأنه ينفذ برنامجاً مدروساً ومعداً، فمنذ طفولته حين كان طالباً كان، يواصل الدراسة في فصل الشتاء والصيف، وعند بداية الخريف يبدأ العمل في الزراعة . . وحين دخل الحياة العملية، باشر العمل الهندسي في المصالح الحكومية ثم في الشركة الخاصة التي أسسها مع أحد زملائه، ثم العمل الفردي، ومع ذلك شارك في الحياة الأدبية، و يقوم بواجبه في رعاية الأسرة والأطفال . . إلى جانب تلك الإلتزامات عمل عملاً كبيراً في المجال السياسي، المحاضرات، والندوات واللقاءات، وتأليف الكتب، والكتابة في الصحف اليومية . .

بعد أن ترك العمل الهندسي وجه كل جهده للعمل السياسي الفكري والديني، لبعث الإسلام من جديد، بصورة تواكب العصر، وتحل مشكلة الإنسان المعاصر، ثم أسس ورعى المجتمع الجمهوري، النموذج المصغر للمجتمع السوداني، والعالمي الذي يعيش ويجسد خلق الإسلام، وكان يشرف ويتابع هذه الحركة النشطة، في منزله، ومنازل الأخوان الجمهوريين حوله. . منزله لا يهدأ من مقابلة الضيوف الجدد كل حين، بالهيئة التي ورد ذكرها في الصفحات السابقة. .

مهما اختلف الناس في تقييم الفكرة الجمهورية، فلن يختلفوا في قوة رأيه وقوة مواقفه، صدقه، وإخلاصه وشجاعته، وكرمه الذي لا يخشى الفقر، فقد كان كل ما في يده ليس ملكه، يعطي إذا سئل، كل شيء، يعطي في الخفاء، ولا يعلن ذلك لأحد، لا ينتظر أن يسأله المحتاج، في بلد ظل مليئاً بالفقر والعجز. . يسدد الشغرات لكل محتاج، من ملاحظاته الخاصة. .

أيضاً مهما اختلف الناس في تقييم فكره، فلن يختلفوا في قوة رأيه، وقوة مواقفه، في نصرة الضعفاء والمستضعفين (المرأة، والأطفال، وكبار السن، والفقراء)، فقد قال يوماً: (من رأى الحق يذبح ولم يفعل شيئاً، فسيجيء يوم يذبح فيه حقه أمام عينيه، ولا يستطيع فعل شيء). .

قدم خلاصة الفكر البشري، أوضح فيه أن جميع رسالات السماء، لها غرض واحد، هو إنجاب الفرد الحرية فردية مطلقة، الذي يفكر ويقول ويعمل، باتساق تام بين فكره وقوله وعمله، يعامل الخلق والخالق بصدق ونقاء. . الرجل الحر هو الذي يعرف هدفه في الحياة، ويسعى لتحقيق ذلك

الهدف ، وقد رسم الأستاذ ذلك الهدف وأكمل دوره فقد قال : (كل إنسان إذا عرف دوره في الحياة ، يتحرك مثل بطل الفيلم الذي يعرف دوره ولا يتردد) ، وقد عرف الأستاذ محمود دوره في الحياة وأداه بعزم وتصميم . .

وبهذا الموقف في الإصرار ومواجهة الموت ، خط الأستاذ طريقاً لكرامة الفكر لم يُعرف من قبل في تاريخ النضال الفكري أمام الطغاة ، وفتح به طريقاً جديداً للخلود . . أحبه الكثيرون وتعلقوا به ، هجروا كل شيء ، من أجل القرب منه ، حتى أصبح كل حياتهم ، وهؤلاء أعطاهم الأمن ، والعلم ، والمعرفة ، ووجدوا في كنفه كل ما فات غيرهم في الحياة . . وقد عاشوا الحياة معه لا يعرفون التعب ، ولا الخوف ، ولا الملل ، ولا يشعرون بمرور السنوات .

أما نحن في الأسرة عشنا جميعاً حوله ، وتنافسنا على حبه ، والقرب منه ، وطاعته في توصيل الخير للناس ، وتجويد تقليد طريق النبي صلى الله عليه وسلم ، وخاصة قيام الثلث الأخير من الليل ، وكنا نظرب لعبارة يرددها كثيراً (كونوا في الرب طماعي) هذه العبارة كانت تحفزنا لتجويد العبادة ، وحب الخير . وبعد رحيله ، نزلنا جميعاً من ذلك العالم عالي الروحانية إلى عالم البشر ، وكأننا إستيقظنا من حلم جميل ، فهبطنا من الجنان إلى أرض الناس . . كان الاستاذ شجرة وارفه ممتدة الظلال عاش الكل تحت ظلالها مغمورين بوده وحبه حتى ظنوا ان هذا الكون جنه ولم يستيقظوا الا على غرقعة سيوف الظلم والطغيان في صبيحة 18 يناير 1985م .

بنفس القدر الذي أحبه به البعض، عقه الكثيرون، وإبتعدوا عنه، ثم لم
يثنه ذلك عن عمل الخير . . جهله وعاداه الكثيرون، حاربوا فكره، جافوا في ذلك
كل عرف وخلق ودين، قاوموه بالتأمر، والتلفيق، والكذب، والتشويه المخل
المتعمد لأفكاره، من غير ورع ولا خلق، ومع ذلك لم يأبه بأولئك ولا هؤلاء،
تحرر من عقدة الحب والكراهية، لذلك لم يثنه الحب، ولا البغض عن هدفه،
فمضى إليه بثبات تام، وقد ودع هذا الجانب من الوجود بإبتسامة مشرفة، سما
فيها بفكره . وختم العار على سكان المعمورة، الذين لا يعرفون كرامة الفكر . .



الملاحق

بعض المقالات التي كتبت عن الأستاذ بعد تنفيذ الحكم:-

السجون وسجناء الضمير، بقلم د.بتول مختار محمد طه

هذا المقال بعنوان - السجون وسجناء الضمير - كتبه المؤلفة ونشرت أجزاء منه في سودانيز اون لاين وهو يشرح حال السجن ووضع الأستاذ محمود فيه ، نورد النص الكامل أدناه :

(أرجو أن يكون مقالي هذا معيناً ، حتى نعيد تقييم مؤسسة هامة ، يفترض أن يراعي فيها التوازن المطلوب بين عدم إهدار حقوق الإنسان ، وبين مهمتها كمؤسسة عقابية الغرض منها إصلاح الأفراد ، حتي يسهموا إيجابياً في المجتمع ، لدى خروجهم منها . ولكن السجون في العهد الماضي ، إستغلها ضعاف النفوس فاضاعوا الحقوق وتلاعبوا بكرامة الإنسان بل بحياته ، ففي ذهني تجربة غريبة على شرف هذه المهنة ، وعلى الخلق السوداني ، سأوردها في السطور التالية ، حتى أصور بعض الحالة التي عانى منها الشرفاء ، والأبرياء المظالم ، الذين زج بهم في غياهب السجون من غير ذنب جنوه ، إبان عهد الإستبداد والطغيان ، والذي سبح بحمده الكثيرون في إدارة السجون ، وأعانوه على الشرفاء وعلى الضعفاء . . ولم يجدوا المحاسبة عن دورهم هذا لأن هذا الشعب يبالغ في النسيان والتسامح .

المعاملة في السجن:-

كانت هذه التجربة إبان فترة إعتقال الأستاذ محمود محمد طه وما تبعه من أحداث محزنة وسوداء في تاريخ السودان . . . وبعد المؤامرة السياسية لإغتيال

الأستاذ محمود، وبعد أن تلي المهلاوي ذلك الحكم الجاهل، الذي إستلمه من القصر- كما ظهر مؤخراً من أوراق المحامي عبد الوهاب (بوب)، خرج الأستاذ محمود إلى كوبر من قاعة المحكمة شامخ الرأس، بعد أن وضعها ذلك الموضع اللائق بها، من الذلة والمهانة، من حيث عدم دستوريته، وعدم كفاءة قاضيه من الناحية الفنية والأخلاقية.

لحقت به في عصر نفس اليوم أحمل وجبة الغداء، وكان الدخول مهمة شاقة، فقد تدافع نحوي الحراس، بقسوة وغلظة غريبين، ولم يخرجني من ثورتهم سواء طلبي لمقابلة ملازم كان يعمل في سجن إدمرمان، أثناء فترة إعتقالي عام 1983م، وعند حضوره أخذ مني الطعام وإعتذر عن إمكانية مقابلي للأستاذ، فقد عرفت منه عرضاً أن الأستاذ كان في مكتب المدير قبل دقائق، والذي طلب منه أن يكتب استرحاماً لرئيس الجمهورية، الأمر الذي رفضه الأستاذ بشدة.

إنصرفت في ذلك اليوم بعد أن أخذت وعداً بالزيارة في صباح الغد، وعدت في اليوم التالي الأربعاء 9/1/1985م، ومعني وجبة الإفطار فحولني ضابط الأمس إلى آخر برتبة مقدم، وبعد معرفة غرضي أخذ يتحدثني عن إستحالة المقابلة، ولكن في أثناء تلك اللحظات دخل أحد الجمهوريين، وكان قد زامله في مرحلة من مراحل الدراسة، فتبدل وجهه وإنطلقت أساريره، ودعى الأستاذ في مكتبه للزيارة.. وفي ذلك اليوم طلبت من المقدم أن أحضر للأستاذ غطاء، وهو عبارة عن فردة الدمور، التي إعتاد إستعمالها، وذلك لكثرة لسع الناموس، الذي ظهر على جسمه، رفع المقدم هذا الأمر إلى مدير السجن، الذي رفضه رفضاً باتاً، فعاد المقدم معتذراً لرفض الطلب، علمت أيضاً أنهم يرقدون على بروش على

الأرض ، فأخذت إذناً بإحضار خمسة (ألحفة) ، وقد فرشها لهم المقدم ، فتنفست الصعداء ولكن سرعان ما تبددت راحتي ، فقد أتى المدير ونزعها منهم ، ولا أدري حتى الآن إن كانت بمخزن السجن أم لا؟!

طلب الأستاذ محمود سراويل أطول من التي كانوا يرتدونها ، والتي كانت في تقديرهم قصيرة ، وغير لائقة ، كما أنها قد بدت ظاهرة الإتساخ ، فوافق المقدم على أن تكون من الدمورية ، ولكن تحت إلحاحي وافق أن تكون من الدبلان . . جهزت عشرة منها وصلهم نصفها ، أما البقية فلا أحد يدري!! .

بعد أيام طلب الأستاذ ماكينة حلاقة ، رفض المدير هذا الطلب ، متزرعاً بقرار منع دخول الأدوات الحادة للمحكوم بالإعدام ، للإعتقاد أنه قد يؤدي بها نفسه ، وأضاف ممتناً (أننا قد سمحنا لكم بلباسات بها تكة) ، مع إنها ممنوعة ، إذ يخشى على المحكوم عليه بالإعدام أن يشنق نفسه بها قال له الأستاذ : (ولكن نحن هل نخشى علينا من مثل هذا السلوك ؟) ، رد المدير السابق بأن هذه أوامر السجن ، يقول قوله هذا متجاهلاً الفرق الكبير بين رجل محكوم عليه بالإعدام في منشور ، ويعلم مصيره ويرفض أن يتنازل أو يسترحم ، وبين أي مجرم يهاب الموت ، أو قد يشنق نفسه في لحظة إضطراب نفسي .

كان الأستاذ يواصل علاجاً للأسنان ، منذ إعتقاله الطويل بجهاز أمن الدولة ، وقد أوصى الطبيب بتجهيز صورة أشعة لإحدى الأسنان . . رفضت إدارة السجن السماح له بالذهاب للمستشفى العسكري ، بحجة أنه محكوم عليه بالإعدام ، وقد أشار طبيب السجن إلى أحد مرضى الأمراض الصدرية ، محكوم

عليه بالإعدام ، والذي كان موجوداً بعيادة السجن حينها ، ويعاني من نوبة ضيق تنفس حادة قال لي : (أنظري لهذا السجن يحتاج لصورة ولكنا لن نخرجه ، لأنه محكوم عليه بالإعدام " الرجل المريض قاتل " ، يعني كأنه يقول : (الأستاذ دا مافي داعي لعلاجه لأنه سيعدم) !!

كنت يومياً عندما أحضر وجبة الطعام للأستاذ والأخوان معه ، ألاقى عنتاً شديداً مع الحراس لأتمكن من إدخالها بالعربة ، شرحت هذا الموقف لإدارة السجن ، فكتب لي المقدم ورقة لإدخال العربة ، ومع ذلك كان علي أن أعرض تلك الورقة على حرس الباب ، كل صباح فيأمرني بغلظة بالإبتعاد عن الباب ، حتى يعرض الورقة على الإدارة . . وبعد الموافقة يعيد إلى الورقة ، لأدخل بالطعام وأضعه في مكتب الملازم وأنصرف !!

ظلت إدارة السجن تعامل الأستاذ كمجرم ينتظر عقوبة الإعدام . . . وكانت تمنع في الزيارة ، وتتابع الزوار ، وتكثر من مضايقتهم ، وإخراجهم في يوم زيارة منتظري الإعدام حسب اللائحة (السبت ، الاثنين ، الخميس) . . فكنا ندخل للزيارة بصعوبة شديدة ، وفي أحد الأيام وبينما كان الأستاذ يخرج من الباب القصير الضيق في طريقه لصالة الزيارة ، إعترض طريقه العقيد محي الدين ، محتجاً على الزوار بقوله : (ناسكم كتار يا أستاذ ودي مظاهرة سياسية) ، وإستغرب الأستاذ لهذا الأمر ورد بإيجاز : (ناسنا حقو إنتو تقدروا ظروفهم) . . هذا مع أن سلطات السجن كانت قد فتحت الباب للزيارة ، ولكن عبارة (مظاهرة سياسية) تلك دساها ، لأنه كان ينوي أن يضعها في تقريره لجهاز الأمن حتى يمنعوا الزيارة وقد فعل . . فقد تناقل رجال الأمن عبارته (أن الجمهوريين ذهبوا للأستاذ

في مظاهر سياسية)، ومن تلك الزيارة الاثنين 14 / 1 / 1985م، منعت زيارة الأستاذ، ولم يقابل أحداً حتى تنفيذ الحكم عليه.

كان يوم الثلاثاء 15 / 1 / 1985م، يوماً غريباً إنقلب السجن رأساً على عقب، فبمجرد وقوفي أمام الباب، قوبلت بعاصفة من الهياج وإنتهرني الحارس، طالباً أن أرجع بالعربة إلى أبعد مكان. . ووقفت بعيداً حائرة لا أدري ماذا أفعل ومعني الطعام وهاجس في نفسي بأن في الأمر شيئاً. . إنتزع الحارس ورقة الدخول من يدي عندما قدمتها له ودخل المباني وعاد من دونها، ليقول لي (قالوا ليك أدينا الأكل وأمشي). . أخذ الأكل لكنني ظللت واقفة، في حر الشمس لعلني ألتقط بعض الأخبار، أو يعود الحارس بجديد (في هذا اليوم عرفت الدوائر القريبة، أن نميري قد أيد حكم الإعدام). . لم يجد إنتظاري شيئاً إذ إختفى ذلك الحارس وجاء آخر إنتهروني بشدة أن أبتعد فرأيت أن لاطائل من وراء ذلك، طلبت مقابلة المدير لأستفسر عن ما يحدث فرفض طلبي، أخيراً فكرت أن أذهب مع أحد الأخوان الجمهوريين الذين تربطهم صلة قرابة بالمدير، لمقابلته في منزله، لعلنا نصبل لإسلوب مناسب في التعامل، وبالفعل وصلنا منزله حوالي الساعة الرابعة والنصف عصراً، فقابلنا بترحاب وهدوء، فشرحنا له الموقف فإستنكر سلوك الحارس. . وقال (الأستاذ طبعاً رجل سياسي، وهذه مسألة عادية وستنتهي)، ووعد بإعطائي كرتاً للدخول في صباح الغد. . حضرت في صباح اليوم التالي على حسب وعده، فإذا بالحراس أكثر سوءاً من الأمس، فطلبت مقابلة المدير، بعد أن قدمت البطاقة التي أعطاني لها. . وكانت دهشتي عظيمة، عندما وجدت مدير الأمس متغيراً، وكررت بأن طعام الأستاذ ينتظر في العربة خارج السجن. .

عندها إستدعى الملازم المسئول عن الإدارة، والذي وقف محيياً بطريقة مسرحية، فأمره بأن يكتب إذناً بإدخال الطعام. كنت أنتظر في مكتب الملازم فأمرني بالخروج والانتظار خارج مكتبه ثم جهز لي ورقة عليها إمضاءه تقول (يسمح لها بإدخال الطعام يومياً مرة واحدة فقط).

صاح الملازم من ورائي للحارس (تدخل الطعام فقط من غير عربة) قلت : (كيف) فرد (ما عارف)، عندها رجعت للمدير، وأخبرته بما حدث، وسألته ماذا تعني ورقته لي؟ قال لم أكتبها أنا، قلت ولكن كتبت بتوجيهك، فقال محتدأً إنني عايزة تتكلمي كلام فارغ؟، قلت هذا مجرد سؤال ثم أين الكلام الفارغ في حديثي، هنا سألني: (إنتي حسه دخلتي كيف؟) قلت: (هذا سؤال جاء متأخراً، لماذا لم تسألني منذ البداية، وإذا ما رجعت ثاني هل كان موضوع دخولي سيظل غير مهم)، عندها قفز إلى موضوع آخر قال: (بالمناسبة كلمي جماعتكم مايتبعوا بكرة زيارة مافي) قلت لماذا؟ قال: (تعليمات)، لم يغير صيغة الورقة، فتركته بعد أن شعرت بعدم جدوى الحديث معه... لحق بي بعض المساجين عند الباب، وأخذوا الطعام..

أصبح من الضروري أن نصل إلى الجهة التي أصدرت تلك التعليمات، لعلنا نصل إلى إلغاء هذا القرار الجائر، ونجلي الغموض الذي خيم على الموقف، فنحن لانعرف إذا كان الأستاذ موجوداً في السجن أم لا..

لم يكن أمامنا غير مقابلة مدير عام السجون، فإتجهت ومعي أحد الأخوان القانونيين في صباح الخميس 17/1/1985م، محاولين مقابلته، ظللنا قرابة

الثلاث ساعات نتجول بمكاتب اللواءات، الذين تهربوا منا جميعاً، بعد أن عرفوا غرضنا من طلب مقابلة مدير السجون . . شعرنا بأن هناك حركة إجتماع وهمس، لم يسعف اللواءات ذكائهم في إخفاء أن هناك أمراً قريباً يخصنا، مؤخراً عرفنا أن ذلك الأمر كان الإعداد لتنفيذ حكم الإعدام في اليوم التالي . تحت إصرارنا على المقابلة، وحوالي الساعة الثانية والنصف ظهراً، تمكنا من مقابلة مدير السجون . . وسأكتفي هنا بإيراد أهم أجزاء المقابلة كما هي، حتى يحكم الشعب السوداني على هذا النموذج، إبتدريته بأننا جئنا بخصوص الأستاذ محمود محمد طه، المعتقل حالياً بسجن كوبر، فقال غاضباً (مالو مالو؟!) فقلت له أن زيارته منعت، وهو كما تعلم محكوم عليه بالإعدام، ومنع الزيارة في هذه الحالة أمر غريب . . فقال (الزيارة في كوبر هذه الأيام ممنوعة)، قلت له أخبرنا مدير سجن كوبر أن زيارة الأستاذ محمود، وحده التي منعت، قال (كل السجناء) وأخذ هذا الموضوع فترة جدل بيني وبينه، فغير حديثه فجأة وقال: (كل محكوم بالإعدام زيارته ممنوعة). قلت له كيف تمنع زيارة محكوم بالإعدام، وهو أولي الناس بالزيارة، أكثر من هذا فإن له حق إنساني، بالإضافة إلى ذلك، هنالك لافتة بالبوابة الشرقية للسجن تقول (زيارة محكومي الإعدام السبت، الاثنين، الخميس)، قال لا توجد أي لافتة بهذا المعنى قلت: لو كان في متسع من الوقت لأحضرتها لك . . وأردفت: على أي حال نحن لانفهم سبباً لمنع الزيارة، ونعتقد أن هذه تصفية سياسية، وليست عملاً قضائياً ولا إدارياً، ونحن نريد أن نعرف الجهة التي أوقفت الزيارة قال: (إن الزيارة تمنع لأسباب صحية، أو أسباب أمنية أو لظهور وباء) قلت له: قد تكون أسمعنا اللاتحة ولكن ما الذي حدث الآن، وبالتحديد حتى تمنع زيارة الأستاذ، هل وقع وباء مثلاً؟ قال مابوريكم وما من

حقكم تعرفوا!!، عند هذا الحد من الحديث، رأيت أن أعطى الفرصة للأخ القانوني المرافق، ليتكلم فقد كنت محتدة بعض الشيء، وقد يكون هذا سبب هياج المدير.. قال الأخ الجمهوري أنا قانوني وسياسي، وأريد أن أعرف سبب منع الزيارة؟ إن كانت أسباب إدارية فقد بدأنا معكم من سجن كوبر، وأن كانت هناك أسباب سياسية فأنا أستطيع أن أعالج هذا الموضوع، بوصفي سياسي. فرد عليه المدير وبنفس الحدة (ما بوريكم إنتو ليه مصرين تعرفوا، ما من حقكم تطالبوني). فإلتفت إلى الأخ الجمهوري، وقال أحسن نكتفي بهذا القدر، وإنصرفنا بغرض التنظيم لإصدار منشور نوضح فيه الأمر للشعب، ولكنى أعتقلت بمجرد وصولي للمنزل..

مدير سجون.. أم أمير مؤمنين:؟!

بعد إذاعة بيان نميري بتأييد الحكم، أذيع بيان من مدير السجون يعلن فيه ساعة تنفيذ الحكم فدهشت لمدى إلتواء الرجل، فقد كان يخادعنا في المقابلة وبييت أمراً..

هذا ماجرى للأستاذ محمود الرجل المناضل، الشريف، من المسئولين في سجن كوبر، إذ إستهوتهم السلطة الفاجرة، وأذلهم سلطان إمامهم الجائر فأختاروا لأنفسهم مواقف الخزي والعار.. وفي يوم تنفيذ حكم الإعدام، وقف مدير المؤسسة، والذي طالبت الجماهير، بفتح ملف سجون، كما جاء في جريدة الصحافة 13/5/1985م، وقف ليقرأ على سيد الشهداء وزعيم الزهاد، آيات وأحاديث عن قتل المرتد (جريدة الأيام العدد رقم 460 - 11 السنة 32 بتاريخ 19/1/1985م الموافق السبت 27 ربيع الثاني 1405هـ).

مدير السجون هو أيضاً مسئول عن اغتيال الأستاذ محمود:..

تم تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود، تحت إعداد وإدارة مدير السجون، وعمر الأستاذ (76 عاماً)، والمادة من قانون الإجراءات الجنائية لعام 1983، تنص على: (لا يجوز تنفيذ عقوبة الإعدام على من جاوز السبعين من عمره، إذا تبين لمدير السجون أن المحكوم عليه قد بلغ السبعين قبل تاريخ تنفيذ العقوبة فيجب عليه وقف التنفيذ وإبلاغ ذلك إلى رئيس المحكمة العليا)، بهذا يكون مدير السجون قد خرج على مهنته الأساسية في تطبيق القانون، والحفاظ على أرواح المواطنين، وماذا إلا إرضاء للسلطة السياسية.. فقد أذلتهم وحرمتهم من مواقف الرجال الأحرار.. لكن لاضرير (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) إنتهى.

بتول مختار محمد طه الدراسات العليا – جامعة الخرطوم).

إنتهى المقال.

مقال بقلم هنري كودري مجلة "جون أفريك" JEUNE AFRIQUE

بتاريخ 22 مايو 1985م

هذا المقال كتبه السيد هنري كودري ، وهو معلم للغة الإنجليزية ، كان يعمل وقتها في أبيدجان (ساحل العاج) ، وقد كان قبلها يعمل في تشاد ، وقد زار السودان في الأعوام 1973-1974 ، إذ كان متفرغاً لكتابة بحث حول التيارات الدينية في السودان ، وبهذه الصفة كان يزور الأستاذ محمود كثيراً في منزله . . تأثر كثيراً بحياة الأستاذ محمود العميقة ، المتواضعة ، وقد هزه حادث الإغتيال ، فكتب في مجلة جون أفريك العدد 1256 بتاريخ 22 مايو 1985 ، مقالاً يتحدث فيه عن محمود كما عرفه (وأسماء غاندي السودان) .

فيما يلي نصه :

"محمود طه كما عرفته"

إن أول ما يسترعي الإنتباه في شخصه ، هو ذلك الجمع ، بين ألطف صور التواضع ، وبين قوة لاتلين . . يرتدي ببساطه شديدة لباساً قطنياً أبيضاً مألوفاً ، ويلبس فوق سرواله الخفيف ، المتدلي على السافين ، قميصاً يصل إلى ركبتيه ، ويترك الساعدين مكشوفين . . حليق الرأس ، وتغطيه الطاقية الإسلامية المعروفة . . حينما يغادر مكتبه ، يلتف بثوب قطني خفيف ينحدر من الكتف الأيسر ، إلى الفخذ الأيمن ، تاركا الصفحة اليمنى مكشوفة ، وماراً على الكتف الأيسر ثانية ، ثم الرقبة ، ليتدلى على الصدر بذيل غليظ . .

ثيابه الخفيفة تكشف عن جسم قوي ذي أطراف عازلة، قصير القامة، متين البنية، يعطي إنطباعاً نادراً من الحيوية بقبضة يده القوية لدى المصافحة، ونظرته الثابتة التي يخفف من حدتها ابتسامة بشوشه تنير الوجه كل حين .

هيئته التي تتسم بالهدوء والإطمئنان، تخفي إستعداداً دائماً دائماً للحركة والنشاط . كان الأستاذ يجود بنفسه في منتهى البساطة . أثناء الوجبات (كان) يحرص على ألا ينقص شيء أمام أحد، يوزع الصحون، ويسكب الماء بنفسه لغسل أيدي ضيوفه . . وأثناء الاجتماعات يتخذ مكاناً في مدخل القاعة، على مقعد لا يتميز عن المقاعد الأخرى، ويهتم بأن ينقل كرسيّاً أو وسادة ليقدمها إلى المتأخرين في الوصول لحضور الاجتماع . .

كان أبعد من أن يلعب دور راهب بوذي، فيستأثر بالكلام، لايتدخل في الاجتماعات العامة، إلا ليوجه المناقشات في الخط الصحيح للنقاش، ويشجع على الحوار والتباحث . هو مرشد وليس عقائدياً، رجل عمل وليس منظراً . تلاميذه وأصدقاؤه يدعونه "الأستاذ" وهو لقب ترجمته الحرفية التي تعني "المعلم" تحمل المفاهيم المركبة من الإحترام الودي ومقتضيات العلمانية .

لم يكن "محمود محمد طه" قد خرج من طبقة رجال الدين . . هو مهندس في الري كان على أثر اعتقاله لمدة عامين بسبب معارضة للإنجليز قد بدأ عملاً في الإصلاح الديني والاجتماعي منذ بداية الخمسينات .

ماركس وأنجلز كالفرازي:-

مدرسته الدينية والقانونية الوحيدة، كانت تلك الفترة الطويلة من الإعتكاف التي عرف كيف يستغلها، لينقطع إلى التفكير والتأمل الصوفي .

أساتذته لم يلتق بهم في أي مؤسسة رسمية ، وإنما التحق بمدرستهم كرجل عصامي ، وفي بحث فردي حثيث عن أسلوب جديد . على الصعيد الصوفي تأمل طويلاً في القرآن ، وعكف على الممارسة الصوفية (" صلاة الثلث الأخير من الليل " ، وهي عزيمة على كبار الصوفية المسلمين ، وقد غدت واحدة من الممارسات المفضلة لتلاميذه) .

وعلى الصعيد الفكري وجه أبحاثه في اتجاهين : دراسة كبار المفكرين في الإسلام ، الأكثر منهم تقليدية كالغزالي ، أو الأكثر تجديداً مثل ابن عربي ، مروراً بأكثرهم سموفاً كالخلّاج ، ذي الأثر المحسوس ، في فكرة الصلاة ، والصيام ، والحج ، عند " محمود محمد طه " . أيضاً دراسة التيارات الفلسفية المعاصرة دراسة كافية . للرجوع حتى لأعمال كبار الفلاسفة (" رأيت في أحد الأيام " ، على طاولة عمله ترجمة إنجليزية لكتاب " بؤس الفلسفة " لكارل ماركس ، وكذلك كتاب " دايكتيك الطبيعة " لفردريك إنجلز) .

على الصعيد الاجتماعي تفرغ " محمود محمد طه " لإعداد أتباعه ، جاعلاً منهم مجتمعاً مهيباً ، ليكون مكاناً لإنبثاق نظام اجتماعي جديد ، كما أنه لم يترفع عن النزول إلى حلبة السياسة ، فأسس حزباً يدعى " الحزب الجمهوري " هذا الاسم الذي ظل مرتبطاً بأتباعه حتى بعد حل الحزب .

كان جم النشاط ، ألف حوالي 38 كتاباً وكتيباً صغيراً . . وهذه ليست قائمة كاملة لأنها تتوقف عند شهر سبتمبر 1979م ، تاريخ مروري الأخير بالخرطوم . منها كتب محترمة ، مطبوعة ، تتجاوز المئتي صفحة . . ومنها منشورات

مستنسخة تتراوح بين ثلاثين وأربعين صفحة ، وهذه بمثابة عروض متابعة لفكره أو منشورات تتناول الأحداث المتجددة .

وهذا بصورة موجزة ، نظام " محمود محمد طه " الذي نجده معروضا في كتاب " الرسالة الثانية من الاسلام " ، وهو كتاب من 166 صفحة ، صدر في عام 1967م ، وطبع عدة مرات منذ ذلك الحين .

رسائل الإسلام:-

إن الدين أساساً واحد وهذه الوحدة إنبثقت عن الأصل الإلهي للكون وللإنسان . ولكن الإنسان بسبب إستعماله السيئ لحرية ، قد وقع في جهل منعه عن مشاهدة الأصل الإلهي لوجوده وللكون . ومنذ ذلك الوقت ، فإن الأديان المختلفة التي تعاقبت على وجه الأرض كانت مراحل لإسترداد هذه المعرفة ، وهذه الحرية الأساسية من الجهل ، ومن الخوف والعنف .

فالإسلام هو المرحلة الأخيرة من هذا الإسترداد . ولكن ليس بالشكل الذي ظل معاشاً حتى أيامنا هذه ، والذي لم يكن غير " الرسالة الأولى من الإسلام " .

إن الإسلام الحقيقي والأخير ، هو " الرسالة الثانية " التي دعا إليها " محمد " في مكة ، والتي كانت قد نسخت مؤقتاً بتعاليم المدينة . ففي الواقع ، عندما بدأ " محمد " في نشر رسالته ، فقد دعا إلى الدين الكامل ، الذي يركز على مسئولية ، وعقل أعضائه ، ويدعو إلى حريتهم . ولكنه إضطرب بعد الهجرة من مكة إلى المدينة ، ولأسباب تعليمية ، أن ينزل إلى مستوى تخلف النمو الثقافي ، والديني ، في ذلك

العصر . فدعا من ثم إلى دين يدعو إلى الإيمان أكثر منه إلى العلم ، وإلى قانون يقوم على الإكراه ، أكثر من الإدراك المستول .

لقد ظل المسلمون يعيشون في مستوى هذه الرسالة الأولي حتى الآن . ولكن منذ اليوم ، ونظراً للتقدم الذي حققته الإنسانية ، فقد حان الوقت للانتقال للرسالة الثانية . وينبغي الآن الانتقال من القانون الأول (الشرعية) التي قامت في المدينة على "فروع الدين" ، من أجل إقرار القانون الثاني الذي يتوافق مع الإسلام الكامل ، ويستلهم "أصول الدين" تلك التي غرسها "محمد" في مكة .

من هنا تأتي محاولة بعض المفكرين المسلمين ، ومن بينهم "محمود محمد طه" إيجاد إسلام أكثر "نقاءً" وأكثر "تديناً" وأعلى من الإسلام الذي كان "أكثر سياسة" في المدينة .

وهكذا في التشريع الجديد ، ليس هناك جهاد ، ولا رق ، ولا رأسمالية ، ولا عدم مساواة بين الرجل والمرأة ، ولا تعدد في الزوجات ، ولا طلاق ، ولا لبس حجاب ، ولا فصل بين الجنسين (هذه هي تقريباً عناوين الفصل المتعلق بالتشريع ، في الرسالة الثانية من الإسلام) . إذن بينما كان الإسلام في بداياته ، أقرب لليهودية في تشديدها (العين بالعين ، والسن بالسن) فإنه في هذا الوقت يكون أقرب إلى الروحانية المسيحية "من صفحك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر) ، بيد أنه يضيف إلى المسيحية عقلانية كبرى ، حيث يهتم ، على العكس منها ، بالأوضاع الواقعية ، الأخلاقية والاجتماعية ، والتي هي بمثابة سلم يساعده ، هو وحده ، للوصول إلى قمة الحرية والحب الكاملين .

هذه العقلانية في الإسلام، في رسالته الثانية، تبدوا أخيراً في التنظيم الاجتماعي الذي تقيمه. فالمجتمع الإسلامي الصحيح يوحد في آن معاً بين الاشتراكية والديمقراطية. الاشتراكية لأنه يكفي الحاجات المادية للجميع، وفي المساواة. والديمقراطية، لأنه يتيح الحرية لكل فرد، أن يسلك كما يريد وفقاً لما تمليه عليه مسئوليته.

مهدويون مع محمود:-

وبسبب موقفه الرافض للشريعة، ودعوته لتشريع جديد، فإن "محمود محمد طه" قد حكمت عليه في عام 1968 م، محكمة دينية بأنه مرتد، ولكن هذا الحكم لم يخرج من المجتمع. ولقد تسنى لي مشاهدة البرهان على ذلك أكثر من مرة، لاسيما أثناء عقد زواج بين أثنين من تلاميذه، حسب مراسيم وضعها هو. فمع أن غالبية المدعويين إلى حفلة الزفاف كانوا من المسلمين التقليديين، فإني لم ألاحظ علامة معارضة من جانب هؤلاء، كما أن الإحتفال قد تميز بخطبة تناولت العلاقات بين الرجل والمرأة، في الرسالة الثانية من الإسلام.

حتى وإن كانت غالبية المسلمين السودانيون تنظر إليه كمبتدع، فإن هنالك أكثر من واحد، وليس من الدين، لا يخشى إعلان ميوله إلى أفكار "محمود محمد طه" مثل حفيدة خليفة المهدي التي (شهدتها) تعبر علانية عن إنتمائها إلى أفكار الأستاذ "محمود محمد طه" في حضور أسرته المجتمعمة، وهي من القطاع التقليدي في حزب الأنصار، دون أن تجدد الأسرة ما تقوله في هذا الصدد - اسم الأنصار في السودان يطلق على الذين ساندوا المهدي، في نهاية القرن التاسع عشر، وعلى الذين إنحدروا منهم - وعبارة أخرى هؤلاء هم المهديون.

في بيت الأخوان:

ولكن بصورة أكثر مودة من دائرة هؤلاء المتعاطفين ، قل تعاطفهم أو أكثر ، هناك دائرة التلاميذ التي خارجها لا يمكن التقدير الحقيقي لخصوبة منهجه وعمله الاصلاحى . هؤلاء التلاميذ يمثلون الذرية الروحية لهذا الرجل ، الذي كان قبل كل شئ ملهماً ومرشداً .

هؤلاء " الأخوان " و " الأخوات " كما يسمون أنفسهم ، هم من بصفة عامة قد جاءوا من أوساط على درجة كافية من الثقافة ، ويتشرون بوجه خاص بين الجامعيين والموظفين وإنتماؤهم إلى الحركة ، يتطلب جهداً مزدوجاً من التحول الفردي وحياة النضال في المجتمع . بعض هؤلاء الرجال وهؤلاء النساء ، يعيشون قبل زواجهم فترة خلوة (عاماً أو عامين وأحياناً أكثر) في منزل من " منازل الأخوان " . في سنة 1973 كان يوجد ثلاثة من هذه المنازل في الخرطوم ، وكذلك في ثلاثة مدن أخرى في السودان ، حيث يعيش الرجال والنساء وقتاً من " التبتل " ، وذلك يعني الإنقطاع عن العالم ، والتفرغ لله ، ويتضمن بصورة خاصة العفة الجنسية . ويسكنون في منازل منفصلة ولكنها على مقربة من بعضها للأخر لتيسير اللقاءات .

مخلص حتى النهاية:

في وسط هذه المجموعات يتدرب الأفراد على معيشة قيم " الرسالة الثانية من الإسلام " بأداء الصلاة الفردية والجماعية ، وخاصة في " الثلث الأخير من الليل " كعادة الصوفية وأصحاب الطرق ، وبإقتسام ما يمتلكون ، يدفع جزء من مرتباتهم لسد إحتياجات الجماعة . ويتدرب الأفراد على معيشة تلك القيم بالعمل

الإجتماعي، في مجال التوعية، مثل تنظيم إجتماعات للفكر والمناقشات وتوزيع مؤلفات الأستاذ، "محمود"، في الطرقات، ولقد شرح لي ذات مرة وظيفة هذه المنازل فقال: "إنها عن طريق التبتل تمكن من ترقية المجتمع بشكل لولبي متصاعد ويأخذ في الإتساع، حيث يمارس الفرد العبادة خلال الليل، ويمارس العمل الإجتماعي خلال النهار. وهذا هو المكان المثالي لإعداد مجتمع جديد".

هكذا كان "محمود محمد طه"، صادقاً مع نفسه، فكان قد ملك من الكرامة والشجاعة ليبقى مخلصاً لإلتزاماته حتى النهاية. في لحظة تقديمه للإعدام... صليت من أجله. فمحمود أخ المصلوب أخي!

هنري كودري (إنتهى).

المدن والقرى التي طاف عليها الأستاذ بنفسه محاضراً ومبيناً المنهاج لبعث الإسلام من جديد:-

مركز نشاطه الاساسي كان أمدرمان، الخرطوم، والخرطوم بحرى، في إطار هذه المدن حاضر في توتي، ابروف، حي العمدة، ودرملي، وادي سيدنا، الجيلي، العيلفون، الحاج يوسف، عد حسين، كما طاف على المدن التالية:-

مدني، رفاعة، الحصاحيصا، الهلالية، المنذرة، المسلمية، حتوب، ود المجذوب، الشيخ الطيب، أربجي، خورطقت، أب حراز، المدينة عرب، الحاج عبد الله، سنارالتقاطع، سنارالمدينة، سنجة، الرصيرص، الدمازين، السوكي، القصارف، حلفا الجديدة، الشوك، الحواتة، خشم القربة، كسلا، جببت، هيا، سواكن، سنكات، طوكر، بورتسوان، شندي، الدامر،

عطبرة، بربر، الباقوة، العبيدبه، كوستي، تندلتي، ربك، كنانة، الرنك،
الرهـد، أم روابه، ودعشانه، الدويم، القطينة، الكوة، الأبيض، رشاد،
أبوجبيـهه، كلوقي، تلودي، الدلنج، العباسية ثقلي، كادقلي. وقد ارسل
وفداً كبيراً إلى الشمالية تبعته وفود أخرى من الجمهوريين، وقد كان النشاط في
هذه المدن يشمل الجامعات والمدارس الثانوية العليا والأندية الثقافية والرياضية
والعمالية، وكذلك الندوات في منازل الأصدقاء، وكان يحدثني ان له رغبة اكيدة
في القيام على رأس وفد إلى اقصى شمال السودان إلى دنقلا، ولكن إنشغاله بنشر
الدعوة في أواسط السودان والمدن الكبيرة وتتابع الأحداث حال دون ذلك .

المحاضرات التي قدمها الأستاذ:

قدم العديد من المحاضرات تحت العناوين التالية :-

- (1) الرسالة الثانية من الإسلام
- (2) رسالة الصلاة
- (3) لا إله إلا الله
- (4) الثورة الثقافية
- (5) ثورة أكتوبر
- (6) تطوير شريعة الأحوال الشخصية
- (7) الإسلام والفنون
- (8) تعلموا كيف تصلون
- (9) الماركسية في الميزان
- (10) التحدي الذي يواجه العرب

- (11) الدين والتنمية الإجتماعية
- (12) الإسلام برسائله الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين
- (13) الدعوة الإسلامية الجديدة
- (14) مشكلة الشرق الأوسط
- (15) الإسلام وإنسانية القرن العشرين
- (16) الدين ورجال الدين عبر السنين (هي عبارة سلسلة من المحاضرات تحت هذا العنوان تحوي نماذج مختلفة)
- (17) بيننا وبين محكمة الردة
- (18) طريق محمد
- (19) الإستقلال وقضايا الساعة
- (20) الموقف السياسي الراهن (ألقى العديد من المحاضرات تحت هذا العنوان هذا العنوان)
- (21) ماذا بعد الإنتخابات .
- (22) الأستاذ يحدث النساء في حقوقهن .
- (23) أسس حماية الحقوق الأساسية .
- (24) 7 أسطرة كاسيت (تحدث فيها عن تبسيط الدعوة)
- (25) مواضيع أخرى مختلفة .

مؤلفات الأستاذ:

كتب الأستاذ مايربو على الخمسة وثلاثين كتاباً شارحاً ومبيناً فيها الدعوة الجديدة التي تقوم أساساً على أن للقرآن أصول وفروع . . كما أشرف على ما يزيد على المئة منشوراً وكتيباً صغيراً كانت تخرج ممهورة بأسم الأخوان الجمهوريين تحت إشرافه وتوجيهه ومراجعته كلها فيما يلي رصد لها :-

قائمة المطبوعات 1945 – 1980 :-

رقم	اسم الكتاب	تاريخ الطبعة
1	السفر الأول	أكتوبر 1945
2	البيان الذي ألقاه رئيس الحزب في الاجتماع العام	1951
3	قل هذه سبيلي	1952
4	أسس دستور السودان	ديسمبر 1955
5	الحزب الجمهوري يقف على حوادث الساعة	1958
6	الحزب الجمهوري يرسل خطاباً لمحمد نجيب وآخر للرئيس جمال عبد الناصر	1958
7	الإسلام	مارس 1960
8	رسالة الصلاة	يناير 1966
9	طريق محمد	مارس 1960
10	الرسالة الثانية من الإسلام	يناير 1967
11	التحدي الذي يواجه العرب	سبتمبر 1967
12	مشكلة الشرق الأوسط	أكتوبر 1967
13	الدستور الإسلامي ؟ نعم ولا	يناير 1968
14	زعيم جبهة الميثاق الإسلامي في ميزان : (1) . الثقافة الغربية 2 .	1968
15	الإسلام برسائلته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين	يناير 1967
16	بيننا وبين محكمة الردة	يناير 1967
17	أسس حماية الحقوق الأساسية	مارس 1969
18	لا إله إلا الله	مايو 1969
19	أسئلة وأجوبة الكتاب الأول	يناير 1970
20	القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري	يناير 1971

يناير 1971	خطوة نحو الزواج في الإسلام	21
نوفمبر 1971	أسئلة واجوبة الكتاب الأول والكتاب الثاني	22
يناير 1971	تطوير شريعة الأحوال الشخصية	23
مايو 1972	الثورة الثقافية	24
مايو 1972	تعلموا كيف تصلون	25
ابريل 1973	رسائل ومقالات الكتاب الأول	26
مايو 1973	رسائل ومقالات الكتاب الثاني	27
مايو 1973	الله نور السموات والأرض	28
يوليو 1973	الإسلام وإنسانية القرن العشرين	29
اكتوبر 1973	الماركسية في الميزان	30
مارس 1974	الإسلام والفنون	31
سبتمبر 1974	الدعوة الإسلامية الجديدة	32
ديسمبر 1974	الدين والتنمية الإجتماعية	33
1975	لقاء إذاعي مع الأستاذ محمود محمد طه	34
فبراير 1976	من دقائق حقائق الدين	35

كُتِيبَاتُ الْأَخْوَانِ الْجُمْهُورِيِّينَ الَّتِي أَشْرَفَ عَلَى إِخْرَاجِهَا :-

اكتوبر 1973	أضواء على شريعة الأحوال الشخصية	36
1973	قضايا كوستي هدية لشعبنا	37
1973	إتحاد نساء السودان وقضية المرأة	38
1974	الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشئون الدينية	39
1975	عام المرأة العالمي	40
يناير 1975	صفوا قضاة دوائر الأحوال الشخصية	41
فبراير 1975	الزّي عنوان عقل المرأة وخلقها	42
مارس 1975	الواجبات قبل الحقوق	43
ابريل 1975	الإختلاط بين الشريعة والدين	44
فبراير 1975	بيت الطاعة المشكلة والحل	45
مايو 1975	المؤامرة من جديد	46
مايو 1975	مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية	47
مايو 1975	القضاة الشرعيون أكبر عقبة أمام عودة الدين	48
يونيو 1975	قانون وقضاة الأحوال الشخصية قصور عن الشريعة وتخلف عن العصر	49
يوليو 1975	وقائع قضية بورتسودان - الكتاب الأول	50

يوليو 1975	51	وقائع قضية بورتسودان - الكتاب الثاني
يوليو 1975	52	وقائع قضية بورتسودان - الكتاب الثالث
يوليو 1975	53	وقائع قضية بورتسودان - الكتاب الرابع
يوليو 1975	54	وقائع قضية بورتسودان - الكتاب الخامس
يوليو 1975	55	وقائع قضية بورتسودان - الكتاب السادس
يوليو 1975	56	وقائع قضية بورتسودان - الكتاب السابع
يوليو 1975	57	وقائع قضية بورتسودان - الكتاب الثامن

النائب العام والتدخل في قضية بورتسودان

يوليو 1975	58	الدين ورجال الدين عبر السنين
اغسطس 1975	59	المرأة في أصول القرآن
اغسطس 1975	60	الصلاة وسيلة وليست غاية
اغسطس 1975	61	خروج الفقه عن الدين
اغسطس 1975	62	الغربة في الدعوة الإسلامية الجديدة
اغسطس 1975	63	الصوم توأم الصلاة
اغسطس 1975	64	النائب العام وقضية بورتسودان ومفترق الطرق

قضية بورتسودان البداية والنهاية

اكتوبر 1975	65	المرأة مكانها البيت؟؟
نوفمبر 1975	66	تعدد الزوجات ليس أصلاً في الإسلام
نوفمبر 1975	67	الطلاق ليس أصلاً في الإسلام
نوفمبر 1975	68	الذكرى السابعة لمهزلة محكمة الردة
نوفمبر 1975	69	أصول الإسلام وفروعه
ديسمبر 1975	70	المرأة والدعوة إلى الدين
ديسمبر 1975	71	ماذا حققت المرأة في عام المرأة؟
ديسمبر 1975	72	الإسلام رسالتان
يناير 1976	73	عام الطفل العالمي
فبراير 1976	74	علماء بزعمهم (الكتاب الأول)
فبراير 1976	75	علماء بزعمهم (الكتاب الثاني)
فبراير 1976	76	الإختلاط والجامعة الإسلامية
فبراير 1976	77	ليسوا علماء السودان وإنما علماء آخر الزمان
فبراير 1976	78	التهاافت
فبراير 1976	79	عام الطفل العالمي (التعليم)

الطفل والتغذية

ابريل 1976	قضية بورتسودان البداية والنهاية	80
ابريل 1976	ازمة الوعي والحرية بجامعة الخرطوم	81
ابريل 1976	تجديد الدعوة إلى طريق محمد	82
ابريل 1976	الأخوان الجمهوريون في جريدة الأهرام المصرية	83
ابريل 1976	المنشور الثالث - تماسك الجبهة الداخلية لإحباط تأمر الشيوعية الدولية	84
مايو 1976	The Religion of man: a new conception of Islam	85
مايو 1976	لماذا نؤيد سلطة مايو	86
مايو 1976	المنشور الرابع خذوا حذرکم الشيوعية الدولية هي الإستعمار الجديد	87
مايو 1976	المنشور الخامس رسالة إلى الصادق والهندي والشيوعيين والبعثيين	88
مايو 1976	المنشور السادس _ بيانات نقابة المحامين وجمعية القانون	89
مايو 1976	نحن نتهم شريعة الأحوال الشخصية	90
مايو 1976	معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية خلال ثلاثون عامًا (الكتاب الأول)	91
مايو 1976	معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية خلال ثلاثون عامًا (الكتاب الثاني)	92
مايو 1976	ماذا قال الأستاذ محمود عن الصلاة	93
مايو 1976	مؤتمر فتح العاصمة	94
مايو 1976	المنابر الحرة	95
مايو 1976	اناشيد في طريق الرجعى	96
مايو 1976	خمر المعاني	97
مايو 1976	An Introduction. to the second message of Islam	98
يونيو 1976	الأخوان الجمهوريون في جريدة الأخبار المصرية	99
يوليو 1976	الطائفية وحوادث الجمعة وعار الأبد	100
يوليو 1976	هل هذا هو الإسلام وهل هذه هي مصر؟	101
يوليو 1976	الأخوان الجمهوريون في جريدة الأخبار المصرية (الكتاب الثاني)	102
اغسطس 1976	الصوم ضياء والصلاة نور	103
سبتمبر 1976	ألحان ومعاني الإنشاد العرفاني	104
نوفمبر 1976	الأخوان الجمهوريون في جريدة الأيام السودانية	105
نوفمبر 1976	أسهمم الوهابية وليس أنصار السنة	106

ديسمبر 1976	الأخوان الجمهوريون في مجلة صباح الخير المصرية	107
أغسطس 1977	الصلح خير	108
سبتمبر 1977	ثورة مايو وعودة أكتوبر	109
سبتمبر 1977	الشرعية الإسلامية تتعارض مع الدستور الإسلامي	110
نوفمبر 1977	El Musalaha El Wataniya On National Reconciliation	111
نوفمبر 1977	المرأة الإنسان	112
ديسمبر 1977	الصادق المهدي والقيادة الملهمة والحق المقدس	113
يناير 1978	أئمة بلا إيمان : عبد الرحمن عبد السلام آخر النماذج	114
يناير 1978	الدكتور حسن الترابي يخرج عن الشرعية بأسم تحكيم الشرعية	115
يناير 1978	لجنة تعديل القوانين لن تفلح إلا في خلق بلبلة	116
يناير 1978	وقائع محاكمة الأمين داود (الكتاب الأول)	117
مارس 1978	وقائع محاكمة الأمين داود (الكتاب الثاني)	118
مارس 1978	وقائع محاكمة الأمين داود (الكتاب الثالث)	119
ابريل 1978	وقائع محاكمة الأمين داود (الكتاب الرابع)	120
ابريل 1978	وقائع محاكمة الأمين داود (الكتاب الخامس)	121
ابريل 1978	خلف الله الرشيد وقامة رئيس القضاء	122
ابريل 1978	هذا هو الشيخ الأمين داود محمد : أقرأوا وأحكموا	123
مايو 1978	تعلموا كيف تجهزون موتاكم	124
مايو 1978	وقائع محاكمة الأمين داود (الكتاب السادس)	125
يوليو 1978	الدين ونحن وعون الشريف	126
أغسطس 1978	الأخوان الجمهوريون في مجلة صباح الخير مرة أخرى	127
أغسطس 1978	هؤلاء هم الأخوان المسلمون (الجزء الأول)	128
ديسمبر 1978	هؤلاء هم الأخوان المسلمون (الجزء الثاني)	129
ديسمبر 1978	هؤلاء هم الأخوان المسلمون (الجزء الثالث والأخير)	130
ديسمبر 1978	لماذا وكيف خرجت المرأة الجمهورية للدعوة للدين؟؟	131
ديسمبر 1978	مخطط الصادق - الترابي - الهندي لإحتواء نظام مايو	132
ديسمبر 1978	مفارقة الأخوان المسلمين للشرعية والدين	133
ديسمبر 1978	عام الطفل العالمي	134
ديسمبر 1978	Beware: Sadig - Turabi & Hindi are plotting to circumvent the May Regime	135
1979	فتنة إيران	136
1979	الطفل والسنة النبوية	137
1979	المنشور الأول - ناقوس الخطر - السودان مستهدف من الشيوعية	138

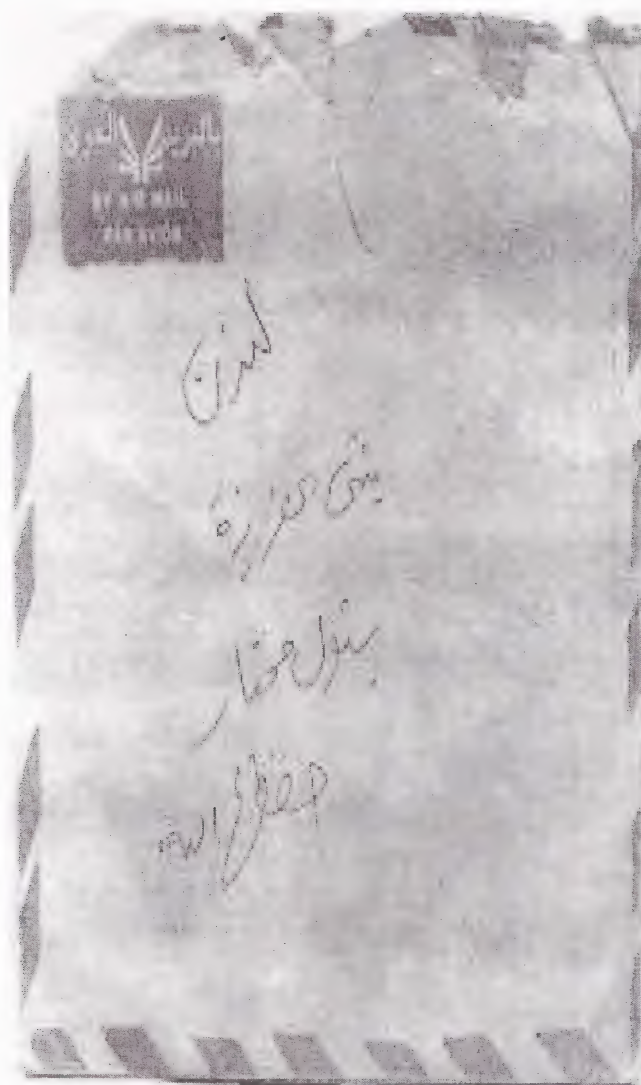
1979	المنشور الثاني - إتفاقية السلام ضد مصلحة الشيوعية الدولية وفي مصلحة العرب -	139
يونيو 1978	الأخوان المسلمون يلعبون على الحبلين	140
يونيو 1978	التعليم	141
يوليو 1978	الأمومة	142
يوليو 1978	الطفل والمجتمع	143
يوليو 1978	الطفل والأسرة	144
يوليو 1978	الطفل والمناهج	145
اغسطس 1978	التغذية وصحة الطفل	146
اغسطس 1978	صلاة التراويح بدعة وصلاة الثلث الأخير من الليل هي سنة القيام	147
اغسطس 1978	هذا برهاننا على صحة دعوتنا	148
اغسطس 1978	الموقف السياسي الراهن يتطلب حكمة السلطة ووعي الشعب	149
اغسطس 1978	ساووا السودانيين في الفقر إلى أن يتساوا في الغنى	150
اغسطس 1978	الطفل ووسائل الإعلام والترشيد	151
اغسطس 1978	لجنة تعديل القوانين يجعلها لحد الخمر تعزيراً تزيف الشريعة وتعوق بعث الدين	152
اغسطس 1978	مقترحات الأزهر للدستور الإسلامي جهالة لا تمثل الدين	153
سبتمبر 1978	الضحية غير واجبة ، لاعلى الفقراء ولا على الأغنياء	154
سبتمبر 1978	تأمر الإخوان المسلمين بحادث المسجد يجب أن لا يجوز على الطلاب	155
سبتمبر 1978	إتحاد الإخوان المسلمين إستغلال للدين وفساد للحياة الجامعية	156
اكتوبر 1978	هكذا تحدثت الدكتورة سعاد الفاتح	157
اكتوبر 1978	سقوط الإخوان المسلمين بجامعة الخرطوم	158
اكتوبر 1978	بداية نهاية الإخوان المسلمين بجامعة الخرطوم	159
اكتوبر 1978	الطفل والمعلم	160
اكتوبر 1978	لتكريم ذكرى اكتوبر اقيموا المنابر الحرة ومهدوا بها لنشر الفكر الرصين وبناء الخلق المتين	161
اكتوبر 1978	الكذب وتحري الكذب عند الإخوان المسلمين	162
ديسمبر 1980	الخميني يؤخر عقارب الساعة	163
ديسمبر 1980	لجنة تعديل القوانين بقانون أصول الأحكام القضائية تنه القضاء وتضعف العدالة	164
يناير 1980	إلى متى هذا العبث بعقول الناس ودين الله؟	165

يناير 1980	الجامعة الإسلامية تعدي على الحريات بأسم الدين	166
يناير 1980	السادات والعرب وسياسة السودان الخارجية	167
فبراير 1980	القانونيون وقضية الساعة	168
مارس 1980	غزو أفغانستان التنفير العريان	169
مارس 1980	هذه ليست بجامعة	170
مارس 1980	يكنيون على الشعب . . ويضلونه بأسم الإسلام	171
مارس 1980	الطفل وللتاهج	172
مارس 1980	أسألوا المدير	173
مايو 1980	الكرسي الساخن ونائب المدير وحوادث الجمعة	174
مايو 1980	رسالة إلى مشايخ الطرق الصوفية	175
مايو 1980	أزمة الجامعة الحل العاجل والحل الآجل	176
يونيو 1980	الهوس الديني يهدد أمن ووحدة الشعوب ويعوق بعث الإسلام	177
اغسطس 1980	لا تفضلوا تربية الشيء باسم الدين	178
اغسطس 1980	اليأس من حكم القاتلون يفتح الطريق للفتنة	179
اغسطس 1980	أربعة أسئلة من الجمهور ولربعة أجوبة من الجمهوريين	180
اغسطس 1980	للزامة والشيوعيين والصادق والهتلتي والأخوان	181
سبتمبر 1980	ماذا يراد بالجامعة ليولد فتنة جديدة ؟	182
اكتوبر 1980	قترح التمثيل النسبي لفتح الخروج من الفتنة	183
اكتوبر 1980	من هم . . . ومن نحن . . . ؟	184
اكتوبر 1980	القضاء للدين في قصص الإتهام	185
اكتوبر 1980	ملعو البديل لنظام مايو ؟!	186
اكتوبر 1980	أبو زيد الوهابي وعنة المساجد	187
نوفمبر 1980	Towards The Second Message of Islam	188
نوفمبر 1980	هذا قرن الهجرة الثانية من المدينة إلى مكة بمناسبة بداية العام الثاني	189
1984	من القرن الخامس عشر	190
1984	الموقف السياسي الراهن	191
1984	الشيعة	192
ديسمبر 1984	دياجة الدستور	193
	هذا . . لو الطوقان (للتشور الأخير)	

المراجع

- 1) القرآن الكريم
- 2) قراءة الأيام (حكايات الاستاذ للمؤلفة عن نفسه وأسرته)
- 3) مشاهدات ومتابعات المؤلفة الشخصية لكثير من الاحداث , وبعض ماحكته
عن طفولته مربيته ربي جود .
- 4) مؤلفات الاستاذ محمود
- 5) كتاب الرسالة الثانية من الاسلام
- 6) تطوير شريعة الاحوال الشخصية
- 7) لا إله إلا الله .
- 8) معالم في طريق تطور الفكرة الجمهورية خلال ثلاثين عاماً , الأول
- 9) معالم في طريق تطور الفكرة الجمهورية خلال ثلاثين عاماً , الثاني
- 10) ثورة أكتوبر
- 11) القرآن ومصطفى محمود ومحاولة لفهم عصري (الرد)
- 12) الدين ورجال الدين عبر السنين
- 13) محمود محمد طه يدعو الى طريق محمد
- 14) قل هذه سبيلي
- 15) رسالة الصلاة
- 16) لا اله الا الله
- 17) ثورة أكتوبر
- 18) بيننا وبين محكمة الردة
- 19) رسائل ومقالات الأول .

- (20) رسائل ومقالات الثاني
- (21) جريدة الجمهورية العدد الأول 1954
- (22) سلسلة قضية بورتسودان
- (23) صحيفة الاضواء السودانية
- (24) التحدي الذي يواجه العرب
- (25) مشكلة الشرق الأوسط
- (26) مجلة جون أفريك
- (27) حوار مع الصفوة - دكتور منصور خالد - مقال دكتور منصور خالد بعد التنفيذ
- (28) القبس الكويتية
- (29) القارديان البريطانية
- (30) صحيفة الصحافة السودانية
- (31) صحيفة الأيام السودانية
- (32) خطابات الأستاذ للمؤلفه



العدد ١١٥١ تاريخ ١٩٧٧/٩/٢٤ - ص ١١٥١ تاريخ ١٩٧٧/٩/٢٤

بغية التوضيح بقول

تقني وعصري

هو أن المصنف يوم ٩/٧ لم يصل إلى مستوى
بعض الأجزاء من الرؤية التي ارتفعت إلى
الاستمرارية التي لم يكن يتوقعها لم تكن له القدرة
فما هي من شأنه صغير في السكون هذا المصنف
ثم أنت لم تكن ما تكرر هذه وأنت ستريه
ما تكرر به من شأنه ١٩٧٧ - ١٩٧٧ - ١٩٧٧
تربية كبيرة من الناحية العلمية ومنه
الدينية والامر وحده الطبيعة الجارية
في هذا من شأنه من شأنه لم يكن يستمر
هذه السيرة الجارية والامر من شأنه
سفرنا في ما وجدنا من شأنه
هذا ليس له الحق واحدة من شأنه
شبه من شأنه نوعه ونفسه لولم يتفهم
التقرير والتقرير أن هذا هو

الحلقه بنشد واقفة لحنی بنفارتین - رآن
 یصیه الشحیه .. ولم یکن هرفه زده بل
 کنیزیه ما که با او محو ما هیه لیخبر لکم اهد با حلقه
 کهر را فانه همدون الحنی حد که مشعر
 به لریک هسسم اهد غلک و اهد غلک
 لند روریا آکسات لای الکسک منک کفیه
 فانه همدان تر جیس لک فانه الکسک و فی لک
 و هیه الحقیقه بن بدو به تحفظ و انی اشربه
 الیه اعطاء و انی لم لکلی لکلی اجبار
 المذنب فی استغفار و انی استغفار لک
 بالکفره مسیره الهیره لم یسیر لک حین
 و افعال کما یسیر لک حین عظیم
 و صلی هوا یسیر لک غریبه منی لک لم اجربه الیه
 السنه هیه و لا استغفار و انی لک استغفار
 و لغو لک و اهد لک استغفار منک ..
 هسسم افراد لا شیره بخیر در الدنیا هسسم و منک
 همدان و هسسم و اهد و اهد و اهد .. و اهد و اهد
 و اهد و اهد و اهد و اهد و اهد و اهد

محمود محمد طه

مدينة النهضة - القاهرة الأولى

أم درمان

ث ١٩٩٤ - م ١٩٩١

١٠/٥٠
١٩٩٧

بيت الحديقة

تحت وصفي وسوقي

استد دائما قاعة بيتنا واني لا تنكر
يعلم هندرك معنا بشعره وليس
ما اجدت انه تبتري صنت واذا كانت
هناك فرقة تجريد بالقر الى مفارقة او
الى كرايا الانجليزية فمأ سرمدة الإقامة
فانك شكره في المحاولات المحدودة كمدجبة
لعلك انك حاكمه انه تقلم فاه حاجة
كعمره اسير كيرة ومقامك في علم
الهمم بالزاد والكل صحت نرا
رونك في مقام الحرة كربية كيرة
صبرا خير واجه الامان واهولان
الخطام شكري اليه دينك ودخان

محمود محمد طه

مدينة المنيا - الحارة الأولى
أم دومات

ت ١٦٩١٢ - م ١١٥١

حضر راج يوم ٤/١٢/١٩٧٠ العبد حسن حسين

أه فداك نصير قليل

والله لا مع اولاد برنس ولكنهم محبوا
كسرت اليوم الحشا منى المنة والعناية لغير
شرا فاعية ومعرفة به وكثيرا بأشروعه به
والله اضرتى به خالفه تحت ذنته كثر
افرحنا لنا به العادة به حيدر مهن لهدى شجرة
منه دانه ط الكفاة افرحه المراه بولنته والعناية
حسبك البين فاقربها بشتى دفدلى رايه
لنا من الكفاة كفاة الكفاة كفاة افرحنا به
١٩٨٤ شجرة فبعت ثم المنة ١٩٨٦ شجرة الكفاة
فانتم ..

اصبر ايه اليك فداك
بروفات
عبد الله
حسن

محمود محمد طه

مدينة الجديدة - القاهرة الأولى

أم درمان

١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣

مكتبة - القاهرة

جميع الحقوق محفوظة

أحمد محمد - خديجة محمد - ونقر

١/٥ - ١/٥ - ١/٥ - ١/٥ - ١/٥

الحسين محمد - محمد - محمد

محمد - محمد - محمد

محمد - محمد - محمد

محمد - محمد - محمد

محمد - محمد - محمد

محمد - محمد - محمد

محمد - محمد - محمد

محمد - محمد - محمد

محمد - محمد - محمد

محمد - محمد - محمد

محمود محمد طه

مدينة البهية - المارة الأولى

أم طرط

ت ١٩٩٢ - م ١٩٥٩

التيوم وبعادته في مقامها واما كنه العبد
فليس والاسماء ترون الى احبته هيريقه الجهرى
سيريرة الذكر لسانه حال الرانظان الحظوة
واور الى وجمع برشع الكنفية في كسيرة
البحارة وحيضه الايلم تجرى مناظرات يوم
هناك المحسوس ولسه احبته وبيد احمد الى حميد
عنه الحبيب والوكرة الجهرى في حكاية ديك
كبير وشاكلة كاسى ولعنفه اسيرها مقبل
على تحول كسره ههنا ١٩ ههنا كسره راد
لما ان تظهر مقول فخره كسره الحسنة واه
دكره يوم محبة الى الحسنة الذى سرزحه
ههنا كسره له لسانى الحسنة كسره
ههنا كسره وروقة الحسنة آهه وكسره
ههنا كسره اسيرها كسره كسره وكسره

محمود محمد طه

مدينة الهدية - الحارة الأولى
أم دومات

٥٦٩١٢ - ٥٦٩١٣

لعمري العجالة في هذا الاستفهام الرابع عشر
المطارد الحرة وكيف انزل العجالة دليست نظرية
او هيكلية او مثالية بل هي تجربة تجريبية تجريبية
في صغرنا من أسرة الذين القوم لنا في خبر كنف
المجاريك والخاصة من العجالة في هذا
رقعة شريفة على العجالة في هذا
والمعنى هذا اننا في هذا
ونشك ونشك ونشك

والله اعلم

والله اعلم
والله اعلم

يعتبر الله به له بينه وبين الله حقيقة والحق علم
منه أفق الحقيقة عقبتا لا تنده. كبريتا هدية
الحقيقة حقيقة بعد الزمان -

لقد علمنا أن كلمة العلم وجدنا خيرا
المازالت وقفة الذنوب استندت به
الحقيقة والحقيقة ونسبها لها
يعني كل الفهم من الشفوق كل راعية
أمره أن يسوقكم إلى حواء. ففتح لهم
مطالب الفهم والعقول -

مطلب الفهم من الفهم

مطلب الفهم

مطلب الفهم

ابن حنیفہ

ابن حنیفہ
ابن حنیفہ

مفتی

مفتی
مفتی

19

AM

1324 - 211

14

المعروف

~~10-215-~~

124

En

كل أعضاء الكتلة كانت

مردمان ساکنان افغانستان

تفصيل صبراً عندك وهذا

مردود لطيفات العروق التي كانت ترسل منه دون الحد
المحال فيدي

بناتي جيتي شوق
لدا بناتي اجرب خيرك
للصندوق

أفترية باردة لاني د. الحسام لي يفتينه اسرار
في الكرم لاني د. الحسام لي يفتينه اسرار
ارادهم ان يفتين الحسام لي يفتينه اسرار
مراون بالذبول لي يفتين اسرار لاني اسرار
ان اسرار من د. الحسام لي يفتينه اسرار
الصحف اسرار من د. الحسام لي يفتينه اسرار
الحصنة اسرار - يتطلب لاني اسرار

«اربعه» ترجموا الى جدول رده إعطاء
 «اذكرتم بطر الدخيل الذي يجمع مفاصله
 وتجزئ المنازل فاربعة» يفتح ابن
 التبايعه ويلاطها «تكونه فاقه»
 فيه لأخر ١٢١ نه ينزل الحرف
 «ابن عديقه يجمع المصروف الحديدي
 فيه سنة لمدينة ثلثه بسنة ارفع
 بوجهه لتفتي في المداير منه
 منه الطيه»
 «الجدوا الى حرقه فله حقه لنفقه
 الفقار»

١٢ ر ١٩٨٤

أمر الدولة

عندكم قميص لباسي
 لم يربها - نفق وصفت كعبا الجدي
 وكنت اقمه الملبس القعدة لا
 نزاله صالحة للامسكول - اربعه اشرا

فهرس المحتويات

11	مقدمة
19	الفصل الأول :-
21	640م - 1910 تاريخ الأسرة وما قبلها
23	شجرة النسب
27	الأبناء والبنات
28	عمل والدهم محمد طه
28	نهج حياة الأسرة
30	هجرة الأطفال الأولي من المدينة إلى لقرية
38	تقييم الأستاذ محمود لحياته الباكرة
45	1924- 1932 (مرحلة الدراسة وبداية الحياة العملية)
53	الفصل الثاني :-
55	1945 نشأة الحزب الجمهوري
56	الإجتماع الأول للحزب الجمهوري
58	مواجهة الإستعمار
60	1946 فترة السجن والاعتقال الثاني
70	1948- 1951 الإمتداد الإختياري للخلوة برفاعة
72	1951 نهاية فترة الإعتكاف
75	1955 - 1956 وما بعدها
76	لجنة الدستور القومية
81	الأعوام 1957- 1967 (العمل في المشاريع الزراعية)
85	1958- 1964 الحكم العسكري الأول وثورة أكتوبر
85	1959 - 1969 (رعاية الأسرة)
86	تعليم البنات والتعامل داخل إطار الأسرة
90	1962- 1966 إستمرار الحركة والوفود
94	1964 (الرحيل إلى مدينة الثورة بأم درمان)

97	الفصل الثالث :-
99	1694 ثورة أكتوبر ودور الأستاذ محمود فيها
102	1965 (بداية مرحلة جديدة من التأليف)
104	1965 (فترة معهد المعلمين العالي ، وحل الحزب الشيوعي)
107	فترة الستينيات وزيارة الأستاذ لاضرحة الأولياء
110	1966 (دار الحزب الجمهوري بأمر درمان حي الموردة)
111	الجهاد ليس أصلاً . .
111	الرق ليس أصلاً في الإسلام
112	الرأسمالية ليست أصلاً في الإسلام
112	عدم المساواة بين الرجال والنساء ليست أصلاً في الإسلام
112	المجتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلاً في الإسلام
112	تعدد الزوجات ليست أصلاً في الإسلام
113	الطلاق ليس أصلاً في الإسلام
114	1967 دور الأستاذ محمود في السياسة العربية والعالمية
119	خطاب الأستاذ محمود للسيد / محمد نجيب رئيس الحكومة المصرية
121	1967 التفريغ من العمل الهندسي في المشاريع الزراعية
123	1968 تصعيد العمل الفكري
126	تدخل السلطات في محاضرة الإسلام برسائلته الأولى ، لا يصلح لإنسانية القرن العشرين
129	الفصل الرابع :-
131	1968 محكمة الردة
143	1967 - 1969 الطواف والوفود الكبيرة إلى الأقاليم
151	وصول الوفد الي مدينة الأبيض
151	23 / 5 / 1969 الإعتداء على الأستاذ محمود
154	1969 محاكمة الرجل الذي إعتدى على الأستاذ في مدينة الأبيض
159	1970 زيارة أبو حراز ومواقع السادة العركيين
167	مساواة النساء مع الرجال
168	1971 زيارة منطقة الهلالية والمنندرة ومواقع الصادق
171	1973 تدهور صحة مربيته ربي جود محمود
173	الدعوة للثورة الثقافية وأهدافها

176	1974 قضية بورتسودان ومواجهة القضاء الشرعي
182	الأبادي الخفية وراء قضية بورتسودان
186	1974 حريق معرض الفكر الجمهوري بمدينة ود مدني
187	محاصرة النشاط الجمهوري وتحول الندوات إلى المنازل
195	1975 عام المرأة العالمي
196	1975 مواجهة المعارضة في مدينة كوستي
197	1976 مؤتمر فتح العاصمة
199	1976 الإعتقال بسبب الوهابية
204	1977 تبسيط الدعوة
205	1977 قضية الأستاذ محمود ضد الشيخ الأمين داود
206	1979 مراجعة منازل الأخوان الجمهوريين
207	الفصل الخامس:-
209	الأخوات الجمهوريات ونشر الفكر الجمهوري
210	وضع المرأة في الشرق الأوسط
211	مجتمع الأخوات الجمهوريات
217	تنظيم الأخوات الجمهوريات
221	مواضيع جلسات الأخوات
222	الإختلاط داخل المجتمع الجمهوري
225	العقبات التي كانت تواجه قيام مجتمع للنساء الجمهوريات
226	عملية ترشيد الأخوات الجمهوريات في المجتمع الجمهوري
243	الفصل السادس:-
245	طابع حياة الأستاذ وبرنامجه اليومي
249	الأطفال في عالم الأستاذ محمود
252	مواقبت نومه
253	زي ولبس الأستاذ
255	طابع حياته
258	صيامه وقيامه
259	طعامه والتزامه النباتية
261	التسامح
263	الوفاء

272	تأليف الكتب منذ نشأة الفكرة الجمهورية وحتى 1984
280	الجلسات الصباحية
283	الحوار داخل المجتمع الجمهوري
284	وفاة مربيته ربي جود محمود
291	الفصل السابع :-
293	التمهيد لقوانين سبتمبر 1983
295	إعلان قوانين سبتمبر 1983
301	صلة الأستاذ بالمجتمع الجمهوري أثناء فترة الاعتقال
302	إطلاق سراح الأخوات الجمهوريات
305	المواضيع التي كان يتحدث عنها الأستاذ وهو في السجن (1984)
309	19 ديسمبر 1984 إطلاق سراح الأستاذ والتأمر على حياته
313	المؤامرة (الأيام الأخيرة 19 ديسمبر 1984 - 18 يناير 1985)
315	صدور المنشور هذا أو . . الطوفان .
317	21/12/1984 إعلان الأستاذ عن المؤامرة التي تحاك ضده
321	إجتماع مساء الجمعة 4/1/1985
325	السبت 5/1/1985 الإعتقال الثاني بعد إطلاق سراحه في 19 ديسمبر 1984
328	الأوضاع داخل الحراسة
341	عصر يوم الخميس 17/1/1985
360	خلاصة حوادث الأيام الأخيرة
362	ردود الفعل العالمية بعد تنفيذ الحكم على الأستاذ محمود
363	ردود الفعل العالمية بعد تنفيذ الحكم على الأستاذ
373	الخاتمة
379	الملحقان
381	بعض المقالات التي كتبت عن الأستاذ بعد تنفيذ الحكم
397	المدن والقرى التي طاف عليها الأستاذ بنفسه محاضراً ومبيناً المنهاج لبعث الأسلام من جديد
398	المحاضرات التي قدمها الأستاذ
400	مؤلفات الأستاذ محمود
407	المراجعة

